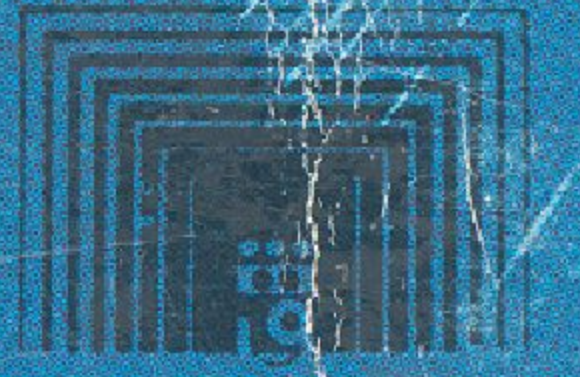


كتاب تذكاري



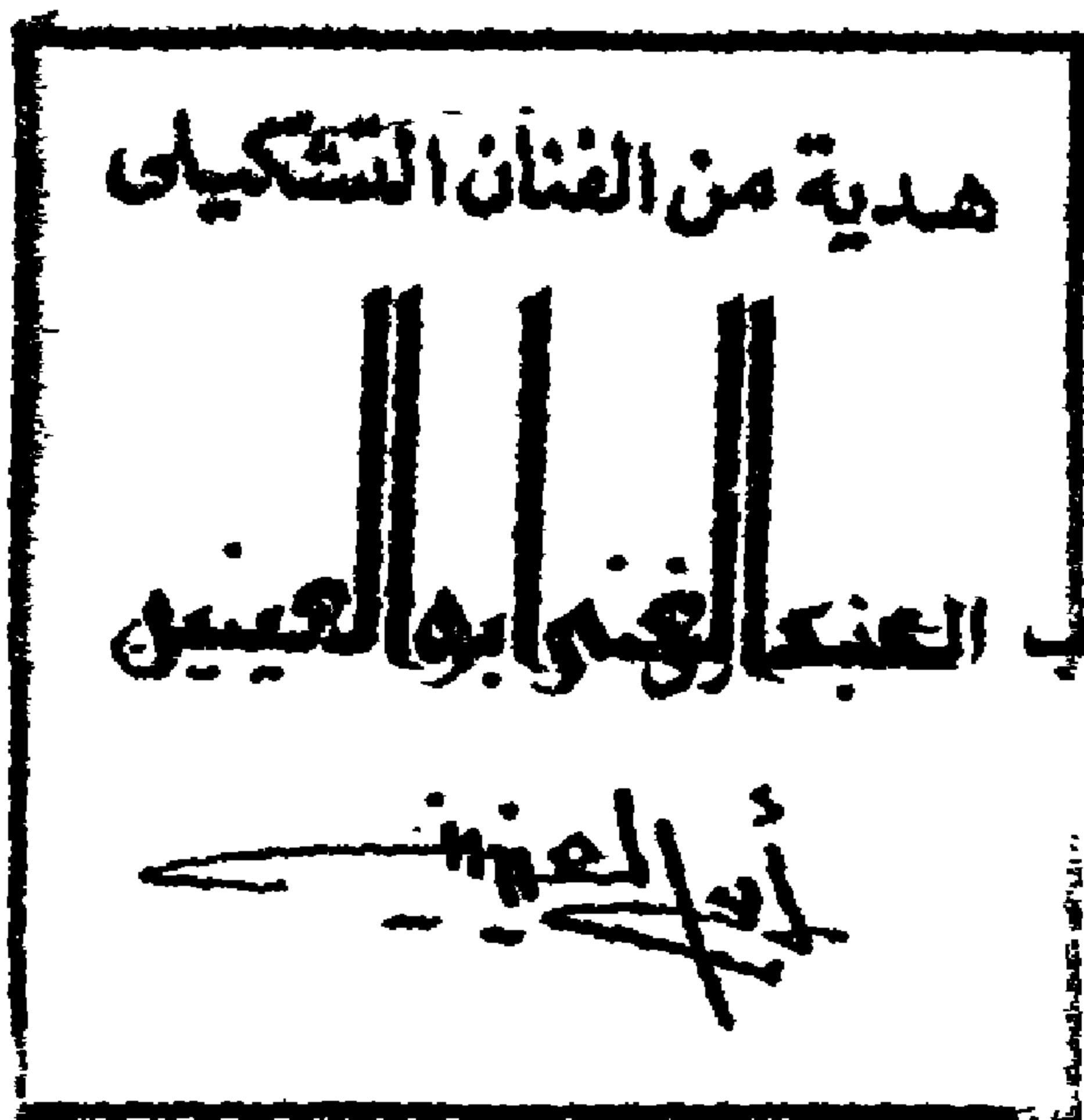
المكتبة العامة لصور النخلة

أحمد بهاء الدين

بساطة حب

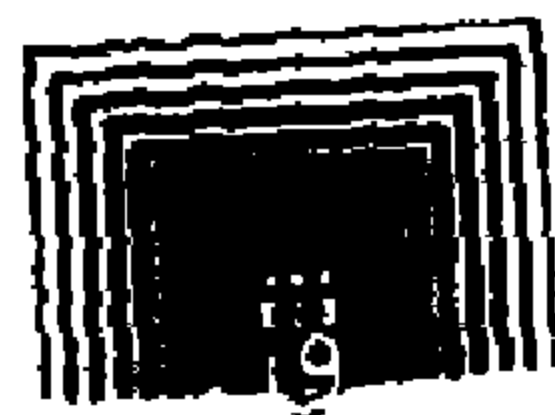


د/ جلال أمين
رجاء النقاش
رشاد كامل
د/ شكري عياد
د/ صابر حارس
د/ عبد الله هديع
د/ علي السراي
د/ علي الدين هلال
التحسين غسانم
فريدة النقاش
المصطفى المحليني
د/ محمد الزمخشري
محمود قاسم
د/ مصطفى عبد الغني
مصطفى تيسيل
نيسيل زكري
يوسف القيس



أحمد بهاء الدين

بأقصة حب



الهيئة العامة لقصور الثقافة

المراسلات : باسم مدير التحرير علي العنوان التالي
١٦ شارع أمين سامي -القصر العيني- القاهرة - رقم بريدي ١١٥٦١

الكتاب التذكارى
الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير
حسين مهران

أحمد بهاء الدين الجنوبى

لم يكن أحمد بهاء الدين مجرد ابن من أبناء محافظة أسيوط
لمع اسمه وذاع صيته فى مجال من مجالات الحياة لكى نحتفل
بتكريمه.. كما لم يكن أحمد بهاء الدين مجرد صحفى اتخذ
الكتابة فى الصحف والمجلات مهنة له وارتقى فيها الى أعلى
المناصب والدرجات لكى نفكر فى تنظيم مؤتمر أو ندوة كبيرة
للحديث عنه.. ولكن أحمد بهاء الدين هو ابن من أبناء أسيوط
العظام استطاع بعصامية نادرة أن يجعل من اسمه فى عالم
الصحافة والرأى علامة بارزة على النبوغ الصادق الحقيقى
والشهرة الصحيحة الأصيلة، كما استطاع أن يمثل بكتاباته
ومواقفه الوطنية المتميزة جزءاً من عقل مصر الناضج وضميرها
الحى اليقظ خلال النصف الثانى من القرن العشرين فقد كان
أحمد بهاء الدين على مدى نصف قرن من الزمان تقريبا علماً
يشار إليه بالبنان فى مجاله لا لشيء ما تميزت به كتاباته من
قوة تأثير وقدرة فائقة على الإقناع وتواصل حميم مع قرائه..

والكتاب الذى بين أيديكم الآن هو حصاد ما قدم لمؤتمر
أحمد بهاء الدين من أوراق بحث أو مقالات أو كلمات تدور حول
شخصية بهاء الدين وكتاباته ومحاولة الكشف عن جزء من
أسرار نبوغه وتفردته كما تؤكد كلها على أن أحمد بهاء الدين

الذى ملأ قلمه الدنيا وشغل الناس طوال حياته الصحفية كان مثالا حيا وصادقا للإلتزام إلى مصر والوطن العربى من الخليج إلى المحيط أرضا وشعبا وتراثا خالدا خلود الحياة نفسها.. وكان مثالا للإلتزام الواعى العميق بقضايا وطنه وأمتة دون شطط أو جمود.. وكان فوق هذا كله مثالا للنزاهة والتجرد والتمسك فى شجاعة نادرة بكل كلمة كتبها أو موقف وقفه.

وأن يقام مؤتمر لتكريم أحمد بهاء الدين فى أسبوط أو فى غيرها من محافظات مصر إنما هو فى الواقع تكريم لمعان كثيرة سامية تمثلت فى شخصيته واحتفاء بكل القمم الوطنية والمبادئ الرفيعة التى أرسنها أجيال عديدة من حملة الأقلام الحرة الشريفة فى صحافتنا المصرية والعربية وتقدير وتشريف لجزء عزيز من تاريخنا الفكرى والثقافى من أجل أن نضع أمام أعين الأجيال الشابة من الكتاب والقراء صفحة جديدة بالتأمل ودليلا يشير إلى طريق قد لا تكون أقصر الطرق ولكنها بحق أطهرها وأشرفها نحو المجد والخلود..

لقد أعطانا هذا المؤتمر فرصة طيبة لمناقشته جادة ورصينة حول العديد من جوانب شخصية أحمد بهاء الدين وكتابات، وإذا كان ثمة اختلافات بين الباحثين والمناقشين فى زاوية النظر والتقييم إلا أن ما لا خلاف عليه هو ما تتميز به كتاباته أحمد بهاء الدين سواء فى مقالاته الأسبوعية أو أعمدته اليومية أو تحليلاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية من قدرة على

التحقيق والتفسير والتنبؤ وقبل هذا كله من جرأة في الحق
وأمانة في التعبير ووطنية في المنطق والأهداف وسعي دائم
دون كل وراء الحقيقة من أجل استجلائها وتسليط الضوء عليها
ووضعها كاملة دون تزيف أو تحريف أمام أبصار وبصائر
القراء من أبناء شعبه وأمته.

لقد افتقدنا في كثير من المواقف والأحداث المصيرية قلم
أحمد بهاء الدين وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر فقد كان قلمه
دائماً كمبضع الجراح المتمكن الخبير في الكشف عن مواطن
الداء كما كان قلمه دائماً نبراساً مضيئاً يبحث في ضوءه
أصحاب القرار عن أفضل الحلول وأنسب أساليب العلاج.
دعاء صادقاً إلى الله تعالى لأحمد بهاء الدين بالشفاء العاجل
وطول العمر..

محمد سميح السعيد

«محافظة أسيوط»

أحمد بهاء الدين قلم مضى... وأفق رحب

تعتز الأمم العريقة بأبنائها النجباء الذين أخلصوا لأوطانهم ومنحوها من فيض فكرهم وعزيز جهدهم سطوراً مضيئة، وأحمد بهاء الدين ليس ابناً وفيماً لوطنه فحسب لكنه بوتقة جمعت في ذاتها عذوبة اللغة وإحكام العبارة والفكر التنويرى الذى يجمع بين السياسة والأدب والفن والدين فى أسلوب راق لا يعرف العصبية أو التحيز لقد عرفنا أحمد بهاء كاتباً كبيراً ذا رأى حصيف يلتف حوله من يرغب فى المعرفة الراقية والفكر الموضوعى إن مواقف «بهاء» الوطنية ليست بخافية على قرائه ومحبي كتاباته وعاشقى إنسانيته ورحابة أفقه وهامى الهيئة العامة لقصور الثقافة - كعاداتها - تقدم هذا الكتاب عن واحد من خلصاء مفكرى هذا الوطن، وهى - إذ تفعل ذلك - إنما لتقدم إلى الشباب واحداً من العقول الناضجة الحرة التى قدمت شهادتها على العصر الذى تعيشه.

وهذا الكتاب على تنوع دراساته لن يفى بتغطية كل الجوانب المضيئة من حياة أحمد بهاء الدين الخصبة والثرية، فقد تنوعت كتاباته ما بين الشعر والقصة والعمود الصحفى الذى كان يميز قلمه الحر الشريف، وتنوعت مقالاته الصحفية ما بين الكتابة

الأدبية والاجتماعية والاقتصادية ولم تكن هذه الكتابات بعيدة عن أرض الواقع ومشكلاته وإنما كانت تتخذ من الحياة والشارع المصري أساساً لها.

إن أحمد بهاء الدين بنبوغه وإنسانيته يقدم مثلاً راقياً للإنسان المصري المثابر الموضوعي حينما يلقي الضوء على قضية أو موضوع يهم الرأي العام، ونحن إذ نكرم أحمد بهاء الدين إنما نكرم أنفسنا بواحد من أشرف من أنجب هذا الوطن. ندعو الله أن يعود لنا قلمه المضيء ليفتش في نفوسنا ومشاكلنا عن حلول موضوعية مخلصية، ونتمنى أن تثمر هذه الدراسات والمقالات التي قدمها نخبة عظيمة من كتاب مصر والوطن العربي - عن الكشف عن فكر هذا الرجل الذي أعطى هذا الوطن من عقله وموضوعيته وإنسانيته الكثير والكثير وأود في نهاية كلمتي أن أتوجه بالشكر العميق للسيد اللواء محمد «سميح السعيد» على تعاونه معنا وإسهامه في انجاح هذا المؤتمر، كما أتوجه بالشكر العميم لأبناء الهيئة العامة لقصور الثقافة على ما بذلوه من جهد ساهم في تنويع المؤتمر وجعله يليق باسم أحمد بهاء الدين.

حسين مهران

رئيس الهيئة العامة لقصور الثقافة

تواصل

يسعدنى بالنيابة عن أسرة الأستاذ أحمد بهاء الدين، أن أرحب بكم فى هذه الندوة التى تقيمها الهيئة العامة لقصور الثقافة، وأن أتوجه بالشكر إلى كل من ساهموا فى تنظيم ورعاية هذه الندوة، وعلى رأسهم السيد الوزير اللواء «محمد سميح» محافظ أسيوط وتشريفه لنا بحضوره الندوة، والسيد «حسين مهران» رئيس هيئة قصور الثقافة على رعايته لهذه المناسبة الثقافية، وكذلك السيد «صلاح شريت»، رئيس إقليم وسط الصعيد الثقافى للجهد الخاص الذى بذله فى إقامة هذا المؤتمر والإهتمام الذى أحاط به وشمل كافة تفاصيله. كذلك يسعدنى توجيه الشكر لكل المشاركين فى الندوة لما بذلوه من جهد وما أبدوه من اهتمام، ولكل من تفضل من الجمهور بالحضور.

فأما أن تنعقد مثل هذه الندوة، وأن يكون إنعقادها تحت رعاية أجهزة الدولة، فهذا فى حد ذاته تكريم نوعى كبير لأى كاتب وأى مفكر، وإن كان انعقادها على وجه الخصوص فى محافظة أسيوط فهذا يعطيها قيمة إضافية وذلك لحرص الأستاذ أحمد بهاء الدين على أن يرتبط اسمه بمحافظة أسيوط وبصعيد

مصر على وجه العموم، وحرصه على تأكيد انتمائه له.

وعلى الرغم من أن الأستاذ أحمد بهاء الدين قد ولد في مدينة الإسكندرية بسبب ظروف عمل والده التي فرضت على الأسرة التنقل، وأنه قد قضى فترة دراسته الجامعية بكلية الحقوق في مدينة القاهرة، وعلى الرغم من أن تفرغه للكتابة والعمل الصحفي الذي تولى أثناء مسئولية عدد من كبريات المطبوعات والجرائد المصرية قد جعله لا يبارح مدينة القاهرة، إلا من بضع سنوات قضائها في دولة الكويت، برغم كل هذا إلا أن انتماء الأستاذ أحمد بهاء الدين لصعيد مصر ظل لا يفارقه، وكان مما يحرص على التأكيد عليه والتذكير به، هو انتماء انتقل إليه من خلال التربية الأسرية، والاهتمام بأمور الصعيد وما يجرى فيه، وإدراك لخصوصية المجتمع الصعيدى وبطبيعة الحياة في بلاده وقراها .

ومع ذلك فإن اهتمام الأستاذ أحمد بهاء الدين بالصعيد وانتماءه العميق لأسيوط لم يكن أبدا نوعا من الارتباط المثالى بالأصل الريفى ولا القبول لحالة المجتمع ، بل كان اهتمام المدرك لمشاكل الصعيد والراغب فى تحسين أوضاعه.

لذلك فقد دعا الأستاذ أحمد بهاء الدين دائما للاهتمام بمشاكل محافظات الصعيد، ولتوجيه انتباه أجهزة الدولة إليها ومد الخدمات بها، وتشجيع الاستثمار فيها .

وكما تعلمون، فقد فرضت الظروف الصحية على الأستاذ

أحمد بهاء الدين أن يتوقف عن الكتابة وأن يحتجب عن قرائه لفترة، ولكن تواصل الكاتب مع جمهوره لا ينقطع لمجرد توقفه عن الكتابة، إذ أن أفكاره ومواقفه تظل جسرا بينه وبين هذا الجمهور .

ولذلك فإنه يسعدنى أن أعلن هنا عن إنشاء جمعية مصرية خاصة بوزارة الشؤون الاجتماعية، باسم جمعية أصدقاء أحمد بهاء الدين الثقافية، وقد قام بإنشائها عدد من أصدقاء وزملاء الأستاذ أحمد بهاء الدين من أجل العمل على نشر أفكاره وكتاباته والمشاركة فى مختلف النشاطات الثقافية التى حظيت باهتمامه .

وبسبب المكانة التى يتمتع بها الصعيد لدى الأستاذ أحمد بهاء الدين، ومن أجل تأكيد الأفكار التى نادى بها حول ضرورة الاهتمام بمحافظات الصعيد. فإن الجمعية تعتزم ممارسة جزء من نشاطها الثقافى - هنا - فى محافظة أسيوط، وبدءا من رعاية المدرسة التى تحمل اسمه فى قرية النوير، وصولا إلى المشاركة فى النشاطات الثقافية التى تجرى فى المحافظة.

ونرجو أن تكون الندوة التى نحضرها اليوم مناسبة لإلقاء الضوء ليس فقط على أعمال كاتب واحد، وإنما على تراث ثقافى مهم ينبع هنا من الصعيد

زياد أحمد بهاء الدين

أحمد بهاء الدين

أربعون عاما من الكتابة الراقية

د. جلال أمين

فى السيرة الذاتية للفيلسوف البريطانى الشهير ، ألفرد إبير (A.J.Ayer) وردت إشارة جميلة إلى الكاتب البريطانى، الشهير جورج أورويل (G.Orwell)، إذ يقول إن أورويل «هو واحد من هؤلاء الناس الذين إذا شعرت بأنهم يحسنون الظن بك، أحسنت الظن بنفسك». وقد كان هذا دائما هو شعورى نحو أحمد بهاء الدين، منذ تعرفت عليه فى منتصف السبعينات، أى منذ ما يقرب من عشرين عاما، ولهذا يطيب لى أن أتكلم عنه فى عيد ميلاده أو فى الواقع، فى أى وقت آخر.

كان اسم أحمد بهاء الدين بالنسبة لجيلى، ونحن نخطو خطواتنا الأولى فى تثقيف أنفسنا فى أوائل الخمسينات، إسما لامعا ومثيرا للاهتمام، إذ أن اسمه قد بدأ يلمع وهو لم يكن يتعدى العشرين من عمره، وتولى رئاسة تحرير مجلة صباح

الخير قبل أن يبلغ الثلاثين. وكانت صباح الخير بالنسبة لنا، في أول عهدها ، فتحا كبيرا وقفزة رائعة إلى الأمام في تطور الصحافة المصرية، دشن بها بهاء مدرسته الراقية في الصحافة: ملتزمة دون أن تكون متزمتة، هادفة وممتعة في نفس الوقت، راقية دون تعال على الناس، وشديدة الحساسية بمشاكل الناس دون أن تتملقهم ، وقد ظل بهاء على هذه الحال في كل ما تولاه من أعمال. والمدعش أنه بكل هذا الهدوء الذي يتسم به، كان وكأنه يمسك بعصا سحرية ما أن يمس بها المجلة أو الجريدة التي يتولى مسئوليتها حتى تتحول إلى شيء راق وجديد تماما، أيا كان حالها قبل قدومه، حدث هذا بعد أن ترك صباح الخير وفي أخبار اليوم، وفي مجلة المصور ودار الهلال ثم في جريدة الأهرام، ثم في مجلة العربي الكويتية، وقد كان هذا دائما باعثا لدهشتي الشديدة، إذ بدا لي مدعشا أن يكون هذا الرئيس البالغ النجاح في إدارته رجلا، يمثل هذا الهدوء والسكينة، أنه يقابلك فتظن أن لاشيء يشغل باله، ولا شيء يقلقه، وكأنه لا يحمل على عاتقه أية مسئولية على الإطلاق. والأرجح أنه يتمتع بتلك القدرة الضرورية لأي مدير ناجح على أن يركز في كل لحظة على أمر واحد دون غيره، فلا يسمح لذهنه بالتشتت بين عدة مشاغل في نفس الوقت.

سرعان إذن ما استقر رأي جيلي على أن أحمد بهاء الدين

إذا كتب، فلا بد أن يقرأ، وسرعان ما أصبح اسمه كافياً لتزيين
أى صحيفة وللإغراء باقتناء أى مجلة، وإذا به إذا تعقدت الأمور
وتضاربت الآراء يكتب فيقول فى كلمتين أو ثلاثة ما يضع حدا
للخلاف، ويصبح الموضوع واضحاً كوضوح الشمس ولا يحتاج
بعد ذلك إلى مزيد.

مواهب متحدة

كان هذا رأينا جميعاً، ويكاد يكون رأينا فى كل ما يكتب
ولكن هناك مقالات معينة تبقى فى ذهن كل منا ولا تنسى، لأنها
أثرت تأثيراً خاصاً فى هذا الشخص أو ذاك. من هذه المقالات،
فيما يتعلق بى أنا، مقالا كتبه بهاء فى صباح الخير أو روزا
اليوسف فى منتصف الخمسينات عن أول مجلدات ثلاثية نجيب
محفوظ: بين القصرين ، وكانت هذه فيما أذكر، هى المرة الأولى
التي أكتشف فيها تعدد مواهب أحمد بهاء الدين وتشعب
اهتماماته. كان يكتب فى هذا المقال كناقد أدبى، فبز غيره من
النقاد وتفوق عليهم، ثم تعددت الأمثلة بعد ذلك - بالطبع - فيلم
يعد فى الأمر جديد، يكتب عن معرض فنان تشكيلي، أو فيلم
لفاتن حمامة، أو أغنية جديدة لعبد الوهاب، بل لقد قرأت له مقالا
بديعاً فى مجلة العربى عن «الحصان العربى».. فإذا به فى أى
موضوع يتناوله، يكتب ليقراً ويفيد ويمتع .

من أجمل ما قرأت له أيضاً مقالاً نشر فى جريدة كويتية

(لعلها جريدة الوطن) عن عبد الحليم حافظ، بعد وفاته مباشرة. أتذكر أثر هذا المقال في نفسى، ليس فقط لعنويته ورقته، بل لأنه ربط بين ظهور عبد الحليم حافظ وشهرته وتطور الحياة السياسية فى مصر، فوضع عبد الحليم حافظ فى مكانه من تطور الثقافة فى مصر ووضع ما لعبد الحليم من دين لثورة ١٩٥٢. وقد كان بهاء نفسه مدينا لقيام الثورة مثلما كان عبد الحليم حافظ وكمال الطويل والموجى ويوسف إدريس وصلاح جاهين وأحمد عبد المعطى حجازى وصلاح عبد الصبور.. إلخ فقد فتحت هذه الثورة الباب لطرق جديدة للتعبير فى الصحافة، كما فتحت فى الغناء والتلحين والشعر والأدب وكان حزن بهاء لوفاة عبد الحليم مرتبطا بهذا الشعور لديه بأنهما ينتميان لجيل واحد لمعا واشتهرا وعبرا معا عن نهضة جديدة للشعب المصرى، وعن مرحلة جديدة متألفة من مراحل تطور الثقافة المصرية.

من أين تأتى لبهاء هذا النجاح الذى يصعب أن نعثر على مثيل له فى تاريخ الصحافة المصرية؟ أعتقد أن السبب هو أن بهاء جمع بين مجموعة من الصفات يندر جدا اجتماعها فى شخص واحد: ذكاء فطرى حاد، وقدرة فائقة على الربط بين النظرية والواقع، فلا تبقى النظرية فى واد والمشكلات الواقعية فى واد آخر، وشجاعة عقلية لاتقبل الاحتفاظ فى الذهن بما يثبت

له خطأه، وحس أخلاقى رفيع، وأسلوب صاف خال من الشوائب، يذهب إلى الهدف مباشرة، وقدرة عالية على التمييز بين المهم وغير المهم، وعلى ترتيب الأولويات ترتيباً صحيحاً، وواقعية تجعله يرفض الاسترسال فيما لا يرجى منه خير، وتعاطف قوى مع صغار الناس والمغلوبين على أمرهم، وهو بالإضافة إلى هذا كله لا يبالغ فى تقدير نفسه، يسره الثناء ولكنه لا يخرج عن طوره، وسرعان ما يمل، يحب النجاح ولكنه لا ينسى الهدف الذى كان يريد النجاح من أجل تحقيقه. وهو محب للحياة مقبل عليها. يقدر كل ما هو جميل ويستمتع به ويضطرب إلى كل منظر طبيعى أو كل غناء أو طعام أو شعراً أو أدباً أو نكتة، أو وجهاً جميلاً، قد يبدو أن اجتماع كل هذه الصفات فى شخص واحد من قبيل المستحيل ولكنى أعتقد أنها انعكاس لموهبة واحدة أو موهبتين: حس أخلاقى رفيع مع إحساس فنى راق. فمن السهل مثلاً أن نرى أن أسلوب بهاء - فى الكتابة البسيط والخالى من التكلف - انعكاس لصدقه بوجه عام، وواقعيته وكراهيته لأى صنف من أصناف الخداع، إذ أن الأسلوب المتكلف هو نوع من أنواع الكذب كما أن من السهل أن نرى أن تعاطفه مع الفقراء انعكاس بدوره لحسه الأخلاقى القوى. وهكذا.

عندما بدأ اسم أحمد بهاء الدين يلفت الأنظار فى أوائل

الخمسينيات، بدأنا نتكلم عنه وتتساعل عمن يكون؟ فقليل لنا إنه - عدا ما يمكن لنا أن نكتشفه من كتاباته - رجل حيّ خجول لدرجة مدهشة. وقد كان من الصعب علينا أن نصدق هذا إذ أن كتاباته كانت تعطيك انطباعا عن رجل جرىء جسور لا يهاب شيئا ولكن رأيت مرة في ملتقى عزاء في منتصف الستينيات، فوجدته فعلا كما سمعت رجلا بالغ الحياء شديد الخجل، أو هكذا تصورت وقتها، على أنى عندما بدأت ألتقى به على فترات متقاربة بعد هذا بعشر سنوات، ابتداءً من منتصف السبعينيات، كان هذا الخجل قد زال ولم يبق منه إلا وداعة وتواضع محبان ووجدته رجلا يحسن الاستماع كما يجيد الكلام ويجد متعة كبير في أن يشرك معه غيره فيما يعرفه من أقاصيص مدهشة ولا نهاية لها، تتعلق بالحياة السياسية والثقافية في مصر أو البلاد العربية، ولكنك تلاحظ أن كل قصة منها، مع شدة طرافتها، لاتخلو من مغزى، وأن الذى لفت نظره إليها وحبب إليه روايتها، ليس محض الطرافة بل هذا المغزى الذى تحمله.

الموهبة والأعداء

ليس من الصعب أن نفهم لماذا يجب أن يكون لرجل كهذا أعداء كثيرون فهناك أولا نجاحه الباهر مع جماهير القراء، ولكن هناك أيضا قربه من السلطة السياسية، ولعل أعداءه يكرهون هذا القرب من السلطة ولا يبالون كثيرا بنجاحه مع جماهير

القراء. والذي لابد أن أثار غيظ أعدائه بوجه خاص أن قرب أحمد بهاء الدين من السلطة كان لسبب واحد لا سبب غيره، وهو موهبته، وهو شيء يعرفون جيدا أن لاحيلة لهم فيه، ولا سبيل إلى سلبه منه، أو إلى مجاراته وتقليده، إن بعض هؤلاء يشي به لدى جمال عبد الناصر وينقلون إليه نقدا صدر عن بهاء الدين وينصحون باعتقاله، فينهاهم عبد الناصر عن ذلك قائلا : «سيبوه هو دماغه كده» وهم يرون السادات يتصل به للاستماع إلى رأيه باحترام شديد في أمور من أهم أمور الدولة، بل ويأخذ برأيه وينزل على حكمه، ويسمعون أن الرئيس مبارك اتصل به في الصباح الباكر بعد أن قرأ عمود بهاء في الأهرام ليتبادلا أطراف الحديث بشأنه. وهم يعرفون أنهم لا يستطيعون أن يصيبوه في مقتل، لبحرمانه من منصب إذ أنه لا يريد مناصبا، ولا يمنع المزايا المالية عنه، لأنه لا يطيل التفكير في المال، فيزدانون غيظا ويستشيطون غضبا.

ولكننا نلاحظ أن أحمد بهاء الدين قد أثار في بعض المناسبات على الأقل، حفيظة بعض اليساريين أيضا المعارضين للسلطة، فأخذوا عليه أنه في بعض الأحيان قد اقترب من السلطة أكثر من اللازم، وقد سمعت بأذني بعضهم يداعبه مداعبة لا تخلو من نقد من طرف خفي، لأنه لم يتعرض للاعتقال قط، وابتسم بهاء وقتها ولم يعلق وأنا أحاول أتذكر

شيئاً واحداً كتب بهاء في كل ما قرأته له، ترك لدى شعورا بأنه كتب تملقا للسلطة فلا أجد، نعم، كان في بعض الأحيان عندما يشتد إظلام الجو السياسى، وتضيق دائرة الحرية المتاحة ضيقاً شديداً، يلجأ إلى السكوت أو إلى الكلام فى موضوع آخر، مهم دائماً ومفيد فى جميع الأحوال، ولكنه لايقول قط ما يخالف ضميره، كما أنى أقارن بين النفع الذى عاد على القارئ العربى من استمرار بهاء فى الكتابة ومن احتفاظه بالقدرة على الكتابة والنشر، فى عصر بعد آخر من العصور السياسية المختلفة، ولمدة تزيد على أربعين عاماً، دون انقطاع، أقارن هذا بما يمكن أن يكون قد عاد من نفع من دخول بهاء السجن أو الدخول فى مواجهة عنيفة مع السلطة فأفضل ما اختاره بهاء مائة مرة والأمر فى التحليل الأخير مرده إلى مزاج المرء وطبيعته، ولكل مزاج مذاقه وقيمه وبوره فى تطوير الحياة الثقافية والسياسية فى مصر.

وكما أن فيمن دخل السجن ومن لم يدخله مهرجون كثيرون، فإن من بين هؤلاء وهؤلاء عظماء كثيرون دفعوا بمصر خطوات كثيرة إلى الأمام وإنى لا أشك فى أن أحمد بهاء الدين هو فى المقدمة من هؤلاء .

تطور مهم فى الحياة السياسية

إن صفات أحمد بهاء الدين الشخصية والمهنية، بالإضافة

إلى غزارة قلمه، جعلت تطور حياة بهاء المهنية يعكس بدرجة عالية من الدقة، ما طرأ من تطورات على حياة مصر السياسية والثقافية فدور بهاء الدين في الخمسينيات والستينيات في الصحافة والحياة السياسية المصرية، ليس كدوره في السبعينيات، وهذا يختلف أيضا عن دور في الثمانينيات، لأن كل عقد من هذه العقود كانت له سماته الخاصة. فظهر مواهب بهاء الدين وصالح جاهين وحجازي وعبد الصبور وعبد الحليم حافظ وكمال الطويل والموجي ويوسف إدريس.. إلخ في وقت واحد، ولكن في مجالات مختلفة لابد أن يكون له علاقة وثيقة بالتحولات العميقة التي أحدثتها ثورة ١٩٥٢ في المجتمع المصري وفي الحياة السياسية .

فكما أن عبد الناصر كان يشق طريقا جديدا في السياسة الخارجية والاقتصادية، ويزيح طبقة ليحل محلها طبقة أخرى كان هؤلاء الكتاب والفنانون يشقون أيضا طريقا جديدا، كل في مجاله، ويزيحون مدارس أدبية وفنية وصحفية بأكملها ليحلوا محلها مدارس جديدة، كان عبد الحليم حافظ والطويل والموجي ومرسى جميل عزيز يزيحون الأغنية الرتيبة البطيئة التي تقطر تشاؤما وانكسارا أمام القدر، وذلا أمام الحبيب، ليحلوا محلها أغنية سريعة قصيرة فرحة ومتفائلة بالحياة، كلماتها أقرب بكثير إلى الواقع وتعكس ثقة أكبر بالنفس .

وكان حجازى وعبد الصبور يكسران قواعد الشعر التقليدى
ليتمكننا من التعبير عن معان جديدة غير مألوفة، بينما كان
صلاح جاهين يكشف عن مواطن الجمال فى لغة العامة
وتعبيراتهم وأسلوب حياتهم، كان يوسف إدريس يفعل نفس
الشيء فى القصة والمسرحية ونجيب محفوظ يفعل شيئاً مماثلاً
فى الرواية، بينما كان أحمد بهاء الدين يرسى أساس مدرسة
جديدة فى الصحافة تعبر عن مطامح جيل جديد وطبقة جديدة.

هل يمكن أن يكون محض صدفة أن يحدث فى نفس الوقت
الذى بدأ السادات فيه يدشن سياسة خارجية واقتصادية جديدة
ابتداء من منتصف السبعينيات، أن يتوقف يوسف إدريس عن
كتابة القصة، ويتوقف كمال الطويل عن التأليف الموسيقى،
ويصاب صلاح جاهين باكتئاب شديد، وينشغل صلاح عبد
الصبور بالعمل الإدارى، ويهاجر عبد المعطى حجازى إلى
فرنسا، ويسافر أحمد بهاء الدين إلى الكويت ليرأس تحرير مجلة
العربى!

إنى أعرف جيداً أننى كثيراً ما أفرط فى الربط بين العام
والخاص، وأبالغ فى البحث عن علاقة، قد لا تكون موجودة
بالمرّة، بين أمور السياسة والاقتصاد من ناحية وبين المشاعر
الشخصية من ناحية أخرى، ولهذا فإنى أعرف جيداً أننى قد
أكون مبالغاً بشدة عندما أحاول تفسير سكوت أحمد بهاء الدين

المطبق طوال العامين الماضيين، ليس بمجرد المرض، الذي ندعو جميعا له بالشفاء منه، بل برده إلى ذلك الانحسار الذي أصاب الحركة الوطنية العربية، التي كانت دائما عزيزة على قلبه.

أحمد بهاء الدين شاعرا

رجاء النقاش

تعرفت على الأستاذ أحمد بهاء الدين ككاتب حوالى سنة ١٩٥٢، وذلك قبل أن أتعرف عليه بصورة شخصية، وهو ما حدث بعد ذلك بأربع سنوات، وكنت- عندما قرأت اسم أحمد بهاء الدين لأول مرة سنة ١٩٥٢- طالبا بالسنة الأولى فى كلية الآداب بجامعة القاهرة، وكنت فى تلك الأيام شديد الشغف بما يجرى فى حياتنا الثقافية والفكرية، وكانت هذه الفترة نفسها تعطينا نحن الشباب الصغار الناشئين إحساسا قويا بأن عصرا جديدا سوف يبدأ بالنسبة لمصر والعالم العربى كله، وأن العالم القديم أوشك على الانهيار فى كل شىء، فقد استنفد العالم القديم جهده وطاقته، وأصبح مجتمعا بحاجة إلى فكر جديد وثقافة جديدة وأساليب جديدة فى العمل السياسى والاجتماعى والاقتصادى .

وقد تأكد لدينا هذا الإحساس القوى بانهيار العالم القديم وميلاد عالم جديد عندما قامت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ لتضع حداً

فاصلا بين دنيا ترحل ودنيا أخرى تولد وتنمو وتفرض سلطانها على واقع الحياة .

فى وسط هذا المناخ العاصف كان اسم أحمد بهاء الدين قد بدأ يلفت الأنظار كعلامة فكرية ساطعة من علامات العصر الجديد الذى يشرق على حياتنا بعد إسدال الستار على عصر قديم راحل .

كان السؤال الذى يتردد فى أذهان الكثيرين هو:

هل بالإمكان أن تقدم المرحلة الجديدة عباقرة متميزين مثل العقاد وطه حسين وهيكى وأحمد أمين وسلامة موسى والزيات وزكى مبارك والمازنى ومنصور ومحمود عزمى وغيرهم؟

إن هذا الجيل من العمالقة ظهر فى عالمنا القديم فى النصف الأول من القرن العشرين وأدى دوره ورسائله على خير وجه، وتصدى للعقبات والصعوبات بثقافة واسعة، وموهبة أصيلة وإرادة قوية قادرة على المواجهة والصبر والاحتمال .

فهل تستطيع المرحلة الجديدة أن تقدم إلى ساحة الفكر رجالا من هذا الطراز؟

ولم تكن الإجابة النظرية على هذا السؤال تجدى أو تفيد بل كان لابد من ظهور شخصيات تثبت أن هناك قدرة على تقديم جيل جديد يواصل الرسالة، ويحمل العلم، ويكون جديرا بأن

يكون استمرارا للجيل السابق فى أهميته وقيمتة ومواهبه، وأن يعبر فى نفس الوقت عن العصر الجديد، كما عبر الجيل الأول عن عصره وتولى مراكز القيادة الفكرية المؤثرة فيه .

وكان أحمد بهاء الدين فى مقدمة الأسماء الجديدة التى ظهرت منذ البداية بقوة وثبات وقدرة على التأكيد بأن العالم الجديد سوف تكون له مواهبه العالية الأصيلة التى تعبر عنه وتؤثر فيه .

وكان أول كتاب يصدره بهاء وينال شعبية واسعة هو كتابه «فاروق ملكا» أصدره بعد قيام الثورة بأسابيع قليلة.. ولم يكن كتابا صحفيا يعتمد على الإثارة، بل كان هذا الكتاب على سهولته الشديدة ، قائما على تحليل تاريخى سياسى رفيع المستوى، وكان فى نفس الوقت مليئا بالمعلومات التى كانت جديدة على الناس فى ذلك الوقت، وبخاصة فيما يتعلق منها بخفايا النظام الملكى فى مصر، وأسباب فسادة التى أدت إلى انهياره وزواله .

كان الكتاب تحليلا تاريخيا وسياسيا بالغ الذكاء والدقة للأزمة السياسية التى تعرضت لها مصر وانتهت بانفجار كبير هو ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

وكان الكتاب من ناحية أخرى عملا صحفيا ممتازا، لأنه جاء

فى وقته، ولم يتأخر عن الأحداث الكبيرة التى هزت مصر ولذلك كان الكتاب ناجحاً بدرجة ملحوظة وفى تلك الأيام التى مر عليها الآن ما يزيد على أربعين سنة كنا نجد هذا الكتاب فى يد كل من يعرق القراءة والكتابة فى مصر . كنا نجده فى أيدي الشبان والكبار والموظفين والطلاب والطالبات فى الجامعات والمدارس وبذلك كان هذا الكتاب الذى سجل سقوط ملك هو نفسه الكتاب الذى سجل ميلاد كاتب كبير أحبه الجميع منذ أول لقاء معه هذا الكاتب هو : أحمد بهاء الدين .

ولم يكن هذا الكتاب هو أول كتاب لبهاء، فقد سبقه كتاب صغير آخر اسمه «النقطة الرابعة» ظهر فيما أذكر سنة ١٩٥١ وكان هذا الكتاب دراسة للمساعدات التى تقدمها أمريكا للدول النامية الفقيرة مثل مصر، وكانت هذه المساعدات يطلق عليها فى ذلك الوقت اسم «النقطة الرابعة» ولا أذكر الآن سبب هذه التسمية، ولكن الذى أذكره أن بهاء كان فى هذا الكتاب يهاجم المساعدات الأمريكية لمصر، ويكشف عن أهدافها السياسية ويؤكد أنها ليست مساعدات حقيقية، وإنما هى وسيلة من وسائل السيطرة والتدخل السياسى فى شئون مصر وغيرها من البلدان الفقيرة .

المهم هنا أنه فى عام ١٩٥٢ كان اسم «أحمد بهاء الدين» من الأسماء الكبيرة الصاعدة بقوة فى عالم الفكر والثقافة، وكان

بهاء يومها فى الخامسة والعشرين من عمره فهو من مواليد فبراير ١٩٢٧، وكانت سن بهاء الصغيرة من الأمور اللافتة للنظر فى جميع مراحل حياته، فقد تخرج فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة سنة ١٩٤٦ وكان فى التاسعة عشرة من عمره، وكان ولا يزال من النادر أن يتخرج طالب فى الجامعة فى مثل هذه السن الصغيرة، فسن التخرج الطبيعى لا تقل عن ٢١ سنة باعتبار أن الطالب العادى يدخل الجامعة فى سن السابعة عشرة ولكن بهاء كان من الاستثناءات القليلة النادرة، وكانت هذه الصفة الاستثنائية تلازمه فى كل مراحل حياته فقد كان دائما متقدما فى مكانته وموهبته وقيمته ومسئوليته رغم صغر سنه بالنسبة لجميع المراحل التى مر بها فى حياته الصحفية، ويكفى أن نشير هنا إلى رئاسته لتحرير مجلة «صباح الخير» التى ظهرت سنة ١٩٥٦ وكان بهاء فى التاسعة والعشرين من عمره عندما تولى إصدارها ورئاسة تحريرها، وكان بذلك أصغر رئيس تحرير عرفت الصحافة المصرية فى هذا الجيل .

بهاء مثل أعلى للشباب

وأعود إلى بداية بهاء لأقول إنه لفت نظري وأنا شاب صغير بقيمته ككاتب سياسى يملك ثقافة واسعة، ومعرفة عميقة بأحداث التاريخ المحلية والعالمية وأنه كان يتميز فى كتابته بالوضوح والسهولة والبعد الكامل عن التعقيد وكان نجاح بهاء السريع

والقوى يغرينا نحن الشباب الصغار الباحثين عن مثل أعلى في ذلك الوقت بأن نحاول التعرف على أسرار نجاح بهاء لعلنا نجد في هذا النجاح هدى لنا وضوءاً على الطريق .

وبالإضافة إلى إغراء البحث عن أسرار نجاح بهاء بالنسبة لنا نحن المبتدئين المتطلعين إلى المستقبل فقد كان هناك شيء خاص بى لفت نظرى فى كتابات بهاء منذ البداية هذا الشيء هو أسلوبه ..

لقد كان الاهتمام الأساسى لى خاصة فى فترة نشأتى الفكرية وتكوينى الثقافى الأول، هو الاهتمام الأدبى، فالثقافة الأدبية هى ما كنت أعشقه وأتابعه وأسعى إلى معرفته والاهتمام به على أوسع نطاق وقبل أى شيء آخر، ومن هنا كان اهتمامى «الخاص» بأسلوب أحمد بهاء الدين، فقد أحسست منذ البداية أنه أسلوب يفوح بعطر الموهبة الأدبية الأصيلة رغم أن معظم كتاباته الأولى كانت فى السياسة والتاريخ، ولكن أداة التعبير عند بهاء، هى اللغة، كان فيها من الجمال والعنوبة ما يؤكد أنها «أداة تعبيرية» صادرة عن موهبة أدبية قوية اتجهت بنشاطها إلى مجال التفكير السياسى والتاريخى وكنت ألاحظ فى أسلوب بهاء نوعاً من «الموسيقى» التى يمكن أن نسميها باسم «الموسيقى الخفية» كانت ألفاظه وعباراته لها «إيقاع» تحس به «النفس» قبل أن تحس به «الأذن» فكتابة بهاء هى

دائما أبعد ما تكون عن الكتابة التقريرية العلمية الجافة، بل هي كتابة نابضة بالحياة، وكتابة تنتمي إلى عالم الفن الجميل أى أنه كان أديبا يكتب فى السياسة والتاريخ، كان واحدا من تلك المدرسة العظيمة التى تأسر القلب والعقل وهى مدرسة المفكرين والمؤرخين الأدباء من أمثال «توينبى» و«ويل ديورانت» و«ستيفان زافيج» وغيرهم ممن كنا قد قرأنا لهم بعض روائعهم المترجمة التى جمعت بين التعبير الأدبى والمادة التاريخية والفكرية الغزيرة .

وكان اكتشافى للقيمة الأدبية والجمالية فى كتابات أحمد بهاء الدين سببا من أقوى الأسباب التى جعلتنى أحب كتابته، وأسعى - عندما أتيت لى الفرصة - للتعرف الشخصى عليه .

وقد تيقنت بعد أن «أدمنت» قراءة ما يكتبه أحمد بهاء الدين أن له جذورا أدبية قوية، وعندما تعرفت على أحمد بهاء الدين بصورة شخصية حوالى سنة ١٩٥٦ وجدتته - كما توقعت - يتميز بالذكاء الحاد، والثقافة الواسعة المتنوعة، والنوق الرفيع، ولكن وجدت فيه صفة تخلق بينه وبين الآخرين حاجزا ومسافة هذه الصفة هى «الحذر» يضاف إليها صفة أخرى هى «الحياء الشديد» فبهاء ليس من النوع الذى «يقتحم» الآخرين أو يسمع للآخرين باقتحامه، فهو يفضل دائما أن تكون بينه وبين الناس مسافة كافية، بحيث لا يطفئ هو على غيره، ولا يطفئ غيره عليه

وبالمصادفة فقد كنت أنا نفسى - وما زلت - أعانى من «شدة الحياء» وعدم القدرة على اقتحام الآخرين والرغبة الدائمة فى أن يكون بينى وبين هؤلاء الآخرين مسافة، حتى لا أكون سببا فى إزعاج غيرى، ولا يكون هذا الغير سببا فى إزعاجى أو النيل من استقلالى وقدرتى على التصرف الحر ومن هنا فإننى خلال علاقتى الشخصية والعملية بأحمد بهاء الدين التى استمرت ما يقرب من عشرين سنة لم أستطع أن أسأله سؤالا مباشرا عن «أسرار» تكوينه الثقافى والأدبى وهو السؤال الذى كنت أتمنى دائما أن أحصل على إجابة دقيقة وواسعة عنه، بل أثرت أن أجتهد فى الحصول على إجابة عن هذا السؤال وحدى، وبدون مساعدة من أحد.

وكنت قد عرفت من بهاء فى جلسة خاصة حضرها بعض الأصدقاء أنه بدأ حياته الصحفية فى مجلة «الفصول» التى كان يصدرها الصحفى الكبير محمد زكى عبد القادر فى الأربعينيات، وكانت قصة هذه البداية كما سمعتها من بهاء على الوجه التالى:

كانت سنة ١٩٤٧ هى السنة التى توافق الذكرى الخمسين لوفاة الزعيم والمصلح والمفكر الإسلامى الكبير جمال الدين الأفغانى، فالأفغانى ولد سنة ١٨٣٨ وتوفى سنة ١٨٩٧ وقد وجد بهاء أن الذكرى الخمسين للأفغانى هى مناسبة لكتابة دراسة

طويلة عنه خاصة أنه كان شديد الإعجاب بشخصيته وأفكاره وأثره القوى في الحياة الفكرية في مصر، وكتب بهاء هذه الدراسة بالفعل، ثم ذهب إلى مجلة «الفصول» وتركها في مظروف مغلق باسم رئيس تحريرها الأستاذ محمد زكى عبد القادر وبعد أسابيع قليلة ظهرت مجلة «الفصول» وفي صدرها هذا البحث الطويل لأحمد بهاء الدين لقد أعجب محمد زكى عبد القادر ببحث بهاء عن الأفغانى فنشره دون أن يعرف شيئاً عن صاحبه، ودون أن يكون لصاحب البحث في تلك الفترة اسم معروف بين أصحاب الأقلام في مصر .

إشراف كامل على تحرير الفصول

وبعد ذلك ذهب بهاء إلى زكى عبد القادر وطالبه بالاستمرار في الكتابة لمجلة «الفصول» الشهرية، وبعد فترة قليلة أسند زكى عبد القادر إلى بهاء الإشراف الكامل على تحرير مجلة «الفصول» الشهرية حيث انصرف زكى عبد القادر إلى الاهتمام بعمله في الأهرام وغيرها من الصحف الكبرى وبذل بهاء جهداً كبيراً في الإشراف على تحرير «الفصول» وجعل منها مجلة ثقافية شعبية، ودعا الكثيرين من أبناء جيله أصحاب الأقلام الجديدة، للكتابة فيها، وهنا لابد أن نلتفت في هذه القصة إلى أمرين، الأول هو روح «التشجيع» التي كانت تسيطر على الكثيرين من جيل الرواد، ومنهم زكى عبد القادر الذى تحمس

لبهاء دون أن يعرفه إلا من خلال قلمه وموهبته .

والأمر الثانى الذى يجب أن نلتفت إليه هنا هو أن بهاء منذ بدايته كان يبحث دائما عن «سبب» أو «مبرر» للكتابة وقد ظل بهاء طيلة حياته حريصا على هذا الموقف فكانت كتاباته دائما مرتبطة باهتمامات الناس وهمومهم وأسئلتهم المطروحة ولم تكن أبدا كتابة لمجرد الكتابة .

وقد دفعتنى هذه القصة التى سمعتها من بهاء حول بدايته الصحفية، وحول أول موضوع نشرته الصحف والمجلات له، وهو دراسته لشخصية جمال الدين الأفغانى وأفكاره دفعتنى هذه القصة إلى مراجعة أعداد مجلة «الفصول» حتى أتمكن من رسم صورة أكمل وأدق لبدايات أحمد بهاء الدين فى ميدان الصحافة والثقافة .

وعندما عدت إلى أعداد مجلة «الفصول» فى دار الكتب المصرية فوجئت بأن أحمد بهاء الدين قد بدأ حياته فى ميدان الكتابة شاعرا فقد وجدت له عدة قصائد منشورة باسمه فى مجلة «الفصول» وكانت هذه المفاجأة بالنسبة لى مفاجأة حسنة جدا، ذلك لأنها أثبتت ما كنت أحس به دائما من أن النبع الأساسى لكتابة بهاء هو نبع الموهبة الأدبية، وأن أسلوبه الممتع السهل الجميل، هو أسلوب ينطوى فى داخله على «قدرة شعرية» نحسها بين السطور ونحسها فى تلك الموسيقى الخفية

التي تملأ كتابته وتعطيها تلك العذوبة الجمالية الرائعة.

لقد بدأ أحمد بهاء الدين حياته في ميدان الكتابة شاعرا... هذه هي الحقيقة التي فاجأتني وأنا أتصفح مجلة «الفصول» التي كان تصدر في الأربعينيات.

بهاء من أصحاب الأساليب الجميلة

وهنا لابد من استطراد صغير، فكل أصحاب الأساليب الجميلة في أدبنا المعاصر قد بدأوا بالشعر، ثم ترك معظمهم هذه البداية الشعرية، ولكن «روح الشعر» وجماله وموسيقاه ظلت مسيطرة على أساليبهم النثرية بعد ذلك، فطه حسين والعقاد والمازني وزكي مبارك والزيات ومنصور، كانت لهم جميعا بدايات شعرية متفاوتة في القيمة والكم، وقد تركوا الشعر جميعا وانصرفوا إلى الكتابة النثرية، باستثناء العقاد الذي أصر على كتابة الشعر حتى النهاية، فظل يكتب الشعر إلى جانب الكتابات الأخرى المتنوعة في النقد والتاريخ والدين والسياسة .

وها هو أحمد بهاء الدين يؤكد هذه الظاهرة التي تكاد تكون قاعدة، وهي أن أصحاب الأساليب الجميلة في الكتابة لابد أن تكون بدايتهم شعرية، ويعد ذلك فهم يتركون الشعر بشكله المعروف، وتبقى لهم من الشعر روحه التي تساعد أصحابها مساعدة قوية على أن يكونوا أصحاب أسلوب جميل متميز ..

وليس من الضروري أن تكون البداية الشعرية عند هؤلاء الكتاب أصحاب الأساليب الجميلة المتميزة بداية شعرية قوية ، بل- على العكس- فإن الكثير من البدايات الشعرية لهؤلاء الكتاب هي بدايات متواضعة بالمقاييس الشعرية الخالصة، وقد أدرك أصحابها ذلك، فانصرفوا عن الشعر ولم يحاولوا بذل جهود أخرى في ميدانه، باستثناء العقاد كما سبقت الإشارة فهو حالة خاصة، وشعره يثير كثيرا من الجدل والاختلاف بين النقاد وليس هنا مجال معالجة «شعر العقاد» وما يثيره من قضايا. فذلك موضوع آخر يختلف عن موضوعنا اليوم، وهو «البداية الشعرية» لأحمد بهاء الدين، والتي تفسر لنا جمال أسلوبه وعذوبته وما نحسه فيه من متعة وإيقاع موسيقى، فقد بدأ أحمد بهاء شاعرا وترك الشعر، ولكن الشعر لم يتركه فبقى متوهجا في كتاباته النثرية المختلفة .

وسوف أقدم هنا ما عثرت عليه من شعر أحمد بهاء الدين ويتمثل في مقطوعتين صغيرتين وقصيدتين متوسطتين، ومن الملاحظ في هذا الشعر كله أنه تسوده روح «رومانسية» مليئة بالحنن والتشاؤم، أما من حيث الصياغة فهي صياغة تقليدية لا يخفى فيها أثر قراءة بهاء للشعر العربي القديم.

والحنن والتشاؤم في هذه القصائد التي كتبها أحمد بهاء الدين لهما أسباب مفهومة، فقد كتب بهاء معظم هذه القصائد

سنة ١٩٤٧ أى عندما كان فى العشرين من عمره، وفى هذه المرحلة تسيطر النزعة «الرومانسية» - فى العادة - على نفوس الشباب الذين يبدأون رحلاتهم مع الحياة العملية، وتصطدم أحلامهم المثالية بالتجارب الواقعية ومن ناحية أخرى فقد كانت مصر فى تلك الفترة تمر بظروف عسيرة صعبة بسبب الاحتلال الانجليزى للبلاد، وسوء الأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للشعب المصرى، وفى هذه الفترة نفسها كانت المدرسة الشعرية المسيطرة على الساحة الأدبية فى مصر هى المدرسة الرومانسية التى كان من أعلامها: إبراهيم ناجى وعلى محمود طه ومحمود حسن اسماعيل وأحمد رامى وغيرهم، وكانت هذه المدرسة الشعرية الرومانسية تنظر إلى الحياة تلك النظرة الحزينة المتشائمة التى نجدها فى قصائد أحمد بهاء الدين، ولم يكن من الغريب أن يتأثر بهاء بهذه المدرسة الشعرية السائدة .

وهذه هى النصوص الشعرية التى عثرت عليها لأحمد بهاء الدين فى مجلد سنة ١٩٤٧ من مجلة «الفصول التى كان يملكها ويرأس تحريرها محمد زكى عبد القادر وهذه النصوص الشعرية ليست مهمة فى ذاتها بقدر أهميتها فيما تدل عليه من أن أحمد بهاء الدين قد بدأ شاعرا وأن موهبته الشعرية هى التى منحته القدرة العالية على أن يكو كاتباً صاحب أسلوب جميل متميز

وممتع:

١- النص الأول هو مقطوعة من أربع أبيات بعنوان «ضيق»
يقول فيها «الشاعر» أحمد بهاء الدين :

زمنى يضيق وكل يوم يطوى لى فسيه أمل
وأنا هنا... أستعرض الأيام لما ترتحل
لا أستطيع السير فى تيارها، أو أنتقل
وإذا جرؤت وقلت أمشى كم تضيق بى السبل

٢- النص الثانى مقطوعة من بيتين بعنوان يامصر يقول
فيها :

يامصر لو شئت الفداء وجدتنى
فى مطلع الأبرار واسمك فى فمى
وكسما رويت بمساء نيلك غلتى
أروى ثراك بمسا تريدى من دى
وفى البيت الأخير خطأ لغوى فى كلمة «تريدى» فالصحيح
«تريدى»

٣- النص الثالث قصيدة بعنوان «دموع فى الليل» وهى
مكونة من أحد عشر بيتا وفيها يقول أحمد بهاء الدين :

در على خسى وفى أهدا بى
ياليل تلمع مثل نجم خسابى
فأرفق بنا ياليل واستر دمعته

لاتستبـاح لشـامت عـيـاب
يالـيل كم أـرقت فـيك ضـحـية
تـجـنى عـلى خـواطـرى وحـسـابى
أـيام أودعت الطـباء مـخـيرا
قلـبـا نـقـيـا لم يـقع بـتـراب
فسـفـكن مـن دمـه العـزـيز وقلـن لى:
بـدم الـهـوى نـزوان لا بـخـضـاب
أتـضـمـمـهم يالـيل حـين تـضـمـنى؟
ويـهـزُّهم يالـيل ذكـر ذهابى
أم أنـهم يا لـيل قد جـحدوا هوى
عاشـسوا به حـينا وراح صـوابى
فـاذكـر لـهم يالـيل إن طال النوى
شـعـرى، ونـجـواى لـهم وعـتابى
ويـحـقـنا يالـيل، فـلتـحـمل لـهم
إن سـاعـلوا عـنى النـجـوم، جـوابى
بـين القـلوب وبـين قـلـيب المـنى
أنـفـقت عـمـرا أين مـنه شـبـابى
وسـطـرت تـاريخ الشـباب فلم أـجد

إلا دموعا في سطور كتابي

٤- النص الرابع قصيدة من تسعة أبيات بعنوان «الصبر في
يأسه مصرع» وفي هذه القصيدة «اضطراب» محدود في الوزن
نلاحظه في الشطر الثاني من البيت الرابع :

عزیز علی الحـریر یا أدمع
یسـیل عـصـیـک والطیع
وفي القلب من صـبـره حـرقـة
وللصـبر فی یأسه مـصرع
یجـالـد دهرًا عظیم الأذى
ومما عـاد فی قـوسه منزع
یعیش بلیل طویل المـدی
کأن نهـاره لا یطلع
وإنی کالتـبر فی منجم
علیه التـراب فـما یسطع
یداس فکم جـاهل فـوقه
یدب وکم أحـمق یرتع
وإنی لکالنور فی کـوة
علیها الستائر ما ترفع

فـيـا قـلـب رـشـدك إـن الـذـى
يـمـنـى لـه الـظـن لا يـنـفـع
سـتـحـيا وتـشـقى وتـشـهد ما
يـمـسـت الـنـفـوس وما يـوجـع

تلك هى النصوص التى عثرت عليها من أشعار أحمد بهاء الدين، وهى نصوص تتيح فرصا عديدة للتفكير والتأمل، خاصة إذا نظرنا إليها على أنها كانت من البدايات الأولى لهذا الكاتب المبدع الكبير أحمد بهاء الدين وكان فيها إشارة إلى أصالة موهبته الأدبية، التى تألفت فيما بعد فى كتاباته الرائدة، وهى كتابات كانت وستظل من الكتابات التى وجهت جيلنا وعصرنا وأثرت فيهما أعمق التأثير مما جمعته من أفكار أصيلة وأسلوب جميل ممتع سهل يمس القلوب ويحرك العقول والأفكار .

أما هذه القصائد فى حد ذاتها فقيمتها محدودة، وهى تكتسب أهميتها من أنها تكشف عن بعض الينابيع الأولى فى عبقرية أحمد بهاء الدين .

ولعلنا نستطيع فى المستقبل أن نعثر على أشعار أخرى لأحمد بهاء الدين منشورة أو غير منشورة تضاف إلى هذه القصائد القليلة وتمثل معها وثيقة من الوثائق الأدبية المهمة فى دلالتها ومغزاها ونوعية الهموم الخاصة والعامة والتى كانت

تحملها تلك الفترة الأولى من حياة أحمد بهاء الدين، فإن لم نعثر على شيء آخر، فيكفيها تلك القصيدة الرائعة بل الملحمة الشعرية الكبيرة والتي تمثلها حياة أحمد بهاء الدين الفكرية منذ أن كتب أول موضوع له عن جمال الدين الأفغانى إلى الآن، فأحمد بهاء الدين فى رحلته الطويلة هو شاعر مبدع فى كتاباته السياسية والتاريخية وفى مواقفه الفكرية والإنسانية المختلفة .

له الحب، وأخلص الدعوات بالشفاء

أحمد بهاء الدين «شبابا»!

رشاد كامل

فى هدوء شديد وصمت أشد فوجىء الناس عامة والمتقفون خاصة بصذور مجلة اسمها «الفصول» فى صيف عام ١٩٤٤ . كانت هذه المجلة حدثا ثقافيا وأديبيا فى تلك الأيام والسنوات التى تلتها أيضا!!

كان رئيس تحرير هذه المجلة الشهرية وصاحب امتيازها هو الكاتب الكبير «محمد زكى عبد القادر» صاحب أشهر عمود فى الصحافة المصرية طوال ٤٠ عاما وهو عمود «نحو النور».

وقبل ذلك كان «محمد زكى عبد القادر» مشغولا مع عدد من رجال الفكر والسياسة والاقتصاد بتكوين «جماعة النهضة القومية» وهى جماعة تعنى ببحث مشكلات مصر ودراساتها دراسة موضوعية وإصدار كتب أو نشرات عنها كمحاولة لتكوين رأى عام مستنير يتجه إلى الإصلاح بروح فاهمة ودارسة .

واختار أعضاء هذه الجماعة أن يجتمعوا فى مقر مجلة

«الفصول» (١٧ش شريف) وكان من بين الموضوعات التي ناقشوها - وسرعان ما وجدت طريقها للنشر في «الفصول» - موضوعات مثل الإصلاح الزراعى والملكية الزراعية والنظام البرلمانى والتنمية الاقتصادية .

ومن الكتب الهامة والخطيرة التى صدرت عن اعضاء هذه الجماعة: الإصلاح الزراعى لمريت غالى، والبنك المركزى للدكتور احمد ابراهيم والوضع القانونى للمسألة المصرية السودانية للدكتور زهير جرانة، ومسألة فلسطين لجفرى بطرس غالى، والنظام الدولى للدكتور وحيد رأفت!!

باختصار شديد جذبت مقالات ودراسات وأبحاث «الفصول» أغلب شباب مصر الذى كان يبحث عن الجدية والجدة.. كانت مجلة تعبر عن قلق الشباب وهمومه الوطنية فى شكلها العام.. واجتذبت الفصول عشرات الأسماء الشابة فى ذلك الوقت، وكان أحمد بهاء الدين (١٧سنة) أحد هؤلاء الشباب الجادين!! .

عن أحمد بهاء الدين وباقى زملاء جيله الشباب كتب محمد زكى عبد القادر فى سيرته الذاتية «أقدام على الطريق» يقول : كانت «الفصول» حينئذ قد بلغت درجة كبيرة من الذبوع والانتشار وكما كانت مجالا لأقلام الكثيرين من أصحاب الفكر والرأى كانت أيضا مجالا لأصحاب الأقلام من الشبان الجدد.. وكنت أرحب بهم وأعطيهم فرصا متساوية... بعضهم بل كلهم

تقريباً، لم تكن لى معرفة سابقة بهم، جاعونى على غير معرفة
وقدموا إنتاجهم، وكنت أقرأه بإمعان ، فإذا أجزته نشرته دون
احتفال بما إذا كان الاسم معروفاً أو غير معروف.. وجرت أقلام
عديدة على صفحات الفصول وأصبح للكثير منها اسم وذكر
وتألق فيما بعد.. عثمان العنتبلى.. سعد رضوان.. حسين
القبانى.. موسى صبرى.. أحمد حمروش.. يحيى أبو بكر..
يوسف الشارونى.. عادل ثابت.. أحمد بهاء الدين.. فتحى غانم...
نعمان عاشور.. أنور المشرى..

ويختتم زكى عبد القادر كلامه قائلاً : وكان الأستاذ أحمد
بهاء الدين أكثرهم مواظبة وتحمساً، وأنست له، وأفسحت له
الكثير من الصفحات، ثم حدث أن زادت مشغولياتى فى
«الأهرام» بعد وفاة المرحوم «انطون الجميل باشا» فزادت
مسئولياته فى الفصول إذ أصبح يقوم بأكثر العمل فيها أو كله،
ص ٤٨٣ و٤٨٤ .

وعن ذكريات هذه المرحلة عامة ومجلة «الفصول» خاصة ،
قال الأستاذ «أحمد بهاء الدين» (ضمن حوار طويل نشر فى
مجلة صباح الخير» ما يلى :

«كانت «الفصول» مجلة مصرية الطابع والاهتمامات، وقد
ظهرت رداً على مجلة المختار (رديز دايجست) وكانت هذه
المجلة - أى الفصول - لها طابع فكرى جاد وكنت من قرائها،

وأرسلت لها بعض المقالات كقارىء ونشرت لى، وذهبت إلى الأستاذ «محمد زكى عبد القادر» صاحبها ورئيس تحريرها - بدون سابق معرفة - وعرفته بنفسى وقلت له: أننى أحب أن أكتب فى المجلة!

فطلب منى الأستاذ زكى عبد القادر. أن أقدم له مواداً لتنشر فى المجلة!

وفى نفس حوارى السابق مع الأستاذ «أحمد بهاء الدين» وعندما أعدت على مسامعه سطور الأستاذ زكى عبد القادر عنه، ظهر التأثير الشديد عليه وقال لى :

«أنا أعتز بهذه الفترة جدا ، فقد أصبحت مدير تحرير الفصول وعمري وقتها حوالى ٢١ أو ٢٢ سنة ، لأنه واقعيا كان الأستاذ «زكى عبد القادر» قد أصبح رئيسا لتحرير الأهرام، ورغم أن الفصول كانت شهرية ومحدودة الانتشار لكن سرعان ما أصبح لها مركز جذب للمثقفين .

وأعتز - أى بهاء - أننى نشرت لأول مرة لعدد من الكتاب الذين أصبحوا فيما بعد من أصحاب الأسماء اللامعة، وكانوا يومها مغمورين، وكتبوا فى «الفصول» لأول مرة بأسمائهم ومنهم فتحى غانم وعبد الرحمن الشرقاوى، وأحمد رشدى صالح وكان وقتها مختفياً لأنه كان مطلوب القبض عليه ويكتب باسم مستعار، وأيضاً نشرت للدكتور على الراعى ويوسف الشارونى

ونعمان عاشور وبدر الدين أبو غازي وعدد ملفت آخر غيرهم تجمع في مكتب الفصول، وسرعان ما تحول ذلك كله إلى نوع من الملتقى.

إنها فترة مهمة جدا وجميلة من حياتي، هكذا قال «أحمد بهاء الدين عن تجربته في الفصول»!

وواقع الحال أن «أحمد بهاء الدين» رغم صغر سنه فقد أصبح هو الآخر نقطة جذب للكثير من الشباب المثقف في ذلك الوقت، كانوا يقرأون مقالاته في الفصول فيظنون أن كاتبها لا بد وأن يكون رجلا تجاوز الأربعينات من العمر.

وهذه شهادة المثقف العربي الكبير أكرم ميداني، (والذي يشغل الآن منصب استاذ الفن والأدب الانجليزى بجامعة كارنيجي ميللون في بتسبرج بالولايات المتحدة) يقول أكرم ميداني :

في خريف سنة ١٩٤٨ بدأت أقرأ مجلة شهرية محدودة التوزيع اسمها «الفصول» وصاحبها «محمد زكى عبد القادر» وكان من الكتاب ذوى الفكر النزيه، وقد أصبح هدف غضب السراى لأنه كان ممن يدافعون عن الدستور بحرارة، ولما تولى إسماعيل صدقى رئاسة الوزارة بعد استقالة وزارة النقراشى عام ١٩٤٦ كان من أغراضه القضاء على كل من هو صاحب فكر حر تحت ستار محاربة الشيوعية، واستهدف عددا من

الكتاب والمثقفين مثل د. محمد مندور وسلامة موسى ومحمد زكى عبد القادر.

وكان محمد زكى عبد القادر بسمعته النظيفة قد استقطب عددا من المفكرين من الشباب وغيرهم منهم مريت غالى أول من نادى بالإصلاح الزراعى ضمن إطار عقلانى منظم أما مجلة الفصول فكانت قد أخذت شكلا حديثا جذابا مقروءا وذلك بفضل محرر جديد بدأ اسمه يظهر على صفحاتها : أحمد بهاء الدين .

وكنت وصديقى «نعمان عاشور» نرقب فى ذلك الحين هذه الأسماء الجديدة ونناقش ما تكتب ، وسألت نعمان عما يظن فى هذا الوجه الجديد فأجاب بأنه يعتقد أن الكاتب الذى ينشر باسم «أحمد بهاء الدين» هو كاتب ذكى محنك لابد وأنه من الشخصيات المجربة وقد أثر أن يكتب باسم «أحمد بهاء الدين» (هذا الاسم متماسك متكامل ولا يمكن أن يكون اسما طبيعيا، إنه لون شك اسم مستعار انتحله، رجل مهم من السياسة أو الاقتصاد أو المحاماة) .

ويضيف أكرم ميدانى فى نفس شهادته قائلا:

رغم إننى لم أقتنع تماما بافتراض «نعمان عاشور» لكننى وجدته مقبولا، حتى وقعت مفاجأة ، فقد جاعنى «نعمان» ذات يوم يقول إن «أحمد بهاء الدين ليس اسما مستعارا بل هو اسم حقيقى لمحام شاب يعمل بوزارة المعارف، وقد تبين له هذا من

خلال شخص يعرفه على صلة بمحرر مجلة الفصول، قال نعمان إن صديقه الذى يؤكد على حقيقة قوله على استعداد ليأخذنا معا إلى مجلة الفصول ويقدمنا إلى محررها .

وذهبنا إلى المجلة ذات يوم عند الساعة الخامسة بعد الظهر فى مكتب محمد زكى عبد القادر للمحاماة، وفى غرفة صغيرة نظيفة قليلة الضوء مكتب جلس خلفه شاب فى الواحد والعشرين من العمر.

قال لى نعمان عقب هذه الزيارة إنه أول انطباع تكون لديه أن «أحمد بهاء الدين» هو صورة «مخلق منطق» للمصرى أفندى كما كان يرسمه «صاروخان» فى مجلة آخر ساعة ، كانت هذه الملاحظة فى محلها، وقد تأملت طويلا صدق معناها بعد أن توثقت علاقتنا واتصلت مدى السنين: الذكاء والصوت الهادى والطبع الدمث، بل أكثر من هذا كله صورة المصرى الوديع الذى يحمل إرادة صلبة ونفسا أبية» .

بعد زيارة التعارف بدأت أزور بهاء فى مجلة الفصول وأحيانا فى مكتبه اليومى حيث كان منذ أواخر سنة ١٩٤٧ موظفا فى إدارة التحقيقات بوزارة المعارف، وقد ذكر لى بصوت الفخر والإعتزاز إنها الإدارة التى كان يرأسها «توفيق الحكيم» فى الماضى القريب.

فى الأسابيع الأولى من معرفتنا أخذت أدرك الجوانب

الأصيلة فى شخصية صديقى الجديد، أولها الصدق، والأمانة فى المعرفة الذاتية، وكنت أظن أن تعلمه القانون قد طوع نفسه ليصبح دائما قاضيا يدرك ماله وما عليه، لكننى بعد حين تبين أن هذه خصلة مصرية قد أفتقدتها لدى الآخرين وهى التى تظهر الآن فى شخص بهاء».

قال لى إنه يفكر منذ حين فى إصدار عدد خاص من مجلة «الفصول» ليكون معدا للطبع فى أواخر سنة ١٩٤٩ عن مصر فى النصف الأول من القرن العشرين ، وطلب منى أن أفكر فى موضوع أساهم به فى هذا العدد، وقال إن الغرض ألا يمتدح العدد ما أنجزه المصريون فى هذه الفترة لأن هذا شأن بل لينظر إلى مصر من الداخل ويعرف عالم المسئولية العامة .

وسمعت منه فى ذلك الحين قبل، أن تطرح مسألة العمل السياسى واختلافها عن الشعارات أن تقبل النقد من الداخل هو أول ما ينبغى أن يتعلمه الناس حتى لا يقع أحد فى أحبولة الكذب وأن الحاكم الذى يصيغ الكلمات لإغراء المحكوم وتغطية عينه بالوهم إنما هو الذى يبسط الطريق إلى الفساد وعباءة العجز..»

كتبت لعدد الفصول الخاص مقالا مطولا عن الصحافة فى مصر فى نصف قرن وكان مطابقا لمعرفتى مصر وتربيتى على أرضها لأننى بدأتها عن طريق قراءة الصحف، ويظهر أن المقال نال قبول واستحسان محمد زكى عبد القادر الذى طلب أن

أقابله، وبعد ذلك أصبحت عضواً في أسرة الفصول، أحضر ندوتها مساء كل خميس في منتصف الشهر .

قال لي بهاء بعد أن أصبحت من كتاب المجلة أن أضع في حسابي أنه ليست هناك أجور تدفع للمحررين حتى هو كمسئول عن التحرير لا يتقاضى أجراً عن عمله، ولم أناقش هذا الأمر معه كثيراً لأنني اقتنعت برأيه وهو أن المجلة لها سمعة جيدة بين المثقفين والكتابة فيها تتيح مجالا لتعلم المهنة، ودار في خاطري أن هذا ما جعل بهاء يعطى جهداً ووقته دون أجر، فقد كان دؤوباً في كتابته، ومجداً في إدارة التحرير كي يتعلم المهنة .

لكن هذا لم يرض صديقي نعمان عاشور، وأخذ يسلط نكته اللاذعة على المجلة وصاحبها وقد كان في رأيه إنها مسألة مبدأ، إذ يشترط في احتراف أية مهنة، أن يدفع أجر للممتهنين .

وعندما كان «نعمان عاشور» يحضر ندوة الفصول في مساء الخميس يكثر من أكل الكنافة التي يأتي بها زكى عبد القادر معتقداً أنه يأخذ شيئاً من حقه لو أكل أكثر من غيره .

ثم يروى «أكرم الميداني» هذه الواقعة البالغة الدلالة فيقول :
ذات يوم سنة ١٩٥١ كنت أنتظر بهاء في مكتبه في مجلة الفصول حين جاء الساعى ووراءه رجل طويل القامة بدت عليه

مظاهر الجد، وأشار الساعى إلى واختفى، سألنى الرجل المحترم: هل أنت الأستاذ أحمد بهاء الدين؟ وقبل أن أجيبه تابع يقول إنه من القراء المعجبين، فهو من بغداد حيث تصل الفصول فى أعداد قليلة، أول شىء يقرأه هو المقال الرئيسى.

وبينما كنت أحاول أن أصحح له ظنه سارع بالقول إنه محام اشترك كوزير للعدل سنة ١٩٤٩ فى وزارة «على جودة الأيوبى» عن الحزب الوطنى الديمقراطى ، وأنه الآن سكرتير عام الحزب إنه «حسين جميل» عند ذلك وجدت أنه لابد لى أن أقطع حديثه بأى شكل، فقلت إننى لست «أحمد بهاء الدين» الذى لم يصل إلى مكتبه بعد، وحاولت تمضية الوقت بالإجابة عن أسئلته عن عمر بهاء ودراسته، وقد دهش عندما عرف إنه لم يبلغ الخامسة والعشرين من العمر بعد، وتوقعت أن يسألنى شيئاً عن مظهره وكنت أنوى أن أقول إنه يبدو وكأنه مازال فى سن السابعة عشر، بعد حين تساءل حسين جميل عما إذا كان يستطيع أن يتركنى بضع دقائق ليذهب إلى إحدى المكتبات القريبة حيث يتوقع كتاباً طلبه هذا الصباح».

بعد حين وصل بهاء فحدثته عن الزائر ثم ذكرت له إنه سأل عن سنه وأضفت من عندى، طوله وعرضه وإننى عندما قلت إنه ما زال شاباً أعرب عن دهشته، وتوقفت لحظة فقال بهاء :

«لعله دهش عندما عرف أننى صغير الحجم، عندما يعود قل

له إن هذا هذا الشخص ليس أحمد بهاء الدين بكامله وإن له بقية ستصل قبل آخر اليوم».

وكانت المقابلة بين «بهاء» و«حسين جميل» بداية صداقة وطيدة كما كانت أول خطوة نحو الصلة بينه وبين المثقفين العرب ، وبدء دخوله بمصريته العميقة إلى حلقة النور العربية التي أثرت في تفكيره السياسى تأثيرا بالغا.

انتهت شهادة أكرم ميدانى عن بهاء ولكن تبقى شهادة بهاء نفسه عن أكرم ميدانى والتي جاءت ضمن مقال جميل نشره على صفحات صباح الخير.

وجاء فى هذا المقال :

كثيرا ما تبدأ الحقائق الكبيرة ببدايات صغيرة ، فمن خلال صديق شخصى لى هو «أكرم ميدانى» وزوجته بدا اهتمامى بالقضية العربية، كان ذلك منذ سنوات كنت أكتب فى مجلة شهرية هى «الفصول» وفى ذات يوم زارنى شاب سورى قال لى إنه موظف فى الجامعة العربية، وأنه قرأ لى بعض ما أكتب فأراد التعرف بى وفى أسابيع قليلة أصبحنا صديقين، وكأنا تربينا سويا، كنا فى أول شبابنا نقرأ بنهم لا مثيل له، ونحمل مشاكل الدنيا كلها على رأسينا، كأنا مكلفان بحلها نيابة عن الناس جميعا.

«أما صديقي «أكرم» فقد كان يملك مكتبة ضخمة في الفن والأدب والسياسة وكان يمتاز بإلمام واسع بحياة البلاد العربية الأخرى وتاريخها وثقافتها وعاداتها» .

والآن تبدأ زيارة سريعة إلى اهتمامات وأفكار أحمد بهاء الدين على صفحات مجلة الفصول ..

ماذا كان يكتب «بهاء»؟ وأى الأشياء والقضايا كان مهتما بها في تلك الأيام.

هذه عناوين بعض المقالات والدراسات، ومنها نعرف الإجابة على اهتمامات «بهاء» وأفكاره الرئيسية في تلك السن المبكرة من حياته .

* هذه الضرائب التي تدفعها!!

* دعاة النفوذ الأمريكى فى مصر وبرنامج النقطة الرابعة!

* تأميم القطن يعود بالفائدة على الدولة والفلاحين .

* قبل إقرار الميزانية الاقتصادية فى خدمة السياسة .

* التيارات الخفية وراء المعركة .

* النظم الرجعية فى الشرق

* أرحموا الاشتراكية

ووسط مشاغل الشباب «أحمد بهاء الدين» (٢٤سنه) كان

يقتطع ساعات من وقته ليعكف على تأليف كتاب سيكون له دوى
خطير وسط المثقفين فى ذلك الوقت.

كان الكتاب هو «الاستعمار الجديد أو برنامج النقطة الرابعة
ويقع فى ٩٤ صفحة واللافت للنظر أن «أحمد بهاء الدين» قام
بطبع الكتاب على نفقته الخاصة كما اعترف لى»

وبغير لف أو دوران يحدد الكاتب الشاب «أحمد بهاء الدين»
الهدف الذى دعاه للكتابة عن «الاستعمار الأمريكى الجديد»
فيقول فى مقدمة الكتاب :

« فى هذه الفترة المضطربة من تاريخ العالم التى تعصف
فيها التيارات بمصر، عصفها بسائر الشعوب المضطهدة وإذ
تتيقظ حركات التحرير السياسى والاقتصادى، وتتقدم الصفوف
طليلة لم تحجب ظلمة الحاضر عن أبصارها بريق المستقبل...
نجد الإمبراطوريات القديمة والجديدة تتساند فى مجهود أخير
لخنق الحرية، دفاعا عن كيائها المتاكل ولاكتساب الأرض التى
فقدتها، مصطنعة فى ذلك حيلة جديدة تخفى عين الشر القديم!

وفى مثل هذه الظروف يصبح فرضا واجبا على كل صاحب
رأى أن يتوجه به إلى المثقفين من مواطنيه، ويصبح فرضا
واجبا على المثقفين المتيقظين أن ينشروه بأقوى ما فى كيانهم
من قوة ، وفى أوسع ما يتيح لهم الوعى المتزايد من نطاق فمن
أجل ذلك كتبت هذه الصفحات..»

بعد ذلك يبدأ أحمد بهاء الدين فى مناقشة برنامج النقطة الرابعة، وتكفى قراءة عناوين فصول الكتاب لتدرك المنهج العلمى والفكر المرتب الذى ساق به «بهاء» عرض موضوعه.

بدأ بهاء بتقديم البرنامج : طبيعته وأغراضه ونطاقه وتنفيذه وتمويله، ثم العقبات التى تعترض تنفيذه!.

ثم قام أحمد بهاء الذين بعرض البرنامج على حقيقته سواء من حيث تصدير رؤوس الأموال الأمريكية ثم أثر التصدير فى البلاد المصدرة والمستوردة، وتجارب الاستعمار السافر، والاستعمار الخفى، كما ناقش مصر وتبعيةها لأمريكا وعلامات الخطر، ووضع اليد على المواد الأولية، والأسباب الاستراتيجية للبرنامج (النقطة الرابعة) .

وفى الفصل الأخير من الكتاب الذى عنوانه «الحكومة المصرية.. تقبل» يعرض بهاء لأخطر وأهم النتائج التى تترتب على هذا البرنامج بعد قبول مصر له!!.

ورغم مرور ما يقرب من ٤٤ عاما على صدور هذا الكتاب فإن إعادة تقليب صفحاته وقراءتها ثانية وثالثة يصبح لها مذاقا مختلفا ورؤية مختلفة، ويبدو الأمر فى النهاية وكأن الدنيا لم تتغير والتاريخ لم يتحرك!!.

يشير أحمد بهاء الدين إلى أن الرئيس الأمريكى «ترومان»

بعد إعادة انتخابه قال أمام الكونجرس في ٢٠ يناير ١٩٤٩: وفي السنوات القادمة سوف ينطوي برنامجنا للسلام والحرية على أربع نقاط» وكانت النقطة الرابعة في برنامج ترومان هي: «يجب أن تنهض ببرنامج جرىء من مقتضاه أن تتمكن المناطق المختلفة اقتصاديا من الإفادة من تقدمنا العلمى والصناعى، ويجب أن يكون هدفنا هو مساعدة الشعوب الحرة فى العالم على أن تنتج بجهودها الخاصة - كميات أكبر- من الغذاء والكساء ومواد البناء والقوى الميكانيكية» .

وثار جدل عنيف حول النقطة الرابعة لا فى أمريكا وحدها بل فى العالم الخارجى أيضا.

ولكن أحمد بهاء الدين ببصيرته الواعية يقول: (ص ٢٨) غير إننا إذ ننعم النظر فى حقيقة هذا البرنامج، وننحى جانبا هذا «الديكور» الذى أحيط به، نجده لا يعدو أن يكون خطة شاملة لتصدير رؤوس الأموال الأمريكية إلى الخارج، وهو بهذا الوصف مرحلة جديدة من مراحل النظام الرأسمالى العتيق(!!) واحد فقط هو الذى جهر بالحقيقة هو نابليون الذى أذهل ساسة أوروبا فى زمنه بصراحته المريكة لأنه «محدث» فى السياسة، تحدث يوما أمام الملأ بأنه سيخرج الانجليز من الهند وقال «سنهجم عليهم، لصوصا على لصوص أقل جرأة: (ص ٤٩) فقد كانت عملية لصوصية حقًا!!(ص ٥٠) ومع ذلك فلو أننا أنعمنا النظر

فى المراكز والأوضاع الاقتصادية «البحتة» التى يحتتمها النظام الرأسمالى الاستعمارى كما خططه برنامج النقطة الرابعة لوجدناها تتلخص فى وضع أمريكا فى مركز الممول ورب العمل، والشعوب المتخلفة، -مصر مثلا- فى مركز العمال ليس للعامل أكثر من أجره مهما اختلف هذا الأجر، وللممول فائض الأرباح، وعلى حين يظل العامل أبدا أسير هذا الأجر لا يرتفع إلى ما فوق بمجرد العيش، يزداد الممول ثراء ، ويتسع نشاطا وإنتاجا وربحا. (ص ٥٤) ..

ببساطة أكثر ووضوح لانظير له يمضى أحمد بهاء الدين شارحا فكرته قائلا :«فإذا افترضنا أن مؤسسة أمريكية فى مصر تنتج ما قدره (١٠٠) فإن (٣٠) على الأكثر من هذه المائة سيدفع فى مصر أجورا للعمال ونفقات أخرى و(٧٠) تخرج من مصر إلى جيوب أصحاب الأسهم فى أمريكا، هذه هى أمريكا وتلك هى مصر (أو أى بلد متخلف يخضع لهذا البرنامج) فالفائدة الاقتصادية لمصر معدومة أو تافهة، ونحن نقصد بمصر الشعب كمجموع ، فإن طبقة معينة من المصريين ستفيد بغير شك من هذا البرنامج، هى طبقة الممولين الذين قد تتاح لهم المساهمة بقسط فى المؤسسات الأمريكية وطبقة المديرين وأعضاء المجالس والوكلاء وغيرهم ممن يدورون فى هذه الحالة بحكم وضعهم -أيضا- فى فلك رأس المال الأمريكى ويصبحون

وقاء له من غضب الشعب أو سخطه أو انتقاده، والثروة القومية لن تزداد بهذا البرنامج شيئاً (ص ٥٥) .

ويضرب بهاء مثلاً له دلالة بقوله: «فاستخراج الحديد من أسوان تحت ظل» النقطة الرابعة» مثلاً لا يؤدي إلى ما يعمر أذهان المصريين من أن تغدو لدينا صناعة قوية تستخرج الحديد وتصنعه سيارات وطائرات وقاطرات ومنتجات مدنية وحربية ، تصنعها مصر، وتستعملها وتتاجر فيها مصر، وتحارب بها مصر. إنما يعنى أن يستخرج الحديد في مصر فقط؟ أو أن يصهر وتصنع منه قضبان الصلب فقط ولكنه يتحول إلى هذه المصنوعات التي أوردناها في الولايات المتحدة(!!) فإذا أقاموا في مصر صناعات ما فهي أيضاً صناعات تابعة، كأن يقام في مصر مثلاً مصنع لهياكل السيارات فهي صناعة حقا، وهي صناعة يعمل فيها آلاف العمال، ولكن هياكل السيارات بغير المحركات التي تصنع وتستورد من أمريكا لا تساوى شيئاً! ولن تصنع المحركات في مصر- طبقاً للنقطة الرابعة- أبدا!! وعلى هذا النحو يصبح اقتصادنا فرعاً مكملًا للاقتصاد الأمريكي، كم ظل فترة طويلة فرعاً للاقتصاد الانجليزي!! (ص ٥٦).

وقرب نهاية الكتاب الصغير الحجم، الكبير القيمة، يؤكد أحمد بهاء الدين وهو يصف حال مصر في منتصف عام ١٩٥١ قائلاً :

«إن أحداً لا ينكر ما نحن عليه من تخلف أو لا يستنكره، بل

لعل كلمة «تخلف» لاتعدو أن تكون تعبيراً مهذباً عن الحقيقة القاسية ولا خلاف على أسباب هذا التخلف فهي تتلخص في ضعف الإنتاج (!!) وسوء التوزيع (!!) فرجال الأعمال الذين يرون العلاج كل العلاج في زيادة الإنتاج فحسب يتجاهلون أن هذا الزائد من الإنتاج بدون، لو وزع بالطريقة التي يوزع بها الدخل القومي في الوقت الحاضر لما تغير الوضع بالنسبة للشعب في شيء، فإن زيادة إنتاج أحد المصانع لايعنى في واقع الأمر زيادة دخل العامل ، بقدر زيادة فائض القيمة الذي يحصل عليه رب العمل، وهذا الوضع هو الذي تفرضه علينا النقطة الرابعة (!!) ص ٨٧.

يضيف بهاء لما سبق قوله :«إن في مصر رؤوس أموال (!!) ولأن حكومة مصر لم تستنفذ بعد شتى الطرق لتوجيه رؤوس الأموال المحلية وجهة الإنتاج المثمر حتى تذهب فتنظم طرق تشجيع رؤوس الأموال الأجنبية على الاستثمار في مصر (!!) وقد كنا مستطيعين أن نقول للحكومة في كلمة واحدة أن الطريقة المثلى في الاستفادة من الثراء القومي وتوجيه الإنتاج هي الطريقة الاشتراكية التي تهدف إلى زيادة الإنتاج بما يحقق أكبر خدمات ممكنة، لا أكبر أرباح للمنتج، كما تهدف إلى إقرار العدل الاجتماعي في التوزيع، غير أننا لانريد أن ندخل الآن (١٩٥١) في جدل مباشر عن النظام الاشتراكي (!!) مؤكدين أن الحكومة

- لو أرادت - لاستطاعت أن تحقق الكثير من هذه الأغراض في ظل النظام الرأسمالى الذى تتمسك به! .

فنحن نعرف أن الأغنياء عندنا ما زالوا يحبسون أموالهم فى الاستغلال الزراعى وأن إقبالهم على الصناعة أضعف مما يمكن أن يكون. فالغنى الذى يملك آلاف الأفدنة يتبقى لديه كل سنة - بعد الأنفاق والاستهلاك - فائض كبير من الأموال، والحكومة تترك له هذا الفائض سليما تقريبا دون أن تفرض عليه الضرائب المناسبة(!!) وهو لا يجد بابا يستثمر فيه هذه الأموال غير باب واحد هو : شراء الأرض فمن عنده ألف يريدها الفين، ومن عنده ألفى يريدها ثلاثة!!(ص ٨٨)، ومساحة الأرض المزروعة عندنا ثابتة لاتزيد تقريبا ولكن المشترين يتزايدون ، والفائض من أموالهم يتجدد كل سنة ويتراكم، يزيد الطلب والعرض ثابت، فتكون النتيجة ارتفاع ثمن الأرض ارتفاعا سريعا مضطردا حتى أصبح ثمن الفدان الواحد يصل إلى ٧٠٠ جنيه(سبعمائة جنيه!!!) .

ويضيف بهاء بقوله: بل إن هذا النطاق الضيق الذى تعمل فيه رؤوس الأموال المصرية لايشمل «الأرض» بوجه عام، بل الأرض المزروعة الجيدة فحسب، فقلما نجد مالكا مصرية يقدم على إستصلاح أرض جديدة ذلك لأنه لايفكر فى خطط طويلة لتنمية الثروة(!!)(ص ٨٩ إن رؤوس الأموال المصرية ما زالت تتميز

«بجبين» ملحوظ فهي لاتجسر على اقتحام ميادين الصناعة والاستصلاح وتفضل أن تظل منكشبة في نفس نطاقها القديم :
الأراضى الجيدة والأسواق المعروفة للتصريف!!
بل ونفس المحاصيل أيضا!!

ويتساءل أحمد بهاء (صيف ١٩٥١) لماذا لاتوقف الحكومة هذا التيار المدمر؟! لماذا لاتضع حدا أعلى للملكية الزراعية وتقرن ذلك بضرورية تصاعدية باهظة على الأراضى (جبرى ذلك بعد الثورة فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢) ليس فى الأمر مصادرة ولانزع ملكية ولا إعادة توزيع.. أنه مجرد تحويل لقبض المال الذى يتراكم فى الريف ويضيع فى المزايدة إلى ميدان الصناعة الرحب(!!)ص ٩٠.

ويتساءل بهاء ثانية: ولماذا تقف الحكومة فى وجه الإسراف والاستهلاك الزائد عن الحاجة، بالضرائب والجمارك وغيرها، هذا الإسراف الذى أدى إليه ما أسلفناه من تراكم الأموال فى أيدي قليلة مما أصبح إنفاق المال معه نوعا من الضياع أو التجميد: من ذلك إنفاق جانب كبير من الأموال فى شراء السيارات والفريجيدرات» والطور وتجميد مئات الألوف من الجنيهات فى خاتم يتحلى به رجل أو عقد يزين صدر حسناء، وثمان حبة واحدة من حبات العقد يفتح أبواب العمل والكسب أمام عشرات من المواطنين(!!).

وبسخرية لاذعة يقول بهاء: «وهذه الحكومة المصرية التي تريد أن تستقدم مختلف أنواع البعث الفنية، لتبحث عن احتمالات الاستثمار وأحسن إمكانياته وتهيئة الجو لرؤوس الأموال الأمريكية لماذا لاتقوم بهذه الخدمات لحساب رؤوس الأموال المحلية؟! ولماذا لاتتبنى المشروعات المنتجة فتقترض من السوق المحلى للقيام بها، أو تشارك فيها شركات محلية أو تنفرد بها بوسائلها الخاصة وأهمها الضرائب؟! إن رسم الخطط السليمة لأى ناحية من نواحي الاستثمار كاف لاجتذاب الشركات والمدخرات.(ص ٩١).

ويختتم بهاء كلامه قائلا بتساؤل :

وهل يستعصى على الدولة المصرية بنظمها الحاضرة أن تنهض بمشروع للسنوات الخمس ينتظم كل هذه الجهود لدفع الإنتاج إلى أعلى، إن هذه الحلول على الأقل تبقى زمام الأمر فى أيدينا وتجعل طريق التطور والرقى مفتوحا أمام الشعوب التى يجب أن يبقى لها الحق فى أن تبدل فى أشكال المجتمع الذى تعيش فيه فى اللحظة التى تختارها: فهل يرى المسئولون فينا والذين يدعون للاستعمار الأمريكى بين ظهرانينا هذا الرأى أم أنهم يفضلون تسليم البلد لرأس المال الأمريكى والاعتماد على صدقته؟! ص ٩٢ ..

هذا باختصار شديد ما كان يؤرق بال وفكر وعقل الشاب

أحمد بهاء الدين فى منتصف عام ١٩٥١.

هموم وقضايا الوطن من العدل والعدالة إلى الاستعمار
والاحتلال كانت هى القضية التى كرس لها قلمه عبر صفحات
مجلة «الفصول»!

ووسط هذه الهموم والمشاكل كان لأحمد بهاء الدين
اهتماماته الأدبية وعلى صفحات «الفصول» أيضا نكتشف معا
هذه المفاجأة الأدبية ..

أحمد بهاء الدين شاعرا!!

نعم على صفحات «الفصول» مارس أحمد بهاء الدين كتابة
المقال السياسى والاجتماعى والثقافى لكن اعتبر حقا- وربما
المدىحش فى نفس الوقت- أنه جرب كتابة الشعر!! نعم كتب
أحمد بهاء الدين القصيدة العمودية التى يلتزم فيها بالوزن
والقافية!!

وفى الصفحة الأخيرة من «الفصول» (أغسطس ١٩٤٧)
نشرت المجلة قصيدة للأستاذ أحمد بهاء الدين كان عنوانها
(والصبر فى بأسه مصرع) تتكون من تسعة أبيات ويقول فيها:

عزيز على الحر يا أدمع

يسيل عـصـيـك والطـيـع

وفى القلب - من صبره - فرقة

والصبر- فى يأسه- مصرع
يجسد الدهر عظيم الأذى
وما عاد فى قوسه منزع
يعيش بليل طويل المدى
كأنه نهارة لا يطلع
وأنى كالتبر فى منجم
عليه التراب فما يسطع
يداس فكم جاهل فوقه
يدب وكم أحرق يرتع
وأنى كالنور فى كوة
عليها الستائر ما ترفع
فيا قلب رشك إن الذى
يمس ثله الظن لا ينفع
ستحيا وتشقى وتشهد ما
يمسيت النفوس وما يوجع!

كان عمر «أحمد بهاء الدين» وقتها ٢٠ عاما، عندما تجاسر
ونشر هذه القصيدة المفرقة فى حزن رومانسى ووجع عاطفى لا
حدود له، وأذكر عندما حاورته فى نوفمبر ١٩٨٠ (بعد ٣٣ عاما

على كتابته الشعر) وذكرته ببعض أبيات قصيدته ضحك طويلا
من أعماق قلبه وقال لى يومها:

من حسن حظ الناس وأيضا من حسن حظى أننى اعتزلت
كتابة الشعر مبكراً جداً، فما كتبته كان رديئاً بشكل لانظير
له. وسيئاً بدرجة لايتصورها أحد.

وأذكر أن الشاعر الكبير الفنان «كامل الشناوى» كان قد عثر
على عدد مجلة الفصول المنشور به هذه القصيدة البائسة، ومن
حين لآخر كان يهددنى بأنه سينشرها فى أخبار اليوم التى كنت
أرأس تحريرها وقتها.. والحمد لله أنه لم يفعلها!!

ويضحك أحمد بهاء الدين وهو يضيف فى فترة من فترات
المراهقة ظننت أننى ساكون شاعرا كبيرا.. أحمد شوقى مثلاً..
فقد كنت أعشق واحفظ معظم القصائد والأشعار الوطنية
والسياسية لشوقى وحافظ إبراهيم!

ويروى أحمد بهاء الدين قصة لها مغزاها عندما كان طالبا
بكلية الحقوق، وكان له زميل وصديق قريب إلى قلبه هو د. عبد
الوهاب العشماوى، يدرس معه بنفس الكلية فيقول: (وكنت أنا
وعبد الوهاب نجلس فى مدرج كلية الحقوق نستمتع إلى
محاضرات القانون، فإذا كان الدرس مملا تبادلنا كتابة الشعر:
يبدأ أحدهنا كتابة قصيدة ويرسلها للآخر، ليكملها ويعيدها،
وهكذا نتبادل مرات فى المدرج فى هدوء شديد، تحت عين

الأستاذ الذى كان يستنتج من استغراقنا فى الكتابة إننا تلاميذ نجباء جدا(!!) وكان العشماوى باشا (والد صديق بهاء) إذا أراد أن يرفه عنا من وطأة المذاكرة يقول لنا: هيا أسمعونى النص الكامل لمسرحية «مجنون ليلى لشوقى مثلاً.. فنقرأها من الذاكرة ويصحح لنا ما فاتنا»..

وعن هذا الجانب أيضاً، وهو جانب الاهتمام بالأدب والشعر يضيف «أكرم ميدانى»: (كان يعرف عن «بهاء» ولعه الشديد بالقراءة، كما بدأت تظهر معالم الأسلوب الرائق فى كتابته، وكان يحفظ صفحات من كتب «طه حسين» يرددها بين زملائه من «الأيام» و«دعاء الكروان») .

وصادقه مرة طالب كا يواجه الدراسة بصعوبة فكان يقصد مشورة بهاء بعد كل محاضرة ويسأله أن يشرح له بعضها أو بعض النصوص فى الكتب القانونية، ولم يكن بهاء ييخل على أحد بما لديه ، غير أن هذا الطالب لزم جانبه زمناً حتى جاءه مرة بطلب غريب وهو أن يكتب له قصيدة ليرسلها باسمه (أى اسم الطالب) إلى فتاة وقع فى غرامها ويرغب أن يعبر لها عن حبه.

(فى أول الأمر) اعتذر له بهاء بأنه لم يتقن كتابة الشعر حتى يلبي مثل هذا الطلب لكن العاشق الولهان لم يصدق! هل هذا

معقول؟ «أحمد بهاء الدين» لا يقدر على كتابة قصيدة؟! وألح في طلبه يوما بعد يوم، ولم يستطع بهاء أن يقنعه بأن يتوقف، وأصبح الإلحاح شديدا أكثر من مرة كل يوم حتى قال له بهاء: هذه قصيدتك وهي ليست باللغة الفصحى تماما ولكنها ستصل إلى قلب حبيبك بدون تعب :

ليه يابنفسج بتبهبج وانت زهر حزين
والعين تتابعك وطبعك محتشم ورزين
ملفوف وزاهى ياساهى لم تبوح للعين
بكلمة منك كأنك سر بين اتنين
حسنك فى كونك بلونك تبهج المقهور
الى يزوره سمييره فى الظلام مستور
حطوك خميلة جميلة فوق صدور الغير
تسمع وتسرق يا أزرق همسة التنهيد
اسمع وقوالى مين الى قال معايا أه
بقولها وحدى لوحدى والأسى هواه

وحسب رواية أكرم ميدانى : فقد اختطف العاشق الملح
القصيدة وطار بها ولم يعد ليسأل عن قصيدة أخرى.
وكانت هذه آخر تجربة لبهاء فى شخصية «سيرانو» يتوجه

بشعره إلى «روكسان» من خلف القناع، كانت القصيدة كلمات
دور البنفسج الشهير لصالح عبد الحى من شعر «محمود بيرم
التونسي»!!

ودلالة هذه القصة ببساطة بالغة أنه لو لم يكن «بهاء» متذوقا
وعاشقا للفنون لما أهدى إلى هذه الحيلة الطريفة مع صديقه
ليتخلص من المأزق الذى وصعه فيه.

ولم تكن كل السطور والصفحات السابقة دراسة أكاديمية عن
«أحمد بهاء الدين» وهو يستحقها، ولم تكن بحثا صحفيا عنه،
وهو جدير به ، لكنها كانت بمثابة رحلة فوق الورق، عدت بها
للوراء قليلا، حوالى نصف قرن إلا قليلا، لأتعرف على ملامح
الشاب «أحمد بهاء الدين».

ومنذ ذلك الوقت دخل «أحمد بهاء الدين» تاريخ الصحافة
والعقل والتنوير والفكر فى العالم العربى كله .

وصار صوت «بهاء» وقلمه من معالم الحياة العقلية
والصحافية!!

وفى نهاية هذه الكلمات البسيطة دعونى أستعيد ما كتبه
أستاذنا الكبير «محمد حسنين هيكل» وأضم صوتى وأصواتكم
بأنكم إلى ما كتبه وفيه يقول:

بهاء نحن نريدك معنا، لانريد عقلك وقلمك فقط، ولكننا يا أيها

العزیز الغالی، نریدک معنا انسانا وصدیقا وجليسا وأنیسا
ومحاورا».

نعم نحن نرید «بهاء» وكل هؤلاء معا!
فهل تتحقق المعجزة!.

أحمد بهاء الدين

بين الفكر والعمل

د. شكري محمد عياد

يدخل الكاتب إلى الصحافة عادة عن طريق الفكر أو من طريق الأدب يبدأ بكتابة القصة أو بكتابة المقالة، ويكتشف نفسه في إحداهما، ولديه ما يشبه قرون الاستشعار، فهو يتحسس ما تحدثه كتاباته من تأثير فيمن حوله، قد تكون دائرة التأثير محدودة أو واسعة، وقد يكون التأثير مفاجئاً أو منتظراً، ولكنه يعرف قدراته واستعداداته ويختار طريقه من خلال هذه الاستجابات .

وسيكون اختياره للصحافة، أى للكتابة اليومية أو الأسبوعية أهم هذه الاختيارات .

فالصحافة تشده إلى الواقع المتغير، وتجبره على التعامل مع القوى التي تحرك هذا الواقع ومن ثم يصبح «الفن» أو «الفكر» اللذان بدأ بهما في حوار دائم مع الواقع المتغير وربما تحول

الحوار إلى نزاع أو صراع، وربما انحاز الكاتب إلى جانب دون آخر يقول لويس عوض في حديث مع أحمد بهاء الدين .

كثيرون من أدباء مصر يفهمون التزام الأديب والأدب للحياة فهما خاطئاً.. إن بعض الأدباء يفهمون من هذا أن الأديب يجب أن يكتب في السياسة المباشرة أكثر مما يكتب في الأدب، بل إنهم حتى في الكتابة السياسية يتكلمون في الجزئيات ولا يرتقون إلى مستوى الفكر السياسى، ذلك أنهم يفهمون الالتزام على أنه الارتباط بمجرى الحياة اليومية وجزئياتها في حين أن الأديب، بل والمفكر السياسى مع التزامه برسائله الاجتماعية، ينبغي عليه أن يتعامل دائماً مع الكلمات المستمدة من جزئيات الواقع، فينظر للأمور من بعد وبدرجة من الانفصال تمكنه من رؤية الصورة في مجموعها».

لويس عوض هنا يتحدث كأديب ومفكر وكأستاذ جامعى أيضاً، مع أنه قضى الشطر الأكبر من حياته العملية في الصحافة ولكن هذه كانت طريقة لويس في الجمع بين الطرفين، وكانت لهذه الطريقة آثارها وأخطارها أيضاً، وقد عانت كتاباته من آثارها كما عانى في حياته من أخطارها، أما أحمد بهاء الدين فكانت له طريقة أخرى، اشتركت في توجيهه إليها دراسته القانونية، وتكوينه الشخصى واتجاهه المبكر إلى احتراف الصحافة عندما كانت ثورة ٥٢ في بدايتها .

الفكر والعمل

ومع أن البدايتين - عند لويس وبهاء - لايفصل بينهما إلا بضع سنين كما أن الفاصل بينهما فى العمر لايعد بضعة عشر عاما، فإن هذا كان يعنى الشئ الكثير فى تلك الفترة بالذات كان لويس قد نشأ فى مناخ الليبرالية المصرية وانطبع به طول عمره، أما بهاء فقد تفتحت مواهبه وسط خليط مضطرب من الأيديولوجيات الفاشية ثم الماركسية ثم القومية وأخيرا الإسلامية، لم يكن من الصعب عليه أن يرفض الأولى حتى وهى تتخفى تحت قناع الدين ولكنه وجد من الضرورى أن يجمع بين الماركسية والقومية حين رأى أن التاريخ والحاضر والمستقبل جميعا، ومن المنظور الوطنى والإقليمى والعالمى فى نفس الوقت، كلها تحتم هذا الجمع، ولم تكن هذه هى مشكلته الوحيدة كانت المشكلة الكبرى- والعامة- أن التغيرات نحو الاشتراكية والقومية فى مصر سارت بسرعة مذهلة، وكان لهذه المشكلة العامة جانبها الخاص الذى شعر به أحمد بهاء الدين كما شعرت بها القلة الأكثر وعيا فى مصر والعالم العربى، وهم قراؤه الذين لايعدلون به كاتبا سياسيا آخر- هذه القلة الواعية كانت موزعة بين الفكر والعمل.

قد يقال للوهلة الأولى : إن الفكر والعمل لاتناقض بينهما، بل هما متكاملان هذا كلام صحيح من الناحية النظرية فقط، أما

فى منظور الواقع- ولاسيما واقع مصر فى الخمسينيات
والستينيات- فهو بعيد عن الحقيقة أشد البعد.

لم تقلح حتى النظرية الماركسية فى إزالته! ولا أيضا دراسة
ستالين لمشكلة القوميات من باب أولى! فهل كانت «الظروف
المادية» فى مصر ، فضلا عن غيرها من أجزاء الوطن العربى
مهيئة لقيام نظام اشتراكى؟ وهل كان توحيد الشعوب العربية
فى قومية واحدة يشبه من قريب أو بعيد، احترام القوميات
المتعددة داخل «اتحاد سوفيتى» واحد؟ كان على «المنظرين»
فى ظل نظام عبد الناصر، أن يبحثوا عن حلول أخرى، ولكنهم
كانوا دائما يشكلون نظرياتهم بطريقة ارتجالية، لأن «العمل»
كان يسبقهم دائما وكان أحمد بهاء الدين يساهم أحيانا فى
تشكيل هذه النظريات، ولكنه كان فى أكثر الأحيان ينتقد ما فيها
من مظاهر التعجل والارتجال.

الإنبهار بحبب الناصر

ولعله - كان فى جانب عميق من نفسه - ميالا إلى رأى
لويس عوض ولكنه كان - بحكم عمله الصحفى - يشايع العمل،
وربما وجدناه فى معمعة هذا التناقض بين الفكر والعمل، ينظر
إلى الفكر على أنه المؤثر الأول فى حركة التاريخ فيقول: «إن
الصراع العالمى الضارى الذى نعاصره الآن يحتدم. أكثر ما
يحتدم بسبب الخلاف بين المذاهب والنظريات والنظم» والنتيجة

المنطقية لهذا هي أن الاهتداء إلى النظرية الصحيحة هو الشرط الأول لنجاح أى تحرك سياسى ولكنه- من ناحية أخرى- مبهور بالإنجازات الرائعة المتلاحقة التى حققها عبد الناصر. ولهذا يكتب :

البطل يهتم (بالعمل) قبل أى شىء آخر، يهمله أن يصنع العمل المناسب قبل أن يبحث عن منطق يبلوره ويفلسفه. لذلك كثيرا ما نجد البطل التاريخى يختلف مع أذكى مثقفى عصره، ويتفوق عليهم، لأنه (يصنع) و(يخلق) فلسفة أنسب للزمن من الفلاسفة التى (يؤلفها) مثقفو عصره، فالمثقف من حيث لا يشعر- وبالرغم من إرادته- يستخدم منطق الحاضر الذى تربى فيه، لا منطق المستقبل الذى لم يوجد بعد، والذى يصنعه البطل.

ليس المهم هنا أن نناقش هذين الرأيين، لنثبت أن أحدهما صحيح والآخر خطأ، أو لنجمع بينهما بطريقة من الطرق، ولا ينبغي أيضا أن نفسر اختلافهما باختلاف المناسبتين فالكاتب المسئول لا يغير فكره - ولا سيما فى هذه القواعد الأساسية - تبعا لاختلاف المناسبات وقد كان أحمد بهاء الدين - بلا أدنى شك - هو هذا الكاتب المسئول .

إنما نقول إن اتهام أحمد بهاء الدين للمثقف هو اتهام لنفسه! ولعلها بداية التمزق الذى يعيشه المثقفون المصريون حتى اليوم!.

أحمد بهاء الدين (كاتب العمود)
أسلوبه في التفكير وطريقته في التعبير
خلال السنوات الخمس الأخيرة من كتاباته
د. صابر حارص

المقدمة المنهجية للدراسة :

تحاول هذه الدراسة أن تجيب على سؤالين رئيسيين هما :
كيف كان يفكر أحمد بهاء الدين «كاتب العمود» يوميات وكيف
كان يعبر عن هذا الفكر خلال السنوات الخمس الأخيرة من
كتاباته والتي تمثل النصف الأخير من عقد الثمانينيات
(١٩٨٥-١٩٨٩)؟.

وتحقق إجابة السؤال الأول: أسلوب التفكير عند «أحمد بهاء
الدين» بينما تحقق إجابة السؤال الثاني طريقته في التعبير عن
هذا الفكر^(١).

وللتوصل إلى إجابة السؤال الأول تحاول الدراسة الإجابة
على الأسئلة الخمس التالية :

١- ما نوعية الموضوعات والقضايا التي ينشغل بها فكر

أحمد بهاء الدين؟

٢- ما نوعية المصادر التي يستقى منها أحمد بهاء الدين أفكاره؟

٣- ما نوعية الأعمدة التي تسيطر على اهتمامات أحمد بهاء الدين والتي تعكس مدى انتمائه للقضايا والأحداث والسير الذاتية وأنشطة المسؤولين؟

٤- ما نوعية الوظائف التي تحظى بأولويات أحمد بهاء الدين والتي تعكس مدى اتفاقه مع أولويات المجتمع وأهدافه؟

٥- ما نوعية الجماهير التي يركز أحمد بهاء الدين على مصالحتها والتي تكشف عن: لصالح من يكتب أحمد بهاء الدين؟
وللتوصل إلى إجابة السؤال الثاني تحاول الدراسة الإجابة على الأسئلة الست التالية :

١- ماهى طرق أو أشكال الكتابة الصحفية التي يستخدمها أحمد بهاء الدين فى التعبير عن أفكاره؟

٢- إلى أى مدى يعتمد أحمد بهاء الدين على أساليب إقناع علمية فى التعبير عن صحة أفكاره؟

٣- ما السمة المميزة للغة أحمد بهاء الدين فى التعبير عن أفكاره؟

٤- ما المستوى اللغوى الذى يستخدمه أحمد بهاء الدين فى

التعبير عن أفكاره؟

٥- كيف يبدأ أحمد بهاء الدين عموده؟

٦- كيف ينهى أحمد بهاء الدين عموده؟

وللإجابة على هذه الأسئلة صمم الباحث «استمارة تحليل المضمون» واستخدمها كأداة جمع بيانات فى إطار منهج المسح الإعلامى «مسح المضمون» وهو المنهج المناسب لنوعية الدراسات الوصفية التى تنتمى إليها هذه الدراسة^(٢) وقد تم اختيار وحدة المفردة «العمود الصحفى» كوحدة للتحليل وفى إطارها تم اختيار «وحدة الموضوع» كوحدة القياس، لأنها تمكن الباحث من معرفة الفكرة الرئيسية التى يدور حولها العمود وهو ما يتمشى مع أهداف الدراسة^(٣)، وقد تم تحديد فئات التحليل كما هو موضح باستمارة تحليل المضمون بالملحق رقم (١) فى نهاية البحث، ثم قام الباحث بتحكيم هذه الاستمارة واجراءات الاتساق والصدق عليها.

وبالإسلوب العشوائى المنتظم تم اختبار عينة بنائية مركبة من اثنى عشر أسبوعا هى:

١-٧/يناير ١٩٨٥ . ٥-١١/يوليو ١٩٨٥،

٨-١٤/فبراير ١٩٨٦، ١٢-١٨/أكتوبر ١٩٨٦،

١٥-٢١/مارس ١٩٨٧، ١٩-٢٥/سبتمبر ١٩٨٧، ٢٢-٢٨/ابريل

١٩٨٨، ١٦ / أكتوبر ١ / نوفمبر ١٩٨٨، ٢٩ / أغسطس -
٤ / سبتمبر ١٩٨٩، ٢-٨ / ديسمبر ١٩٨٩.

وهي عينة ممثلة لسنوات الدراسة وشهورها وأسابيعها^(٤).

المبحث الأول : أسلوب التفكير عند أحمد بهاء الدين

أولاً : الموضوعات والقضايا التي تشغل فكره :

على الرغم من أن «أحمد بهاء الدين» في عموده «يوميات» ينتمى إلى كتاب العمود العام^(٥)، إلا أن السياسة بأحداثها وقضاياها وشخصياتها تشغل الحيز الأكبر من تفكيره، حيث تحتل الموضوعات السياسية المرتبة الأولى بنسبة (٦٠.٣٨٪) من بين الموضوعات المختلفة التي تناولها «أحمد بهاء الدين» في عموده .

ومن أهم هذه الموضوعات انتقاد الولايات المتحدة الأمريكية في سياستها إزاء القضية الفلسطينية والمطالبة بحقوق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره^(٦) الحرب العراقية - الإيرانية وإعلان العراق استعداداه لتلبية كل طلبات إيران^(٧) مشكلات مصر المعقدة ودور الرئيس / حسنى مبارك فى انتشار السفينة من الوحل رغم كل السلبات التى يعانى منها الشعب^(٨) صفقة الأسلحة الأمريكية لإيران فى حربها مع العراق مقابل الإفراج عن الرهائن الأمريكين^(٩) انتخاب مجلس الشعب لعام ١٩٨٧^(١٠)

انعقاد مؤتمر القمة الإفريقية فى القاهرة^(١٢) عمليات خطف الرهائن فى لبنان بقصد التأثير على الدول الأجنبية التى يخطف رعاياها وانتقاد «أحمد بهاء الدين» لهذا الإسلوب الذى يسىء إلى سمعة الإسلام والمسلمين لأن الرهائن أبرياء^(١٣) توضيح لوجهة نظر القيادة الفلسطينية فى أهمية قيام دولة عربية على أرض فلسطين^(١٤) دعوة الفلسطينيين (مواطنين إسرائيليين) إلى المشاركة فى الانتخابات ليؤثروا على القرار الإسرائيلى^(١٥) أهمية الاستفادة من الانتفاضة الفلسطينية وضرورة تحرك المسؤولين العرب^(١٦) ارتباط العملية الانتخابية فى إسرائيل بالغارات التى شنتها على لبنان وفلسطين^(١٧) تفسير للاهتمام الإسرائيلى بقمة العقبة «مبارك وحسين وعرفات» ما إذا كانت وسيلة ضغط لدفع عملية السلام أم أنها تستهدف تقليل أصوات المعارضين للسلام فى إسرائيل^(١٨) دعوة إلى التدخل العربى بدلا من التدخل الأجنبى فى تحديد مصير لبنان لأن «تدويل» المشكلة يمثل خطرا على لبنان والعرب أيضا^(١٩) حركة عدم الانحياز ودورها فى دعم حركات التحرر ومواجهة التكتلات الاقتصادية العالمية^(٢٠) تكهنات حول تطور الوحدة بين اليمن الجنوبى واليمن الشمالى وبين بيروت الشرقية وبيروت الغربية^(٢١) تكهنات عن إشراك الروس فى قضايا الشرق الأوسط^(٢٢).

وفى المرتبة الثانية يأتى «أحمد بهاء الدين» ككاتب اجتماعى حيث احتلت الموضوعات الاجتماعية عنده نسبة (٢٠٪) من بين الموضوعات المختلفة التى تناولها فى عموده.. ومن أهم هذه الموضوعات:

التعقيدات الروتينية التى يواجهها المواطنون فى إجراءات التليفونات^(٢٢)، ظاهرة انتشار السيارات القديمة الخردة فى شوارع القاهرة والمطالبة بتحديد مكان لها فى الصحراء^(٢٣)، المطالبة بإعادة تخطيط ميدان التحرير^(٢٤)، إشكالية تسييس التاريخ كمنهج من مناهج التعليم فى بريطانيا ورفض لجنة التعليم البريطانية لذلك وتأكيد «أحمد بهاء الدين» على الالتزام بالصدق التاريخى لأنه من عوامل منع الحرب بين الدول^(٢٥)، نزاهة اللجنة التى ترأسها «أحمد بهاء الدين» فى نقابة الصحفيين والاعتبارات الجيدة التى وضعتها اللجنة فى حساباتها عند التحكيم فى أول مسابقة تقيمها النقابة لإعطاء جوائز صحفية فى مختلف التخصصات ، حيث استندت اللجنة إلى معايير مهنية فقط واستبعدت المعايير السياسية (كرأى السلطة/ أو الشخصية) كالمجاملة والميول الخاصة) أو معايير الشهرة والصيت^(٢٦)، المطالبة بتنفيذ مشروع الاستخدامات العصرية لتاكسى الأجرة كما هو فى بريطانيا، حيث يزود التاكسى بلاسلكى ويمكن للمواطنين أو رجال الأعمال وخاصة

فى القطاع الخاص الاتصال به لشراء الدواء، أو استحضار أشخاص أو أشياء أو تأجيرها للسياح^(٢٧) نقد للمسؤولين المصريين بسبب التساهل فى معاملة السائق الألمانى الذى قتل تلمذه وأصاب أربعة بسيارته^(٢٨)، مناقشة قرار الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة بتخصيص يومين للإجازة الأسبوعية وتحيز «أحمد بهاء الدين (للاقتصار على يوم الجمعة فقط)^(٢٩)» .

وفى المرتبة الثالثة يأتى «أحمد بهاء الدين» ككاتب إقتصادى حيث احتلت الموضوعات الاقتصادية عنده نسبة (١٢.٩٪) ومن أهمها :

دفاع عن الفلسطينيين الذين يملكون أراضى زراعية فى مصر والمطالبة باستثنائهم من فقرة :«أثر رجعى» فى القانون المصرى الذى يحرم العرب والأجانب من تملك أراضى زراعية^(٣٠)، تقييم لدور وزارة القوى العاملة فى التدريب المهنى ورسالة من الوزير لتوضيح هذا الدور^(٣١) الزيارة التى قام بها الرئيس حسنى مبارك لافتتاح كوبرى المنيا الجديد^(٣٢)، اقتراحات للإصلاح الاقتصادى بمناسبة مرور خمس سنوات على حكم الرئيس مبارك مثل حل مشكلة الإسكان فى القاهرة ومنع الهجرة إليها، وانتقاده لسوء التخطيط الذى تم فى إحدى ضواحي الإسكندرية، وتصور لقطاع خاص ينتمى للدولة بجوار انتمائه لربه^(٣٣) رسالة من وزير زراعة سابق يرفض فيها

القانون المصرى الذى يخول للأجانب تملك مساحات من الأراضى الجديدة لاستصلاحها بحجة تشجيع رؤوس الأموال الأجنبية^(٣٤)، إنجازات الكويت على المستوى العربى والعالمى فى المجال الاقتصادى^(٣٥).

وفى المرتبة الرابعة يأتى «أحمد بهاء الدين» ككاتب قافى وناقد فنى ومحلل لقضايا تنتمى إلى أكثر من مجال، حيث احتلت الموضوعات الثقافية والفنية والعامة كل منها نسبة (١٧٪) ، وفيما يلى عرضاً لأهم هذه الموضوعات:

فى المجال الثقافى : انتقاد للصفحات الأدبية فى تقييمها للأدباء على أساس النقد الأدبى فى هذه الصفحات تحكمه معايير المجاملة والاعتبارات الشخصية^(٣٦)، قضية الأصالة والمعاصرة فى الصين واليابان وربطها بمصر^(٣٧)، الدعوة إلى مشاركة المواطنين ومساهماتهم فى إحياء مكتبة الاسكندرية^(٣٨)، توفيق الحكيم بعد وفاته^(٣٩)، صلاح جاهين فى ذكراه^(٤٠).

فى المجال الفنى : أفضل برامج الاذاعة والتليفزيون خلال عام ١٩٨٤^(٤١)، فى ذكرى الفنان التشكيلى شادى عبد السلام^(٤٢)، عرض لكتاب «يوميات المغنين والجوارى» للكاتب كمال النجمى والكتاب عبارة عن عرض شيق وجذاب لتراث «الأغانى للأصفهانى»^(٤٣)، مناقشة لموقف الجماعات الدينية من

تحريم الفن واعتباره منكرا يقاوم بالقوة ودعوة بهاء الدين إلى تحديد مستوى الفن أولا وما إذا كان هابطا أم راقيا ثم تصدى الدولة وليس الجماعات لهذا الفن الهابط^(٤٤).

المجال العام : أمنيات أحمد بهاء الدين للعام الجديد في أكثر من مجال^(٤٥) ، رؤية في مجالات الانتاج والخدمات خلال خمس سنوات من حكم الرئيس مبارك^(٤٦)، انتقاء الكويت للذين يعملون ويخططون فيها ، فنجوم النجوم من المصريين والغرب في السياسة والاقتصاد والقانون والطب عملوا في الكويت^(٤٧)، تعليق حول احتفال أوروبا بذكرى مرور ٥٠ سنة على نشوب الحرب العالمية الثانية، حيث يقول الكاتب.. إنهم تقدموا ونحن ننظر بحسد^(٤٨) .

وفي المرتبة الخامسة يأتي «أحمد بهاء الدين» ككاتب ديني، حيث احتلت الموضوعات الدينية عنده نسبة (٥,٧٪) ومن أهمها:

الدعوة إلى الوحدة الوطنية بمناسبة عيد المسيح، إذ أن الإسلام والمسيحية أوصوا بذلك^(٤٩) ، الفتنة الطائفية في صعيد مصر وهم موضوع الصلبان التي ظهرت على ثياب المحجبات^(٥٠)، عرض لكتاب « مصر الفاطمية والحاكم بأمر الله»، للمؤرخ الإسمي محمد عبد الله عنان^(٥١) .

وتحتل الموضوعات العملية المرتبة الأخيرة بنسبة (٤.١٪)،^(٥٢) ولم يتعرض «أحمد بهاء الدين» خلال عينة الدراسة إلى الموضوعات الرياضية والموضوعات العسكرية .

ومما تقدم يتضح تزايد اهتمام «أحمد بهاء الدين» بالمجال السياسى على المجالات الأخرى، ويتسق هذا مع الاعتبارات التالية :

* إن العامل السياسى فى البلدان النامية هو أكثر العوامل فعالية وتأثيرا فى المجالات الأخرى، وحتى العامل الاقتصادى نفسه لم يظهر كقوة فعالة إلا من خلال «تسييس» الاقتصاد، ويكفى أن يلحظ القارئ للصحف أو المتابع للأحداث أن المتغيرات السياسية الدولية خلال النصف الأخير من عقد الثمانينيات على وجه الخصوص احتلت نصيب الأسد فى اهتمامات الأعلام والجمهور^(٥٣) ولذلك جاءت الأهمية المتزايدة لأحمد بهاء الدين بالسياسة تلبية للواقع المحيط..

* إن الاهتمام بالسياسة هى سمة جيل كامل ينتمى إليه «أحمد بهاء الدين» الذى كان مهتما بقضايا بلده ومشاركا فى صنع أحداثه ومهموما بتحرير وطنه والإطاحة بالملكية والتخطيط لصنع المظاهرات والمعارك السياسية والوطنية، حتى قامت الثورة فأصبح هذا الجيل أيضا مشغولا بنجاح الثورة فى الداخل والخارج وما يستلزم ذلك من تحليل السياسات وانتقاد

القادة والزعماء والدول والقرارات، وما أن بدأ الرئيس «السادات» في انفتاحه الاقتصادي وتحوله السياسى إلى الغرب فهاجر «أحمد بهاء الدين» إلى الكويت بسبب السياسة أيضا.

* برع «أحمد بهاء الدين» منذ صغره فى كتابة التحليلات السياسية وعرف بها حتى أنه كان يسلم هذه التحليلات لأحد السعاة فى «روز اليوسف» دون مقابلة «إحسان عبد القبوس» الذى ظل فترة طويلة يترقبه وأوصى السعاة بالقبض على هذا الشاب العبقري حتى يعمل معه فى روز اليوسف وقد كان^(٥٤).

* دراسة أحمد بهاء الدين للقانون بمختلف أنواعه فى كلية الحقوق وعمله وكيلا للنياحة لفترة معينة مما أكسبه معرفة وإلماما بالأوضاع الدولية والمحلية ودفعته إلى متابعة الأحداث السياسية .

ثانيا : نوعية الأعمدة التى تسيطر على اهتماماته :

أعطى «أحمد بهاء الدين» فى عموده «يوميات» أولوية كبيرة لتناول القضايا والمشكلات التى تواجه المجتمع المصرى على المستويين المحلى والدولى، حيث احتلت هذه النوعية من الأعمدة المرتبة الأولى بنسبة (٣٢.٩٪)^(٥٥) من إجمالى أنواع الأعمدة التى تعرض لها الكاتب خلال فترة الدراسة .

وفى المرتبة الثانية اهتم أحمد بهاء الدين بنقد السلبيات

الموجودة فى المجتمع المصرى سواء كان هذا النقد متصلا
بأشخاص أو مؤسسات أو جماعات أو النظام نفسه، حيث
احتلت الأعمدة النقدية نسبة (٢٠٪) (٥٦) .

وفى المرتبة الثالثة يأتى «أحمد بهاء الدين» ككاتب متابع
للأحداث الجارية وحريص على أن يسجل موقفه الذى يساهم فى
تشكيل رأى العام اليومى الذى تصنعه الأحداث اليومية التى
تنشرها أوتبثها وسائل الإعلام (٥٧)، حيث احتلت أعمدة الأحداث
الجارية نسبة (١٤,٣٪) (٥٨) .

ثم تتوالى اهتمامات أحمد بهاء الدين بنوعية أخرى من
الأعمدة على النحو التالى :

الأعمدة التاريخية (٥٩) وأعمدة الشخصيات (٦٠) وأعمدة
الأنشطة (٦١) كل منها بنسبة (٥,٧٪) (٦٢)، أعمدة الخدمات بنسبة
(٤,٣٪) (٦٣) أعمدة العروض (٦٤)، وأعمدة التنبؤ (٦٥)، وأعمدة
المناسبات (٦٦) وكل منها بنسبة (٢,٦٪) الأعمدة التأملية والأعمدة
الذاتية كل منها بنسبة (١,٤٪) (٦٧) ولم يتعرض أحمد بهاء الدين
خلال عينة الدراسة للأعمدة الفكاهية أو الإنسانية .

ومما تقدم يلاحظ :

١- أن قضايا المجتمع ومشكلاته ومقاومة السلبيات
والانحرافات وتوضيح الأحداث الجارية هى الاهتمامات الأولى

التي تشغل «أحمد بهاء الدين» ويمكن تفسير ذلك في ضوء
اتساق أحمد بهاء الدين مع الاعتبارات التالية :

- تصاعد حدة المشكلات والقضايا في المجتمع المصري
كما ونوعا في المجالات المختلفة السياسية والاقتصادية
والاجتماعية والثقافية وغيرها^(٦٨) .

- اتفاق الحكومة والشعب والأجهزة الرسمية وغير الرسمية
والإعلام القومي والمعارض على أن التصدى للمشكلات ومعالجة
القضايا ومناقشتها وإبداء الآراء حولها ينبغي أن يمثل الاهتمام
الرئيسي في المجتمعات النامية^(٦٩) .

- ملازمة العمود الصحفي كفن من فنون الكتابة الصحفية
للتصدي للقضايا والمشكلات.. إذ أن العمود الصحفي بطبيعته
يعكس رأى كاتبه إزاء ما يحدث حوله من قضايا وأحداث^(٧٠)
وفي القضايا والمشكلات تبرز أهمية كاتب العمود في تقديم
الحلول المناسبة بطريقة واضحة ومختصرة^(٧١) .

- كثرة السلبيات والانحرافات التي يواجهها المجتمع
المصري في مختلف مؤسساته وأفراده مما يستدعى اهتماما
خاصا بالنقد باعتباره إحدى طرق الكاتب لمواجهة هذه
السلبيات^(٧٢) .

- اتفاق معظم أساتذة الصحافة على ضرورة اهتمام

صحافة دول العالم الثالث عموماً بالنقد وتخصيص أكبر مساحة له في الأعمدة الصحفية، حيث يتاح لكتاب هذه الأعمدة مساحة أكثر من غيرهم في حرية التعبير عن الرأي^(٧٣).

- ضرورة استجابة فن العمود الصحفي لحاجة المجتمع إلى الإصلاح والتقدم من خلال كشف الجوانب السلبية وتدعيم الجوانب الإيجابية^(٧٤) وكلاهما تحتاج إلى خبرات صحفية وقيم أخلاقية تمكن صاحبها من الفصل بين الدعاية وتدعيم الإيجابيات، أو بين الخلافات والأهواء الشخصية وكشف السلبيات وهو ما عرف به «أحمد بهاء الدين» طوال عمله في الوسط الصحفي بشكل عام .

- ضرورة أن يقوم كاتب العمود الصحفي بتسجيل موقفه من الأحداث الهامة وإن كان ليس بالضرورة أن يرتبط العمود بكل الأحداث الجارية التي تهتم بها معظم أشكال التحرير الأخرى في الجريدة^(٧٥) غير أن القراء عادة ما ينتظرون رأي كتاب العمود في الأحداث الهامة، وعلى قائمة هؤلاء الكتاب أحمد بهاء الدين، وقد وضع ذلك جلياً أثناء أزمة الخليج الثانية (العراق- الكويت) حيث عبر كثير من الكتاب والقراء عن افتقارهم لرأي أحمد بهاء الدين بسبب مرضه.

٢- ابتعاد «أحمد بهاء الدين» عن كتابة الأعمدة الذاتية، حيث لم يتحقق ذلك إلا مرة واحدة خلال عينة الدراسة وهي إيجابية

عظمى يتميز بها أحمد بهاء الدين عن غيره من كتاب العمود، خاصة وأن الإغراق في كتابة الأعمدة الذاتية يعتبر تزييفا لوعي الجماهير من القراء لأنه يصرفهم عن الاهتمام بقضاياهم الأساسية والهموم التي يعانون منها^(٧٦). ويعكس هذا مدى حرص أحمد بهاء الدين على حق القارئ في أن يجد ما يهمه، لا ما يهم أحمد بهاء الدين نفسه.. إذ أن مشكلات القراء واحتياجاتهم أهم كثيرا من السير الذاتية لكاتب العمود.. فالعمود ملكا لكاتبه داخل الصحيفة، وملكا للقراء خارجها^(٧٧)، فهو حر داخل صحيفته ولكن حريته هذه ينبغي أن يقابلها مسئولية الالتزام بأولويات الاهتمام عند القراء والمجتمع^(٧٨).

ثالثا: نوعية المصادر التي يستقى منها أفكاره :

تنوعت المصادر التي استقى منها «أحمد بهاء الدين» أفكاره في عموده «يوميّات» غير أن الواقع (بمشاكله وأحداثه وقضاياهم وهموم الناس ومتاعبهم وحقوقهم وواجباتهم) سيطر على الحيز الأكبر من أفكاره فاحتل المرتبة الأولى بنسبة (٤٠.٣١٪)^(٧٩) ثم جاءت المصادر الإعلامية في المرتبة الثانية بنسبة (٤٠.٢١٪)^(٨٠) يليها رسائل القراء بنسبة (١٠.٧٪)^(٨١) ثم الوثائق بنسبة (٣.٤٪)^(٨٢)، والمصادر الذاتية بنسبة (٦.٢٪)^(٨٣)، المسئولون الحزبيون بنسبة (٩.٢٪)^(٨٤)، الأشخاص أو الأفراد بنسبة (٦.٢٪)^(٨٥)، المسئولون المتخصصون بنسبة (٤.١٪)^(٨٦).

التاريخ بنسبة (٤.١٪) ^(٨٧)، ولم يعتمد أحمد بهاء الدين على المسؤولين الحكوميين أو المتخصصين أو الدين أو الماثورات خلال عينة الدراسة .

ومما تقدم يتضح لنا أن «أحمد بهاء الدين» كاتب يسعى في المقام الأول إلى تغيير الواقع المحيط به إلى واقع أفضل من خلال رصد وتحليل ما يحمله الواقع وما تحمله وسائل الإعلام ورسائل القراء كأهم ثلاثة مصادر يعتمد عليها «أحمد بهاء الدين» في الحصول على أفكاره، كما أنه يعتبر من الكتاب القلائل في العالم العربي الذين يسعون إلى الحقيقة وتحري الصدق في كتاباتهم وذلك من خلال اعتماده على الوثائق بعد اعتماده مباشرة على الواقع والإعلام ورسائل القراء وهي مصادر وثيقة الصلة أيضا بالحقائق إذ أن المقصود بالحقائق في العلوم الاجتماعية أو علم الاتصال خاصة هي «الوقائع الملموسة» وهي حقائق متصلة بالواقع الفعلي للخبرة الإنسانية ولكنها حقائق ليست مطلقة بل نسبية بالقياس إلى الزمان والمكان والظرف والحال ^(٨٨).

ويمكن تفسير ذلك في ضوء الاعتبارات التالية:

- ملازمة هذه المصادر مع الوظائف الأساسية المنوط بها العمود الصحفي ، حيث يجب أن يعنى في المقام الأول بتفسير وإيضاح الأحداث والقضايا التي تنقلها وسائل الإعلام أو

يعكسها الواقع ورسائل القراء وكذلك إبداء الرأي فيها^(٨٩) .

- تلبية هذه المصادر للاحتياجات الإعلامية لجمهور القراء..
إذ أن كل من الواقع والإعلام ورسائل القراء تعتبر من أقرب وأكثر المصادر التصاقا باحتياجات الجمهور ومشاكله^(٩٠).

- اقتناع أحمد بهاء الدين بأهمية رسائل القراء وتقدير ما تتضمنه هذه الرسائل من آراء واقتراحات وانتقادات لجوانب عديدة في المجتمع؛ الأمر الذي دفع القراء إلى مراسلة هذا الكاتب أكثر من غيره^(٩١)، فضلا عن مكانة الكاتب المؤثرة في المجتمع وعلى صناع القرار في مصر مما يدفع الكثيرين من أصحاب المصالح العامة أو الخاصة في قطاعات الانتاج أو الخدمات أو التخطيط إلى الاتصال بالكاتب ونقل رسائلها نظرا لما تحظى به هذه الرسائل من اهتمام جماهيري وتنفيذي من قبل المسؤولين .

- حرص أحمد بهاء الدين على الإلتزام بمصداقية ما يكتبه رغم صعوبة الحصول على الوثائق في الدول النامية عموما واستسلام معظم الصحفيين لتقاليد الحكومات والإدارات التي لاتوافق مطلقا على وصول أى مستند لديهم ، هذا فضلا عن الصراع الأزلى بين الصحافة والسلطة بشكل عام ليس في مجال الوثائق فقط بل حتى بشأن المعلومات^(٩٢) .

- حرص أحمد بهاء الدين على زيادة عدد قرائه وتوطيد علاقته بهم باعتبار أن الصدق هو أساس هذه العلاقة^(٩٢)، فقد كشفت إحدى الدراسات الصحفية أن ثقة الجمهور في الكاتب واستمرار نجاحه وفاعلية تأثيره تتوقف على الصدق أكثر مما تتوقف على أى عامل آخر مثل الثقافة أو الشهرة أو المنصب الذى يحتله داخل الصحيفة^(٩٣).

- اقتناع أحمد بهاء الدين بأن الكلمة الإنشائية تزول بينما تبقى الكلمة التى تعكس واقعاً هو جزء من تصور الناس^(٩٤) ولذلك جاء اعتماد أحمد بهاء الدين بشكل أساسى على الواقع والوثائق كمصادر حصول على أفكاره .

رابعاً : الوظائف التى تحظى بأولوياته :

حرص أحمد بهاء الدين فى عموده «يوميّات» على أن تكون مهمته الأساسية هى توجيه الرأى العام سواء اتبع فى ذلك الأسلوب المباشر الذى يقوم من خلاله الكاتب بدعوة القارئ إلى تبني رأيه، أو اتبع الأسلوب غير المباشر الذى يقوم على شرح وتفسير ما يحيط به القارئ ويترك له حرية التوصل إلى رأى، ولذلك احتلت وظيفة التوجيه المباشر للقراء المرتبة الأولى عند «أحمد بهاء الدين» بنسبة (٧٠,٣٥٪)^(٩٥)، تليها وظيفة التوجيه غير المباشر (التفسير) بنسبة (٣٠٪)^(٩٦)، ولم يقتصر «أحمد بهاء الدين» فى عموده على وظيفة التوجيه ، بل قدم

وظائف أخرى لها أهميتها بالنسبة للقارئ المعاصر ومن أهمها وظيفة الإعلام والتثقيف التي يقوم من خلالها بإحاطة القارئ بما تدور حوله مضامين الأعمال العلمية والأدبية والمعرفية والفنية وكذا تقديم معلومات حول شخصية من الشخصيات أو المنظمات أو الحركات المختلفة، وقد احتلت هذه الوظيفة المرتبة الثالثة عند «أحمد بهاء الدين» بنسبة (٩٠.٢٢٪)^(٩٨) - ثم وظيفة تقديم الخدمات والنصائح التي تيسر سبل الحياة للقراء بنسبة (٦٠.٨٪)^(٩٩) وفي المرتبة الأخيرة جاءت وظيفة الترفيه التي تقوم بتسلية القارئ وإمتاعه بالأعمدة الفكاهية أو التأملية أو الذاتية وذلك بنسبة (٩٠.٢٪)^(١٠٠) .

ومما تقدم يلاحظ أن «أحمد بهاء الدين» كاتب يتميز بترتيب أولويات أهدافه ووظائفه وفقا لأولويات المجتمع الذي يعمل فيه ومن أجله.. إذ أن الوظيفة الرئيسية التي ينبغي أن تشغل كل صحف الدول النامية - ومنها الصحافة المصرية - هي وظيفة المساهمة في التنمية الوطنية الشاملة من خلال توجيه الرأي العام وتعبئته نحو التقدم^(١٠١) وهو ما تحقق في المرتبة الأولى عند «أحمد بهاء الدين» من خلال وظيفة التوجيه بنوعيتها المباشر وغير المباشر .

وعلى جانب آخر فإن كتب التحرير الصحفي أجمعت على أن توجيه الرأي العام ينبغي أن يكون المهمة الرئيسية لكتاب

الأعمدة وهذا يفسر سر تنافس الصحف على الكتاب الذين يتميزون بنفوذ واسع عند الجماهير^(١٠٢) .

ومما يدعم هذه الملاحظة - ترتيب أولويات الوظائف - أن الوظيفة الترفيهية احتلت الاهتمام الأخير عند «أحمد بهاء الدين» وهو ما يتمشى مع طبيعة المجتمعات النامية التي تعاني الأغلبية فيها من نقص كبير أو واضح في الاحتياجات الأساسية أو الضرورية كالغذاء والسكن والمواصلات والرعاية الصحية والتعليم وغيرها، فتصبح وظيفة الترفيه لاتلائم إلا قلة قليلة لاتشغلها الاحتياجات الضرورية، بل تحتاج إلى الترفيه والتسلية والإمتاع في الدرجة الأولى وهذا يفسر سر اهتمام صحافة المجتمعات الغنية بهذه الوظيفة^(١٠٣) .

وبذلك يكون أحمد بهاء الدين من الكتاب الذين يهتمون بالأغلبية كما سيتضح في الجزء الخاص بنوعية الجماهير التي يدافع عن مصالحها أحمد بهاء الدين .

خامسا: نوعية الجماهير التي يركز على مصالحها:

اهتم أحمد بهاء الدين في المقام الأول بمخاطبة الجماهير العامة والدفاع عن مصالحها وتبني قضاياها حيث احتل الجمهور العام المرتبة الأولى من بين اهتمامات أحمد بهاء الدين وذلك بنسبة (٦٥.٧٪)^(١٠٤) من إجمالي نوعية الجماهير التي

دافع الكاتب عن مصالحها خلال فترة الدراسة، بينما حظى المثقفون بالمرتبة الثانية بنسبة (٢٠٪) (١٠٥) ودافع عمود بهاء الدين عن مصالح هذه الفئة أكثر من دفاعه عن مصالح بقية الفئات الأخرى من الجمهور النوعى كالعمال والفلاحين والنخبة والمسؤولين، وفي المرتبة الثالثة تأتى فئة المسؤولين بنسبة (٥.٧٪) (١٠٦) ثم فئة أكثر من جمهور بنسبة (٢.٩٪)، فئة غير محددة الجمهور بنسبة (٢.٩٪) (١٠٧) وفئة جماهير أخرى بنسبة (٢.٩٪) (١٠٨).

ولم يتعرض أحمد بهاء الدين خلال عينة الدراسة للدفاع عن مصالح العمال والفلاحين والنخبة.

ومما تقدم يتضح :

١- إن دفاع أحمد بهاء الدين عن مصالح الجمهور العام يعكس ما يلى :

- انشغال أحمد بهاء الدين بالقضايا العامة التى تهم مصالح الأغلبية من المجتمع أو تمس قيمها الإنسانية مسا مباشرا وهو ما يعكس فى جوهره المفهوم العلمى لقضايا الرأى العام (١٠٩).

- معرفة جيدة بالقراء وإدراك واع للبيئة المحيطة به مما أتاح لأحمد بهاء الدين تناول أفكار ذات صلة وثيقة بغالبية القراء (١١٠).

- تبني أحمد بهاء الدين اتجاهات ومواقف لصالح غالبية المجتمع بغض النظر عن مدى ملائمة هذه المواقف مع المواقف التي تتبناها السلطة السياسية أو سياسة تحرير الأهرام وهو ما يفترض أن يتوافر لكاتب العمود^(١١١).

٢- إن دفاع أحمد بهاء الدين عن فئات المثقفين أكثر من غيرهم من فئات الجماهير النوعية الأخرى يتسق مع الاعتبارات التالية :

- تمثل هذه الفئة قطاعات كبيرة من المجتمع تظهر أهميتها بوضوح في انتخابات النقابات والاتحادات والجمعيات والنوادي حيث تضم أساتذة الجامعة وعلماء الدين ورجال الدعوة (من غير المعروفين على مستوى المجتمع بأثره) والأطباء والصيادلة والمحامين والتجارين والزراعيين والتطبيقيين والصحفيين والفنانين والقضاة والمهندسين والمعلمين والرياضيين ورجال الشرطة والقوات المسلحة وغيرهم^(١١٢).

- تنتمي هذه الفئات إلى الطبقة المتوسطة من المجتمع والتي تشكل الغالبية العظمى من قراء الصحف^(١١٣).

- تشكل هذه الفئات بحكم تجمعاتها في شكل نقابات أو اتحادات أو جمعيات أو نوادي جماعات ضغط تمارس تأثيرا فعالا في المجتمع وتدفع بفرض مصالحها على الصحافة

المصرية بشكل عام ولها من الأساليب والطرق والأنشطة التي تجعلها حاضرة في اهتمامات كتاب العمود بشكل عام، فضلا عن امتلاك معظمها لأدوات إعلام وتعبير عن مصالحها الخاصة، تأخذ هذه الأدوات (صحف ومجلات متخصصة) طريقها إلى الصحفيين عامة ومن بينهم كتاب العمود^(١١٤).

٢- إن غيبة مصالح العمال والفلاحين عن اهتمامات «أحمد بهاء الدين» ترجع إلى :

- تركيز أحمد بهاء الدين على مصالح الجمهور العام والتي في معظمها مصالح تعود على غالبية المجتمع من العمال والفلاحين .

- انتماء فئتي العمال والفلاحين إلى فئات لا تملك التعبير عن نفسها لافتقارها من يمثلها في ضوء تحول غالبية نواب الشعب الممثلين للعمال والفلاحين إلى رأسماليين وتجار تتعارض مصالحهم الخاصة مع مصالح الفئات التي يمثلونها، فضلا عن جهل هذه الفئات ومن يمثلها بقنوات التعبير وقدراتها المتواضعة في معرفة الحقوق والمطالبة بها .

المبحث الثانى: طريقة التعبير عند أحمد بهاء الدين

أولا : طرق الكتابة التى يستخدمها فى التعبير عن أفكاره :

تنوعت الطرق التى استخدمها أحمد بهاء الدين فى كتابة «عموده» «يوميّات» غير أنه اعتمد بشكل أساسى فى عرض مادته على طريقة الهرم المعتدل التى تقوم على ذكر ماهية الموضوع فى مقدمة العمود، ثم تفصيلاته أو شواهد فى «صلب العمود» ثم الخلاصة أو النتيجة أو الحل فى الخاتمة^(١١٥) حيث احتلت هذه الطريقة المرتبة الأولى بنسبة (١٠٠٪) (١١٦) من مجموع القوالب الفنية المستخدمة فى كتابة عموده.

وفى المرتبة الثانية اعتمد أحمد بهاء الدين على طريقة الهرم المقلوب بنسبة (١٤٠.٣٪) (١١٧) ثم قالب رسائل القراء بنسبة (١٢٠.٩٪) (١١٨) يليه قالب الانتقال من السؤال إلى الجواب بنسبة (٤٠.٣٪) (١١٩) ثم قالب الفقرات بنسبة (١٠.٤٪) (١٢٠).

ولم يستخدم أحمد بهاء الدين فى كتابة عموده خلال عينة الدراسة كل من طريقة الحوار أو الترتيب الزمنى للأحداث أو الترتيب المكانى .

ومما تقدم يلاحظ :

١- إن أحمد بهاء الدين فى معظم الأحوال يكتب عموده بطريقة الهرم المعتدل للاعتبارات التالية :

- تمثل طريقة الهرم المعتدل فى الكتابة الصحفية أكثر الطرق استخداما فى كتابة المقال الصحفى بشكل عام كما أقرت ذلك كتابات التحرير الصحفى القائمة على دراسة فن كتابة المقال الصحفى بأنواعه المختلفة .

- إن هذه الطريقة تتفق وترتيب الأفكار عند الكاتب وسهولة تقديمها فى زمن يناسب دورية صدور الصحيفة بشكل يومى أو أسبوعى.

- تحقق هذه الطريقة عرضا لمادة العمود الصحفى أكثر دقة من الطرق الأخرى لأنها تتيح للكاتب أن يتوصل إلى نتائج من نفس جنس الشواهد أو المقدمات المطروحة فى صلب العمود وهذه الدقة فى النتائج تمثل مطلبا حيويا للكاتب والقراء .

٢- إن أحمد بهاء الدين لم يقتصر فى كتابة عموده على طريقة واحدة- كما أشارت كتب التحرير الصحفى على أن الهرم المعتدل هو الطريقة الوحيدة التى يكتب بها فن العمود الصحفى- بل استخدم طرق متعددة فى مقدمتها طريقة الهرم المقلوب التى يكتب بها الخبر الصحفى عادة، حيث يبدأ أحمد بهاء الدين عموده بالنتيجة أو الحكم أو رأى الذى انتهى إليه فى الموضوع أو القضية التى يعرض تفاصيلها أو شواهدا فى صلب العمود ثم يعود ليؤكد هذا رأى أو النتيجة مرة أخرى فى الخاتمة، ويمكن تفسير ذلك فى ضوء حاجة أحمد بهاء الدين فى

كثير من الأحيان إلى الإسراع فى إعلان رأيه أو حكمه قبل أن يقدم الأدلة والشواهد التى تدل على ذلك انطلاقاً من أهمية هذا الرأى أو الحكم بالنسبة للقراء وإحساس الكاتب بمدى حاجتهم إلى ذلك .

ثانياً : الأساليب التى يعتمد عليها فى الإقناع :

ارتفعت مصداقية ما يكتبه أحمد بهاء الدين فى عموده «يوميات» إلى درجة عظمى، حيث اعتمد فى إقناعه للقراء على الأسلوب العلمى بنسبة (٩٥,٧٪) وكانت الوقائع من أكثر أدوات هذا الأسلوب استخدماً وذلك بنسبة (٤٤,٣٪)^(١٢١)، ثم التسلسل المنطقى بنسبة (٣١,٤٪)^(١٢٢)، عرض وجهتى النظر بنسبة (١٠٪)^(١٢٣)، الأرقام بنسبة (٤,٣٪)^(١٢٤) ثم الجمع بين أكثر من أداة بنسبة (٢,٩٪)^(١٢٥)، وفى المرتبة الأخيرة تأتى النصوص الدينية وفئة أخرى كل منها بنسبة (١,٤٪)^(١٢٦) .

ونادراً ما يلجأ أحمد بهاء الدين إلى الأسلوب غير العلمى فى إقناع القراء حيث لم تتجاوز استخداماته لهذا الأسلوب (٢,٩٪) اعتمد فيه على أداتين فقط هما: التحيز والتركيز على العواطف كل منها بنسبة (١,٤٪)^(١٢٧)، كما اعتمد أحمد بهاء الدين على طريقة المزج بين الأسلوبين العلمى وغير العلمى بنسبة (١,٤٪) .

ولم يلجأ أحمد بهاء الدين خلال عينة الدراسة إلى التعميم أو

المبالغة أو الخرافات كأدوات فى إقناع القراء .

ومما تقدم يتضح :

- إن استخدام أحمد بهاء الدين للأسلوب العلمى بشكل دائم فى إقناع القراء يتمشى مع الاعتبارات التالية :

- يمثل الأسلوب العلمى فى التخاطب والإقناع اللغة السائدة فى الوقت الراهن بعد أن تضاعفت لغة الخداع والغيبيات والخرافات، وأصبحت الجماهير مع انتشار التعليم وتقدم تكنولوجيا نقل المعلومات لاتقتنع طويلا إلا بأدوات الأسلوب العلمى كالحقائق والأرقام والوقائع والمنطق وغيرها^(١٢٨)، وحتى عندما يقوم الإعلام بتزييف عقول الجماهير يلجأ أيضا إلى استخدام الأسلوب العلمى فى الإقناع فيزييف الأرقام وينقى الوقائع ويفسر النصوص الدينية تفسيرات خاطئة^(١٢٩). ورغم ذلك لايمكن لهذه الأساليب أن تخدع الجماهير طوال الوقت. فلقد عرف العالم كله بما فيه الشعب الكويتى نفسه أن أمريكا وأوروبا لن تحرر الكويت إلا من أجل احتلال حقول النفط الكويتى والسيطرة على بترول الخليج وتدمير القوة العسكرية العراقية^(١٣٠) .

- يعتبر أحمد بهاء الدين واحدا من كبار كتاب العمود الذين تتوافر لديهم الخبرة الطويلة والثقافة الواسعة والعلاقة الطيبة مع

مصادر متعددة وهامة مما تتيح له إمكانية الاعتماد على الأساليب العلمية فى الإقناع من خلال إمكانية الحصول على الأرقام والوثائق بسهولة أكثر نسبيا من كتاب العمود الآخرين.

- تجنب أحمد بهاء الدين استخدام عموده فى طرح الخلافات الشخصية التى يمكن أن تنشأ بينه وبين كاتب آخر أو مسئولين أو أشخاص أو جهات معينة مما يؤدى إلى تفادى الوقوع فى التحيز أو المبالغة أو عرض جانب واحد من الحقيقة (١٣١).

- انتماء أحمد بهاء الدين إلى تيار وطنى يعمل بعيدا عن التعصب لصالح تيار سياسى معين أبعدته عن أحادية النظرة التى لا ترى إلا ما هو سلبى فى التيارات الأخرى وما هو إيجابى فى التيار الذى يقتنع به.. فضلا عن عدم وقوعه تحت إغراء المنصب أو تأثير السلطة أو كرم المسئولين أو الحقوق التى يتمتع بها من قبل الصحافة أو المالك وهو ما يفسر رحيله عن مصر إلى الكويت بعد الخلافات التى نشبت بينه وبين الرئيس السادات بسبب الإغراءات والضغط التى مارسها الرئيس السادات عليه فى محاولة لاحتوائه إلى مجموعة السياسات الاقتصادية والإعلامية والخارجية التى كانت تمثل تحولا مفاجئا وسريعا لطبيعة المجتمع المصرى (١٣٢).

- امتلاك أحمد بهاء الدين لضمير يقظ وقيم أخلاقية جنبته

الوقوع فى استغلال عموده فى المجاملات أو الحصول على الهدايا والرشاوى المقنعة فى الداخل أو الخارج كما يحدث لبعض كتاب العمود الآخرين.

٢- لجوء أحمد بهاء الدين بكثرة إلى استخدام الوقائع والتسلسل المنطقى واعتماده بشكل ضعيف على الأرقام والنصوص الدينية، ويمكن تفسير ذلك فى ضوء :

- سهولة الاستشهاد بالوقائع والتسلسل المنطقى حيث يمتلأ المجتمع المصرى بالوقائع والأحداث والقضايا التى يمكن أن يستدل بها الكاتب على صدق ما يقوله أو البرهنة على ما توصل إليه، وعندما يكون موضوع العمود لا يرتبط بالواقع فإنه من السهل على الكاتب أن يمتلق ما يقوله .

- صعوبة الحصول على الأرقام وخاصة الأرقام الصحيحة فى دول العالم الثالث، حتى أن المسئولين بهذه الدول لديهم استعداد لتسريب الأرقام لجهات أجنبية فى حين لا يطمئنون للجهات المحلية ولذلك تجد أن معظم الحقائق المهمة عن دول العالم الثالث متوافرة لدى هيئات أجنبية^(١٣٣) كما أن الصراع بين الصحفيين والسلطة بشأن المعلومات والبيانات صراع غير متكافئ فى دول العالم الثالث حيث ترجع كفة السلطة فى حجب البيانات التى تؤثر عليها^(١٣٤)، كما أن الصحفيين لا يمتلكون القوة التى تمكنهم من الحصول على هذه البيانات،

ولا يتوافر لديهم مقومات الشجاعة لنشر البيانات الخطيرة حتى أن معظم هذه البيانات والمعلومات الخطيرة لا تنشر إلا بعد موافقة السلطة أو عدم رضاها على بعض الشخصيات الفاسدة^(١٣٥) وبالتالي يصبح من الصعب الاعتماد كثيرا على الأرقام كبراهين تدلل على وجهات نظرهم وذلك بالنسبة لمعظم كتاب العمود في الصحافة المصرية .

- غياب المنظور الدينى فى معالجة القضايا ليس عند أحمد بهاء الدين فقط ولكن عند معظم كتاب العمود فى الصحافة المصرية، فضلا عن قناعة هؤلاء الكتاب ومن بينهم أحمد بهاء الدين بالحلول الوضعية فى إصلاح المجتمعات وتقدمها^(١٣٦).

ثالثاً: السمة المميزة للغته :

على الرغم من أن «أحمد بهاء الدين» ينتمى إلى جيل الرواد المعاصرين للصحافة والذين يجيدون استخدام الأسلوب الأدبى فى الكتابة الصحفية.. إلا أن عموده «يوميّات» التزم فى المقام الأول بسمات اللغة الصحفية الخالصة التى تخلو من ملامح اللغة الأدبية (كالكنايات والتشبيهات والمجازات والتورية وألوان البديع وغيرها) فجاء اعتماده على اللغة الصحفية بنسبة (٩٠٪)^(١٣٧)، تليها اللغة التى يغلب فيها الطابع الصحفى على الطابع الأدبى

بنسبة (١، ٧٪) (١٣٨) ثم فى المرتبة الأخيرة اللغة التى يغلب فيها الطابع الأدبى على الطابع الصحفى وذلك بنسبة (٩، ٢٪) (١٣٩) .

ومما تقدم يمكن تفسيره فى ضوء الاعتبارات التالية :

١- لم يكن أحمد بهاء الدين صاحب اهتمامات أدبية، بل كان محللاً للسياسة كما أشرنا من قبل ، كما أنه لم يكن أدبياً تحول إلى كتابة المقال كما يحدث بالنسبة للمقال التحليلى فى الصحافة المصرية حيث تستعين الصحف بنخبة من الأدباء فى كتابة المقال الصحفى الطويل كما فعلت الأهرام مع توفيق الحكيم وثروت أباظه ويوسف إدريس وأحمد عبد المعطى حجازى وسعد الدين وهبه وغيرهم، وبالتالى جاءت لغته صحفية خالصة تمارس عليها منذ بداية عمله الصحفى فى كتابة التحليلات السياسية .

٢- إن معظم الموضوعات التى تناولها أحمد بهاء الدين فى عموده تنتمى إلى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وهى مجالات يقل الافتراض فيها باستخدام اللغة الأدبية، وعلى الجانب الآخر ينخفض اهتمام أحمد بهاء الدين بالموضوعات الأدبية التى يمكن أن تستخدم فيها اللغة الأدبية (١٤٠) .

٣- إن لغة الصحافة نفسها لغة بسيطة موجهة إلى كل من يعرف القراءة والكتابة بغض النظر عن اختلاف المستويات

الثقافية^(١٤١)، وبالتالي فهي لغة تبتعد في معظمها عن سمات اللغة الأدبية التي قد يصعب فهمها على كثير من قراء الصحف أو قد تفهم فهما خاطئاً من بعض القراء، فقد لا يفهم البعض الكتابة بلغة الرمز أو قد يفهم من القراء المعنى القريب للتورية في حين يقصد الكاتب المعنى البعيد لها .

٤- إن المرات القليلة التي استخدم فيها بهاء الدين مفردات اللغة كانت بهدف تحريك الأحاسيس من خلال إضفاء المزيد من جمال العبارة خاصة وأن الإسهامات النظرية في كتابة العمود تجيز استخدام سمات الأسلوب الأدبي حتى يجمع العمود الصحفي بين بساطة اللغة الصحفية وجمال اللغة الأدبية^(١٤٢) .

رابعاً : المستوى اللغوى الذى يستخدمه فى التعبير عن أفكاره :

تميز أحمد بهاء الدين فى عموده «يوميّات» بقدرات هائلة فى التعبير اللغوى مكنته من عدم اللجوء مطلقاً إلى استخدام المستوى اللغوى الذى يغلب فيه العامية على الفصحى، بينما اعتمد بشكل رئيسى على مستوى الفصحى المعاصرة التى تخلو تماماً من الفصحى القديمة وكذا العامية وذلك بنسبة (٩٨,٦٪) ثم بشكل هامشى على المستوى اللغوى الذى

يغلب فيه الفصحى المعاصرة على العامية وذلك بنسبة (١٤٣)٪ (٤، ١).

ومما تقدم يمكن تفسيره في ضوء الاعتبارات التالية :

١- إن الفصحى المعاصرة مستوى لغوى يشترك فى فهمه واستيعابه الغالبية العظمى من جمهور الصحف بمختلف مستوياتهم الثقافية وبالتالي فهو مستوى مناسب لمخاطبة أكثر عدد ممكن من القراء (١٤٤).

٢- تمثل الفصحى المعاصرة المستوى اللغوى الذى يفهمه قراء الصحف داخل مصر وخارجها فى العالم العربى، بينما يقتصر فهم العامية على القراء داخل مصر فقط (١٤٥)، فضلا عن أنها لهجات متعددة تختلف من مكان لآخر ومن عصر لآخر ومن فئة لأخرى فعامية المثقفين تختلف عن عامية العامة (١٤٦)، وهكذا تحقق الفصحى المعاصرة لكاتبها انتشارا لفكره وأسلوبه خارج مجتمعه حتى فى البلدان الأجنبية التى تقوم بترجمة هذه الأعمدة- إذ أنه من المعروف أن ترجمة الفصحى أسير بكثير من ترجمة العامية - بينما تحصر اللهجات كاتبتها فى مكان واحد أو فترة واحدة أو فئة معينة من القراء لأن اللهجات شأنها شأن اللغات تخضع لقوانين التطور الاجتماعى والحياتى .

٣- إن الفصحى المعاصرة مستوى من اللغة يتناسب مع نوعية الإعلام المطبوع وجمهوره بينما يمكن أن تتسع جماهير

اللغة المسموعة للذين يقرأون والذين لا يقرأون، وبالتالي فإن مستوى الفصحى المعاصرة تتناسب مع أحمد بهاء الدين ككاتب عمود يخاطب جماهير تجيد القراءة والكتابة وتمثل العامية المكتوبة بالنسبة لها صعوبة في الفهم لا يسرا كما يعتقد البعض «فضلا عن أن استخدام العامية في بعض الأحيان يعكس ضعفا لغويا يفقد الكاتب قدرته في التعبير عن أفكاره بالفصحى فيلجأ إلى العامية كنوع من الاستسهال»^(١٤٧).

خامسا: نوعية المقدمات التي يبدأ بها عموده

لجأ أحمد بهاء الدين إلى استخدام العديد من المقدمات لبداية عموده «يومييات» من أهمها المقدمة الخيرية بنسبة (٣١، ٤)٪^(١٤٨)، مقدمة القضية أو المشكلة بنسبة (١٤، ٣)٪^(١٤٩)، المقدمة الذاتية بنسبة (٨، ٦)٪^(١٥٠)، مقدمة الاقتباس بنسبة (٥، ٧)٪^(١٥١)، مقدمة السؤال بنسبة (٥، ٧)٪^(١٥٢) أيضا المقدمة الوصفية بنسبة (٤، ٣)٪^(١٥٣)، مقدمة الشخصيات ومقدمة التوقع والمقدمة التلخيصية كل منها بنسبة (٢، ٩)٪^(١٥٤)، مقدمة الدعاء والمقدمة التاريخية ومقدمة الربط كل منها بنسبة (١، ٤)٪^(١٥٥).

وقد بلغت نسبة الأعمدة التي كتبها أحمد بهاء الدين بدون مقدمات (١٧، ١)٪^(١٥٦).

ومما تقدم يتضح أن أحمد بهاء الدين لا يضطر وهو يكتب عموده أن يتقيد بنوع واحد من المقدمات لأن «كاتب العمود حر

فى استخدام المقدمات التى يراها مناسبة، ولا يمكن تفسير ذلك إلا فى ضوء المساحة الإبداعية التى يتمتع بها الفن الصحفى عموماً وكاتب العمود بصفة خاصة»^(١٥٧)، ولذلك فإن الحرية والإبداع وما يقتضيه الظرف والموقف الكتابى هى المساحة الكبرى التى تحدد كيف يبدأ أحمد بهاء الدين عموده، ولذلك جاء الكثير من أعمدة بهاء الدين بدون مقدمات رغم أن دراسات التحرير الصحفى توصى بالمقدمة التى تمهد الموضوع للقارئ وتجذبه إليه، غير أن تركيزه على المقدمة الخبرية ومقدمة القضايا والمشكلات نتيجة منطقية لملاءمة هذه المقدمات مع أعمدة الأحداث الجارية وأعمدة القضايا والمشكلات التى تصدرت الاهتمام الأول عند أحمد بهاء الدين .

سادساً: نوعية الخواتيم التى ينهى بها عموده

استخدم أحمد بهاء الدين فى نهاية عموده العديد من النهايات أو الخواتيم من أهمها :

الخاتمة التلخيصية بنسبة (٩.٢٣٪)^(١٥٨)، الخاتمة الاستثنائية بنسبة (١.٧٪)^(١٥٩)، الخاتمة الناصحة بنسبة (٧.٥٪)^(١٦٠)، الخاتمة الاقتباسية ، وخاتمة الرسائل وفئة أخرى كل منها بنسبة (٣.٤٪)^(١٦١)، خاتمة التساؤلات وخاتمة التعجب وخاتمة التوقع والخاتمة الوصفية كل منها بنسبة (٩.٢٪)^(١٦٢)، الخاتمة التأكيدية والخاتمة الطريفة وخاتمة الدعاء كل منها

بنسبة (١٦٣) (٤.١٪) .

وقد بلغت نسبة الأعمدة التي كتبها أحمد بهاء الدين بدون خاتمة (١٦٤) (٧.٢٥٪) .

ومما تقدم يتضح أن أحمد بهاء الدين ينهى عموده في معظم الأحوال بخاتمة تتضمن خلاصة ما توصل إليه في الموضوع الذي يعالجه أو خاتمة تستحث القارئ إلى تبني موقف أو اتخاذ قرار أو تقديم النصح والإرشاد في كثير من الموضوعات التي تشغل القراء، وهذه الطرق التي يستخدمها أحمد بهاء الدين في نهاية عموده تتفق مع الوظائف التي ينبغي أن يقدمها كاتب العمود .

غير أن أهم ما يلاحظ على أحمد بهاء الدين أنه يفضل في كثير من الأحوال كتابة عموده بدون خاتمة، ويفسر ذلك في إطار الحرية التي يتمتع بها كاتب العمود في طريقة الكتابة، فضلا عن وجود نوعية من الأعمدة لا تحتاج إلى خاتمة.. فالعمود الذي يبدأ بالسؤال يتضمن إجابة على هذا السؤال دون حاجة إلى خاتمة.. والعمود الذي يبدأ بالتوقع أو التنبؤ يتضمن الشواهد التي تدل على هذا التنبؤ دون حاجة إلى خاتمة، والعمود الذي يستحث القارئ إلى اتخاذ قرار أو تبني موقف يورد البراهين المقنعة دون حاجة إلى خاتمة وكذلك الحال في العمود الذي يبدأ بخلاصة ما يتوصل إليه الكاتب وهكذا، وإذا كان أحمد بهاء

الدين فى كتابة عموده استغنى فى كثير من المرات عن المقدمة أو الخاتمة.. إلا أنه لا يمكن أن يستغنى عن الاثنى معا لأن هدف الكاتب ينبغى أن يظهر فى المقدمة أو الخاتمة .

هوامش البحث :

- (١) اقتبس الباحث مصطلح «أسلوب التفكير وطريقة التعبير» من كل من :
- عبد اللطيف حمزة، المدخل إلى فن التحرير الصحفى، ط٤ (القاهرة : دار الفكر العربى، ١٩٦٨) ص ٢٠٨-٢٠٩.
- صلاح قبضايا، تحرير وإخراج الصحف (القاهرة : المكتب المصرى الحديث، ١٩٨٥) ص ١٨١-١٨٣.
- (٢) انظر: سيد حسين، بحوث الإعلام: الأسس والمبادئ، ط١ (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٦) ص ١٢٤-٢٠٦ .
- (٣) انظر: عواطف عبد الرحمن، وآخرون، تحليل المضمون فى الدراسات الإعلامية، (القاهرة: العربى للنشر والتوزيع، ١٩٨٢) ص ٢٢-٢٤ .
- (٤) انظر تفصيلا لإمكانية تقليل حجم العينة فى حالة تجانس مجتمع الدراسة فى :
ريتشارد بن وآخرون، تحليل مضمون الإعلام : المنهج والتطبيقات العربية، ترجمة محمد ناجى الجوهري ط١ (الأردن: قدسية للنشر، ١٩٩٢) ص ٣٩-٤٢ .
- (٥) يتعرض العمود العام لمختلف الموضوعات والقضايا العامة فى مختلف

المجالات كالسياسة أو الاقتصاد أو الثقافة أو الفكر أو الأدب أو الدين
أو القانون أو الطب أو السياحة أو الرياضة أو قضايا الحب والزواج
والطلاق ومشكلات الحياة الاجتماعية اليومية.. انظر :

د. فاروق أبو زيد، فن الكتابة الصحفية (القاهرة: دار المأمون للطباعة
والنشر، ١٩٨١) ص ٢٠١.

- (٦) أحمد بهاء الدين «يوميات» ، الأهرام، ١٩٨٦/٢/٨ .
- (٧) أحمد بهاء الدين «يوميات» ، الأهرام، ١٩٨٦/٢/١٤ .
- (٨) أحمد بهاء الدين «يوميات» ، الأهرام، ١٩٨٦/١٠/١٤ .
- (٩) أحمد بهاء الدين «يوميات» ، الأهرام، ١٩٨٧/٣/١٦ .
- (١٠) أحمد بهاء الدين «يوميات» ، الأهرام، ١٩٨٧/٣/١٨ .
- (١١) أحمد بهاء الدين «يوميات» ، الأهرام، ١٩٨٧/٣/٢٠ .
- (١٢) أحمد بهاء الدين «يوميات» ، الأهرام، ١٩٨٧/٣/٢١ .
- (١٣) أحمد بهاء الدين «يوميات» ، الأهرام، ١٩٨٧/١٠/٢٧ .
- (١٤) أحمد بهاء الدين «يوميات» ، الأهرام، ١٩٨٨/١٠/٢٨ .
- (١٥) أحمد بهاء الدين «يوميات» ، الأهرام، ١٩٨٨/١٠/٢٦ .
- (١٦) أحمد بهاء الدين «يوميات» ، الأهرام، ١٩٨٨/١٠/٣٠ .
- (١٧) أحمد بهاء الدين «يوميات» ، الأهرام، ١٩٨٨/١٠/٣١ .
- (١٨) أحمد بهاء الدين «يوميات» ، الأهرام، ١٩٨٩/٨/٣١ .

-
- (١٩) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٩/٩/٤ .
- (٢٠) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٩/١٢/٤ .
- (٢١) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٩/١٢/٣ .
- (٢٢) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٥/١/٦ .
- (٢٣) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٦/٢/١٢ .
- (٢٤) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٦/٢/١٣ .
- (٢٥) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٩/٩/٢ .
- (٢٦) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٥/٧/٥ .
- (٢٧) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٧/٩/٢٤ .
- (٢٨) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٨/١٠/٢٩ .
- (٢٩) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٩/١٢/٧ .
- (٣٠) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٥/٧/٨ .
- (٣١) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٦/٢/١١ .
- (٣٢) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٧/٣/١٩ .
- (٣٣) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٦/١٠/١٨-١٦ .
- (٣٤) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٨/٤/٢٤ .
- (٣٥) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٩/٨/٣٠ .
- (٣٦) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٥/١/٣ .
-

-
- (٣٧) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٥/١/٤ .
- (٣٨) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٥/٧/١٠ .
- (٣٩) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٧/٩/١٩ .
- (٤٠) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٨/٤/٢٥ .
- (٤١) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٥/١/١ .
- (٤٢) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٦/١٠/١٣ .
- (٤٣) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٧/٩/٢٠ .
- (٤٤) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٨/١٠/٢٦-٢٧ .
- (٤٥) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٥/١/٢ .
- (٤٦) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٦/١٠/١٥ .
- (٤٧) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٩/٨/٢٩ .
- (٤٨) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٩/٩/٣ .
- (٤٩) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٥/١/٧ .
- (٥٠) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٧/٣/١٥ .
- (٥١) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٧/٩/٢١ .
- (٥٢) أحمد بهاء الدين «يوميات»، الأهرام، ١٩٨٩/٩/١ .
- (٥٣) انظر: يوسف صانع، «في الاقتصاد السياسي والاجتماعي لإدارة التنمية العربية»، مجلة المستقبل العربي، العدد ١١٤ (بيروت : مركز
-

دراسات الوحدة العربية، اغسطس ١٩٨٨) ص ٤-٢١.

(٥٤) نصار عبد الله، «كتب وكتاب» برنامج تليفزيونى حول كتاب «أيام لها تاريخ» لآحمد بهاء الدين، القناة السابعة بتاريخ ١٩٩٥/٦/٣٠.

(٥٥) انظر أمثلة فى : ١٩٨٦/٢/٨ - ١٩٨٧/٣/٢١ - ١٩٨٧/٩/٢٥، ١٩٨٦/٨/١٧ - ١٩٨٦/٨/٢٧ - ١٩٨٨/١٠/٢٨ - ١٩٨٨/١٢/٨ - ١٩٨٩/١٢/٨.

(٥٦) انظر أمثلة فى : ١٩٨٧/٣/١٦، ١٩٨٥/٩/٧ - ١٩٨٦/١٠/١٨، ١٩٨٧/٩/٢٠ - ١٩٨٨/١٠/٢٩ - ١٩٨٨/١١/١ - ١٩٨٦/٢/١٣ - ١٩٨٧/٣/١٦.

(٥٧) عبد العزيز الفنام، مدخل فى علم الصحافة ج ١، ط ٢ (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٧) ص ٢٧٤.

(٥٨) انظر أمثلة فى : ١٩٨٨/٤/٢٢ - ١٩٨٨/٤/٢٣ - ١٩٨٨/٤/٢٣ - ١٩٨٦/١٠/١٢ - ١٩٨٨/٢٠/٣١ - ١٩٨٩/١٢/٢ - ١٩٨٦/٢/١٠ - ١٩٨٩/٨/٣١.

(٥٩) انظر أمثلة فى : ١٩٨٧/٩/٢١ - ١٩٨٥/٧/١١ - ١٩٨٩/٨/٢٩.

(٦٠) انظر أمثلة فى : ١٩٨٧/٩/١٩ - ١٩٨٥/٧/٦ - ١٩٨٦/١٠/١٣.

(٦١) انظر أمثلة فى : ١٩٨٧/٣/١٩ - ١٩٨٥/٧/٥ - ١٩٨٩/٨/٣٠.

(٦٢) انظر أمثلة فى : ١٩٨٧/٩/١٩ - ١٩٨٧/٣/١٩.

(٦٣) انظر أمثلة فى : ١٩٨٧/٩/٢٤ - ١٩٨٥/٧/١٠ - ١٩٨٦/٢/١٢.

(٦٤) انظر أمثلة فى : ١٩٨٧/٩/٢٢ - ١٩٨٧/٩/٢٣ .

(٦٥) انظر أمثلة فى : ١٩٨٩/١٢/٤-٣ .

(٦٦) انظر أمثلة فى : ١٩٨٥/١/٢ - ١٩٨٨/١٠/٩-٨ .

(٦٧) انظر أمثلة فى : ١٩٨٧/٣/١٧، التأمل، ٨٨/١٠/٢٦، الذاتى.

(٦٨) رصدت إحدى الدراسات العلمية ٨٠ قضية يعانى منها المجتمع

المصرى فى أربعة مجالات (١٧ قضية سياسية، ٣٠ قضية اقتصادية،

١٢ قضية ثقافية، ٢٠ قضية اجتماعية) انظر تفصيلا لهذه القضايا فى :

- عزه عبد العزيز، المسئولية الاجتماعية للصحافة المصرية: دراسة تحليلية

لوظائف الصحافة فى الفترة من ١٩٧٨-١٩٨٧، بالتطبيق على صحيفتى

الأهرام والأهالى، رسالة ماجستير غير منشورة (سوهاج: كلية

الآداب، ١٩٩٢) ص ٢٣٢-٣٠٩، ٧١٠-٧٢٧ .

(٦٩) انظر: عواطف عبد الرحمن، إشكالية الإعلام التنموى فى الوطن

العربى (القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٨٥) ص ٧-١٢ .

- فاروق أبو زيد، مدخل إلى علم الصحافة (القاهرة: عالم الكتب،

١٩٨٦) ص ٧٨-٨١ .

(٧٠) انظر: فاروق أبو زيد، فن الكتابة الصحفية، مرجع سابق، ص ١٩٣ .

(٧١) انظر:

- محمود فهمى، فن تحرير الصحف الكبرى (القاهرة: الهيئة المصرية

العامّة للكتاب، ١٩٨٢) ص ٢٠٢ .

- صلاح قبضايا، تحرير وإخراج الصحف (القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٨٥) ص ١٧٩.

(٧٢) انظر: عواطف عبد الرحمن، مقدمة في الصحافة الافريقية (القاهرة: الجمعية الافريقية، ١٩٨٠) ص ١٢٣.

(٧٣) انظر:

- مختار التهامي، الإعلام والتحول الاشتراكي، ط ١ (القاهرة دار المعارف، ١٩٦٦) ص ١٢.

- مختار التهامي، الصحافة والسلام العالمي، (القاهرة: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ١٩٦٤) ص ٣٣٩-٣٤٤.

(٧٤) محمد منير حجاب، المقال الافتتاحي (طنطا : مؤسسة سعيد للطباعة، ١٩٨٧) ص ٢٣.

(٧٥) انظر : المرجع السابق، ص ٢٤.

- عبد العزيز شرف، فن المقال الصحفي في أدب طه حسين (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦) ص ٦١.

(٧٦)- جلال الدين الحمامصي، الصحيفة المثالية (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٢) ص ١٩٥-٢٠٠.

(٧٦) انظر :

- عبد الباسط عبد المعطى، الإعلام وتزييف الوعي (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، ١٩٧٩) ص ٦٢-٨٥.

- محمد أبو الاسعاد، الصحافة المصرية وتزييف الوعي (القاهرة: مجهول الناشر وسنة النشر) ص ٣١-٣٢.

(٧٧) انظر :

Julian Harriss and others, the Complete Reporter 5th-ed,(New york and London Macmillan publishing company, N.D) p.979.

(٧٨) انظر : عبد اللطيف حمزة، المدخل في فن التحرير الصحفي، مرجع سابق، ص ٣١٣-٣١٤ .

(٧٩) انظر أمثلة في : ١٩٨٥/٧/٩ - ١٩٨٦/١٠/١٨ - ١٩٨٨/١٩٠/٢٦ - ١٩٨٩/١٢/٤ - ١٩٨٩/١٢/٨ - ١٩٨٧/٣/٢١ - ١٩٨٩/٨/٣١/٢٩ .

(٨٠) انظر أمثلة في : ١٩٨٥/٧/١١ - ١٩٨٦/١٠/١٢ - ١٩٨٨/١٠/٣١ - ١٩٨٩/١٢/٧ - ١٩٨٩/١٢/٣ - ١٩٨٧/٣/١٥ - ١٩٨٥/١/٣ .

(٨١) انظر أمثلة في : ١٩٨٥/٧/١٠ - ١٩٨٩/١٢/٦ - ١٩٨٥/١/٦ - ١٩٨٨/٤/٢٨ - ١٩٨٦/٢/١٢ - ١٩٨٥/١/٦ - ١٩٨٩/١٢/٦ - ١٩٨٥/٧/١٠ .

(٨٢) انظر أمثلة في : ١٩٨٥/٧/٨ - ١٩٨٨/١٠/٢٧ - ١٩٨٦/٢/١٣ .

(٨٣) انظر أمثلة في : ١٩٨٥/٧/٥ - ١٩٨٧/٩/٢٤ .

(٨٤) انظر أمثلة في : ١٩٨٥/١/٤ - ١٩٨٧/٩/٢٥ .

(٨٥) انظر أمثلة في : ١٩٨٧/٣/١٧ – ١٩٨٨/١١/١ .

(٨٦) انظر أمثلة في : ١٩٨٥/٧/٧ .

(٨٧) انظر أمثلة في : ١٩٨٩/٩/٤ .

(٨٨) محمد منير حجاب، المقال الافتتاحي، مرجع سابق، ص ٦٥-٦٦ .

(٨٩) انظر: محمود أدهم : المقال الصحفي (القاهرة: مكتبة الأنجلو

المصرية- ١٩٨٤) ص ٢٨ .

(٩٠) انظر :

Ray Eldon Hilbert and others, Massmedia; An
Introduction to communication, (New york and
London: Longman, 1982) p.441 .

(٩١) انظر تفصيلا لأهمية رسائل القراء بالنسبة لكاتب العمود في :

F.W. Hodgson , Modern Newspaper Prattice,
2nd ed., (Oxford, London and Nairobi: Heieman
Professional Publishing, 1989) p.54.

(٩٢) انظر:

– صلاح الدين حافظ «إشكالية الصحافة والسلطة في الوطن العربي» مجلة

الدراسات الإسلامية، العدد (٤٣) أبريل – يونيو ١٩٨٦، ص ٣-٧ .

– حسن عماد مكاوي، أخلاقيات العمل الإعلامي (القاهرة: الدار المصرية

الليمانية، ١٩٩٤) ص ١٦٩-١٧٢ .

- منبرك، ناصر، «قيم الأخبار في مقابل الأيديولوجية: منظور من العالم الثالث» في ل جون مارتن وأنجلو جروفر شودري، نظم الإعلام المقارنة، ترجمة على درويش (القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩١) ص ٧٥-٨٨ .

- بسيوني حماده، «العلاقة بين الإعلاميين والسياسيين في الوطن العربي» مجلة عالم الفكر، العدد الأول والثاني (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يوليو- ديسمبر ١٩٩٤) ص ١٩٣ .
(٩٣) انظر :

Milton Hollstein and Lorry Kurtz, Editing zith Understanding: A text book and Workbook, (London: Collier Macmillan Publishers, 1981), p.81.

(٩٤) صابر حارص، تأثير الصحافة المصرية على الرأي العام المحلي : دراسة ميدانية على محافظة سوهاج، رسالة ماجستير غير منشورة (سوهاج : كلية الآداب، ١٩٨٩) ص ٢٧٠-٢٧١ .

(٩٥) محمد حسنين هيكل، «وجها لوجه» مجلة العربي ، العدد ٣٢٦ (الكويت : وزارة الإعلام، ١٩٦٨) ص ١٨ .

(٩٦) انظر أمثلة في : ٧-٨/١٩٨٥ - ١٤-١٨/١٠/١٩٨٦ -

. ١٩٨٨/١٠/٢٩-٢٦

(٩٧) انظر أمثلة في : ١٩٨٥/٧/٩ - ١٩٨٨/١٠/٣١-٣٠ - ٨٩/١٢/٥-٥

. ١٩٨٦/٢/١١-١٠ - ١٩٨٨/٤/٢٧-٢٦ - ١٩٨٧/٣/١٩/١٦

(٩٨) انظر أمثلة في : ١٩٨٥/٧/٦-٥ - ١٩٨٥/٧/١١ - ١٩٨٦/١٠/١٣

- ١٩٨٨/٤/٢٥ - ١٩٨٧/٩/٢٣-٢٠ - ١٩٨٩/١٢/٤-٣

. ١٩٨٩/٨/٣٠-٢٩

(٩٩) انظر أمثلة في : ١٩٨٥/٧/١٠ - ١٩٨٧/٩/٢٤ - ١٩٨٩/١٢/٨

. ١٩٨٥/١/٦-٥

(١٠٠) انظر أمثلة في : ١٩٨٧/٩/١٩ - ١٩٨٥/١/١

(١٠١) انظر :

- فاروق أبو زيد ، مدخل إلى علم الصحافة، مرجع سابق، ص ٧٨-٨١.

- إجلال خليفة، الصحافة : مقروءة، مرئية، مسجدة، تجارية، إدارية،

(القاهرة: دار الطباعة الحديثة، ١٩٧٦) ص ٧ .

- عبد اللطيف حمزة ، مرجع سابق ص ١١٢، ١١٨ .

(١٠٢) انظر :

George Beveridge "Talking Back to Columnists",
The Masthead, Vol.29, No.2, Summer 1979, p.20.

(١٠٣) انظر: فاروق أبو زيد مرجع سابق، ص ٨١-٨٤ .

- Wilber Schram, Men, Messages, and Medis :
Alook at Human Communication (New york:
Harper and Rwa, 1973) p.p 246-249 ..

(١٠٤) أنظر أمثلة في : ٩-١٠/٧/١٩٨٥ - ٢١-٢٥/٩/١٩٨٧ -

- ١٩٨٩/١٢/٨-٣ - ١٩٨٨/٤/٢٨-٢٦ - ١٩٨٦/١٢/١٢ - ١٩٨٧/٣/١٩-١٨ .

(١٠٥) انظر أمثلة في : ٥/٧/١٩٨٥ - ٨/٧/١٩٨٥ -

- ١٩٨٦/١٠/١٧-١٦ - ١٩٨٥/١/٦-٥ - ١٩٨٧/٣/٢١-٢٠ - ١٩٨٦/٢/١٤ - ١٩٨٦/٢/٩ .

(١٠٦) انظر أمثلة في : ٦/٧/١٩٨٥ - ١٤-١٥/١٠/٨٦ - ٣٠/٨/١٩٨٦ .

(١٠٧) انظر أمثلة في : ٢/١٢/١٩٨٩ - ١٧/٣/١٩٨٧ .

(١٠٨) انظر أمثلة في : ٢٥/٤/١٩٨٨ - ١٣/١٠/١٩٨٦ - ١٩٨٧/٩/٢٠-١٩ .

(١٠٩) انظر : مختار التهامي «الرأي العام والحرب النفسية» (القاهرة : دار
المعارف، ١٩٨٢) ص ٢٢ .

(١١٠) انظر : عبد العزيز شرف، مرجع سابق، ص ١٩١ .

- محمود فهمي، فن تحرير الصحف، مرجع سابق، ص ٢٠٥ .

(١١١) انظر : - فاروق أبو زيد، فن الكتابة الصحفية مرجع سابق، ص ١٩٣ .

(١١٢) انظر: محيي الدين عبد الحليم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية،

ط٢(القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٤) ص١١٨.

(١١٣) انظر: عواطف عبد الرحمن، دراسات في الصحافة المصرية المعاصرة (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٥) ص٢٢٦.

(١١٤) انظر: أحمد سويلم العمرى، الرأى العام والدعاية (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥) ص٤٣.

– أحمد محمد أبو زيد، الرأى العام ورسائله الديمقراطية (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٦٨) ص٦٠.

(١١٥) انظر: فاروق أبو زيد، فن الكتابة الصحفية، مرجع سابق، ص١٩٦-١٩٨.

(١١٦) انظر أمثلة فى : ١٩٨٥/٩-٧ – ١٩٨٧/٩/٢٣-١٩.

(١١٧) انظر أمثلة فى : ١٩٨٦/١٠/١٧ = ١٩٨٨/٤/٢٣.

(١١٨) انظر أمثلة فى : ١٩٨٥/٧/١٠ – ١٩٨٩/١٢/٦-٥.

(١١٩) انظر أمثلة فى : ١٩٨٥/١/٢ – ١٩٨٦/٢/٨ – ١٩٨٨/٤/٢٢.

(١٢٠) انظر أمثلة فى : ١٩٨٦/١٠/١٤.

(١٢١) انظر أمثلة فى : ١٩٨٧/٩/٢٥-١٩ – ١٩٨٨/١٠/٣١-٢٩ –

١٩٨٥/٧/٧-٦ – ١٩٨٦/١٠/١٧-١٦.

(١٢٢) انظر أمثلة فى : ١٩٨٥/٧/٩-٨ – ١٩٨٦/١٠/١٥-١٤ –

١٩٨٩/١٢/٤-٢.

(١٢٣) انظر أمثلة فى : ١٩٨٥/٧/٥ - ١٩٨٩/١٢/٧ - ١٩٨٥/١/٥ -
١٩٨٦/٢/٩ - ١٩٨٨/٤/٢٨ .

(١٢٤) انظر أمثلة فى : ١٩٨٨/١٠/٢٨ - ٨٨/٤/٢٤ - ١٩٨٨/٤/٢٦ .

(١٢٥) انظر أمثلة فى : ١٩٨٨/١١/١ .

(١٢٦) انظر أمثلة فى : ١٩٨٥/١/٧ .

(١٢٧) انظر أمثلة فى : ١٩٨٩/١٢/٦ لأداة التحيز، ١٩٨٥/١/٦ للتركيز
على العواطف .

(١٢٨) انظر :

- عدنان أبو فخر، فعالية النص الصحفى (القاهرة: دار الجيل، ١٩٨٢،
ص ٨١.

- مختار التهامى، الرأى العام والحرب النفسية، ص ١٠٩-١١٢ .

- ابراهيم إمام، الإعلام والاتصال بال جماهير، ط٢ (القاهرة: مكتبة الانجلو
المصرية، ١٩٧٥) ص ١٩٧، ١٨٤ .

(١٢٩) انظر :

Harry Stonecipher, Editorial and persuasive
Writing (New york: Hastings House Publishers,
1979)p.p.15,137.

(١٣٠) انظر تفصيلا لأعلى مستوى من التزييف والخداع فى معالجة

الصحافة المصرية لأزمة الخليج الثانية فى :

عواطف عبد الرحمن ، «تجليات التبعية الإعلامية فى حرب الخليج» مجلة الدراسات الإعلامية، العدد ٦٦، مارس ١٩٩٢، ص ٤٧-٦٧ .

(١٢١) انظر على سبيل المثال لا الحصر :

تقرير المجلس الأعلى للصحافة عن الممارسة الصحفية فى الصحافة المصرية خلال شهور نوفمبر وديسمبر ويناير ٨٥-١٩٨٦، ص ١١، ٢٥. ١٣

(١٢٢) انظر بالتفصيل :

أحمد بهاء الدين، محاوراتى مع السادات، ط٢ (القاهرة: دار الهلال، ١٩٨٧) ص ٩ .

(١٢٣) انظر :

- البرت ل. هستر وواى لان ج. تو ، دليل الصحفى فى العالم الثالث، ترجمة كمال عبد الرؤوف (القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٨٨) ص ١٦-١٧ .

(١٢٤) انظر :

- رمزى ميخائيل جيد، أزمة الديمقراطية ومأزق الصحافة القومية (القاهرة: مكتبة مديولى، ١٩٨٦) ص ١٥ .

- عبد الفتاح عبد النبى، الأداء المهنى للعاملين بالصحف المصرية، مجلة اليقظة العربية، العدد الثامن، أغسطس ١٩٦٠، ص ١١٠-١١٣.

(١٣٥) انظر:

- محمود عبد الفضيل، تأملات في المسألة الاقتصادية المصرية (القاهرة:

دار المستقبل العربى، ١٩٨٣) ص ٦٠-٦٨ .

- محمد حسنين هيكل، خريف الغضب (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع

والنشر، ١٩٨٣) ص ٣٩٨-٤٠٩ .

- عبد الله إمام، قضية عصمت السادات: محاكمة عصر (القاهرة: روز

اليوسف، ١٩٨٣) ص ١٥٠-١٧٠ .

(١٣٦) يستثنى من الصحف المصرية صحيفة الشعب ومن كتاب العمود

أحمد بهجت: انظر فى ذلك :

- أنور الجندى، الصحوة الإسلامية: منطلق الأصالة وإعادة بناء الأمة على

طريق الله (القاهرة: دار الاعتصام ب.ت) ص ٢٣٠-٢٣٣ .

(١٣٧) أنظر أمثلة للغة الصحفية الخالصة فى التواريخ التالية :

- ١٩٨٥/٧/١١-٥ - ١٩٨٦/١٠/١٨-١٥ - ١٩٨٧/٩/٢٥-٢٢ -

١٩٨٩/١٢/٨-٢ .

(١٣٨) انظر أمثلة للغة التى يغلب عليها الطابع الصحفى فى:

١٩٨٦/١٠/١٣ - ١٩٨٧/٩/١٩ - ١٩٨٨/١٠/٢٦ - ١٩٨٨/٤/٢٥ .

(١٣٩) انظر أمثلة للغة التى يغلب عليها الطابع الألبى فى :

١٩٨٦/١٠/١٤ - ١٩٨٧/٩/٢٠ .

(١٤٠) انظر:

فاروق خورشيد، بين الأدب والصحافة (بيروت : دار اقرأ، ١٩٨٠) ص ٩٨-١٠٦.

- محمد سيد محمد، الصحافة بين التاريخ والأدب (القاهرة : دار الفكر العربي، ١٩٨٥) ص ٥٢-٥٤ .

(١٤١) انظر:

- عبد اللطيف حمزة، الإعلام والدعاية ط٢ (القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٨٤) ص ٩١-٩٢.

- عبد العزيز شرف، التفسير الإعلامي للأدب، سلسلة كتابك رقم ١٧١ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤) ص ٣-٤٢.

(١٤٢) انظر:

فاروق أبو زيد، فن الكتابة الصحفية، مرجع سابق، ص ١٩٥.

(١٤٣) انظر أمثلة لمستوى الفصحى المعاصرة في كل أعمدة أحمد بهاء الدين الخاضعة للدراسة باستثناء ١٧/٣/١٩٨٧ الذي ورد فيه بعض الجمل العامة.

(١٤٤) انظر: السعيد بدوي، مستويات العربية المعاصرة في مصر (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٣) ص ٨٩.

(١٤٥) انظر: محيي الدين عبد الحليم وحسن الفقى، العربية في الإعلام : الأصول والقواعد والأخطاء الشائعة (القاهرة: مطابع دار

الشعب، ١٩٨٨) ص ٢٦-٢٧ .

(١٤٦) انظر: على عبد الواحد وافى، فقه اللغة، طه (القاهرة : لجنة البيان العربى، ١٩٦٣) ص ١٧٤ .

(١٤٧) فؤاد فواز صحفى بالأخبار وكاتب عمود يومى «رحلة كل يوم» بجريدة الوفد، مقابله معه بتاريخ ١٩٩٥/٥/٨ .

(١٤٨) انظر أمثلة فى : ٢٧-٢٩/١٠/١٩٨٨ - ٨/٧/١٩٨٥ - ١٢/١٠/١٩٨٦ - ٢٤/٩/١٩٨٧ - ٢/١٢/١٩٨٩ .

(١٤٩) انظر أمثلة فى : ١٦/١٠/١٩٨٦ - ١٨/١٠/١٩٨٦ - ٢٦/١٠/١٩٨٨ - ٧/١٢/١٩٨٩ .

(١٥٠) انظر أمثلة فى : ٥/٧/١٩٨٥ - ١٩-٢١/٩/١٩٨٧ - ٤/١٢/١٩٨٩ .

(١٥١) انظر أمثلة فى : ٧/٧/١٩٨٥ - ٢٥/٩/١٩٨٧ .

(١٥٢) انظر أمثلة فى : ٢/١/١٩٨٥ - ٨/٢/١٩٨٦ - ٢٢/٤/١٩٨٨ .

(١٥٣) انظر أمثلة فى : ١٤/١٠/١٩٨٦ - ١٩/٣/١٩٨٧ - ١/١/١٩٨٥ .

(١٥٤) انظر أمثلة فى : ١٢/١٠/١٩٨٦ - ٧/١/١٩٨٥ لمقدمة

الشخصيات، ٣٠/١٠/١٩٨٨ - ٣/١٢/١٩٨٩ لمقدمة التوقع،

٥/٧/١٩٨٥ - ١٧/١٠/١٩٨٦ لمقدمة التلخيص.

(١٥٥) انظر أمثلة فى : ١٨/٣/١٩٨٧ لمقدمة الدعاء، ٤/٩/١٩٨٩ للمقدمة

التاريخية. ٨/١٢/١٩٨٩ لمقدمة الربط.

(١٥٦) انظر أمثلة فى : ١٠/٧/١٩٨٥ - ٥-٦/١٢/١٩٨٩ -

١٩٨٧/٩/٢٣.

A.Gayle Waldrop, Editor and Editorial Writer, (١٥٧)
(New York: Rinehart & Company, Inc., N.D)
p.451.

(١٥٨) انظر أمثلة في : ١٩٨٥/٨-٧ - ١٩٨٨/١٠/٢٩-٢٨ - ١٩٨٨/١٠/٢٩ -

١٩٨٩/١٢/٨-٧ .

(١٥٩) انظر أمثلة في : ١٩٨٦/١٠/١٦ - ١٩٨٨/١٠/٢٧ .

(١٦٠) انظر أمثلة في : ١٩٨٥/٧/٩ - ١٩٨٦/٢/٦ - ١٩٨٧/٣/٢٠ .

(١٦١) انظر أمثلة في : ١٩٨٨/١٠/٣١ - ١٩٨٧/٣/١٩ - ١٩٨٨/٤/٢٥

لخاتمة الاقتباس، ١٩٨٥/٧/١٠ - ١٩٨٥/١/٥ لخاتمة الرسائل .

(١٦٢) انظر أمثلة في : ١٩٨٧/٩/٢٥ - ١٩٨٦/٢/٨ لخاتمة التساؤل،

١٩٨٧/٣/١٨ - ١٩٨٩/٩/١ لخاتمة التعجب، ١٩٨٨/١٠/٣٠ -

١٩٨٦/٢/١٠ لخاتمة التوقع، ١٩٨٨/١٠/٢٦ - ١٩٨٥/١/٣ لخاتمة

الوصفية،

(١٦٣) انظر أمثلة في : ١٩٨٦/١٠/١٤ لخاتمة التأكيدية، ١٩٨٧/٩/١٩

للخاتمة الطريفة، ١٩٨٥/١/٢ لخاتمة الدعاء.

(١٦٤) انظر أمثلة في : ١٩٨٥/٧/٦-٥ - ١٩٨٦/١٠/١٢ -

١٩٨٩/١٢/٦-٣.

النتائج

١- لم يكن أحمد بهاء الدين كاتباً منغلِق الفكر على مجال واحد، محدود الاهتمامات والوظائف، قاصر الرؤية والمصادر، بل كان كاتباً شمولياً، في الرؤى والمصادر، متنوع الاهتمامات والوظائف، فلم يقتصر «أحمد بهاء الدين» على الاهتمام بمجال واحد من المجالات المعرفية، بل اهتم بالسياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة والأدب والفن والدين والعلم وغيرها، وفي إطار هذه المجالات تنوعت اهتماماته من القضايا والمشكلات إلى نقد المجتمع، ومتابعة الأحداث الجارية وتسجيل موقفه منها، إلى الاهتمام بالتاريخ والشخصيات العامة في مختلف المجالات من زعماء وقادة ومسؤولين ونجوم، إلى الاهتمام بالأنشطة وخدمات القراء وعروض الإنتاج العلمى والمعرفى والكتابات التأملية والذاتية والتكهنية وكذلك أعمدة المناسبات وغيرها.. كما تنوعت الوظائف والمهام التى قدمها «أحمد بهاء الدين» من خلال عموده من وظيفة التوجيه المباشر والتوجيه غير المباشر كالتفسير والتوضيح إلى وظائف التثقيف والترفيه وتقديم النصائح والخدمات التى تيسر سبل الحياة للقراء، فضلاً عن ذلك فقد تعددت المصادر التى استقى منها أحمد بهاء الدين أفكاره من الواقع والأعلام ورسائل القراء والوثائق إلى المسؤولين والمتخصصين والتاريخ والمصادر الذاتية، كما

تعددت الجماهير التي دافع أحمد بهاء الدين عن مصالحها من الجمهور العام إلى الجمهور النوعي وخاصة جمهور المثقفين والموظفين ممن ينتمون إلى الطبقة المتوسطة في المجتمع .

٢- وعلى الرغم من تنوع وتعدد اهتمامات ومصادر ووظائف وجماهير، أحمد بهاء الدين إلا أنه لم يكن عشوائياً في هذا التنوع والتعدد، بل اتسم بمبدأ ترتيب الأولويات وفق أولويات المجتمع واحتياجاته، فعلى مستوى الموضوعات أعطى أحمد بهاء الدين أولوية للموضوعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية على بقية الموضوعات الأخرى الأدبية والفنية والعلمية وغيرها، وعلى مستوى أنواع الأعمدة أعطى أحمد بهاء الدين أولوية لأعمدة القضايا والمشكلات والنقد والأحداث الجارية على بقية أنواع الأعمدة الأخرى وعلى مستوى الوظائف اهتم «أحمد بهاء الدين» بوظائف التوجيه المباشر وغير المباشر أكثر من اهتمامه بالوظائف الأخرى، وعلى مستوى الجماهير فقد ركز على المصالح التي تمس الجمهور العام أكثر من تركيزه على مصالح الجمهور النوعي، وعلى مستوى المصادر فقد لجأ أحمد بهاء الدين إلى الواقع وما تنقله وسائل الإعلام وما يصل إليه من رسائل القراء وما تتوافر لديه من وثائق أكثر من بقية المصادر الأخرى.

٣- وفي إطار هذا التنوع مع ترتيب الأولويات يأتي أحمد

بهاء الدين ككاتب قومي عربى أولا، إقليمي ثانيا، محلى ثالثا، عالمى رابعا، فهو ينتقل فى اهتماماته من العام إلى الخاص ومن الكل إلى الجزء ويعكس هذا قناعته بأهمية التفاعل مع المتغيرات القومية والإقليمية لخدمة القضايا القومية والمحلية ومواجهة التحديات العالمية ولذلك فإن الفكرة المحورية التى تسيطر على الاهتمام السياسى لأحمد بهاء الدين هى الصراع العربى الإسرائيلى وخاصة القضية الفلسطينية والفلسطينيين والسياسة الخارجية الأمريكية نحو هذا الصراع ونحو الأوضاع فى الشرق الأوسط بصفة عامة وكذلك سبل المواجهة العربية لهذه السياسات وكيفية الاستفادة من العلاقات الأفريقية وحركة عدم الانحياز، ولذلك فإن أحمد بهاء الدين لا يتناول السياسة الدولية مجردة عن انعكاساتها على القضايا القومية العربية، بل يصل به الأمر إلى أن يربط ذلك بقضايا الديمقراطية والعنف والانتخابات على المستوى المحلى، وهذا الشمولية فى المعالجة الصحفية تعكس إحدى سمات المصداقية التى يتسم بها أحمد بهاء الدين فى كتاباته السياسية .

٤- وكما سيطر المنظور القومى على أحمد بهاء الدين فى معالجة القضايا والمشكلات التى تواجه مصر والمجتمع العربى ، فقد سيطر المنظور السياسى على معالجته للقضايا والموضوعات فى المجالات الأخرى، فعلى المستوى الدينى لم

يهتم أحمد بهاء الدين كعبادات وأحكام، بل ركز على علاقة الدين بالحياة وبالسياسة واستقرار المجتمع وأمنه، فأبرز وصاية كل من الإسلام والمسيحية بالوحدة الوطنية ونبذ الفتنة الطائفية.. وعلى المستوى الثقافى اهتم أحمد بهاء الدين بالهوية المصرية من خلال قضايا الأصالة والمعاصرة وإحياء ذكرى الشخصيات الأدبية والفكرية التى كانت اهتماماتها السياسية بارزة فى التاريخ المصرى الحديث مثل صلاح جاهين وتوفيق الحكيم.. وعلى المستوى الاقتصادى ركز أحمد بهاء الدين على انتقاد كل ما يتعارض مع الإصلاح الاقتصادى باعتباره ضرورة للاستقلال السياسى فركز على سلبيات التخطيط والإدارة والقوانين والتشريعات الاقتصادية التى تضعها الحكومة وفى إطار ذلك اهتم أحمد بهاء الدين بالفلستينيين المقيمين فى مصر فطالب باستثنائهم من منع تملك أراض زراعية بأثر رجعى.. وعلى المستوى الاجتماعى ركز أحمد بهاء الدين على السياسات التعليمية وسياسات الحكومة فى النقل والمواصلات والتليفونات والنظافة وقطاع الموظفين ومشاكله كما انتقد التسهيلات التى تقدمها الحكومة فى تعاملها مع المجرمين الأجانب لظروف سياسية معينة.. وعلى المستوى الفنى لم يهتم أحمد بهاء الدين بالجانب الترفيهى المسلى، بل ركز على علاقة الفن بالدين وعلاقة الفن بالسياسة وما تعكسه هذه العلاقة من

خلاف فكرى ومواجهات مسلحة بين جماعات العنف الدينى
وبعض أفراد وجماعات ومؤسسات المجتمع .

٥- أبرز ما يميز أحمد بهاء الدين هو اتصال فكره بالواقع
وإدراكه لما يحدث فيه بوعى وما يحتاج إليه من تغيير وقد
وضح ذلك من نوعية الموضوعات ونوعية المصادر ونوعية
الأمدة التى ركز عليها وأعطاهها أولوية على حساب الأخرى كما
ورد ذلك فى النتيجة الثانية .

٦- ارتفاع مصداقية ما يكتبه أحمد بهاء الدين وقد وضع
ذلك من خلال نوعية الأساليب التى استخدمها فى التدليل على
صحة ما يقوله ، حيث اعتمد على تقديم الوقائع واستخدام
المنطق وعرض وجهتى النظر وذكر الأرقام فى حين ابتعد تماما
عن المبالغة والتعميم ولم يقع فى التحيز وإثارة العواطف
والانفعالات مرة واحدة خلال عينة الدراسة .

٧- لم يقتصر أحمد بهاء الدين فى كتابة عموده على طريقة
الهرم المعتدل التى تبدأ بذكر التفاصيل وتنتهى بالنتيجة، بل
استخدم طرق أخرى من أبرزها طريقة الهرم المقلوب التى تبدأ
بالحكم أو النتيجة ثم ذكر التفاصيل أو الشواهد الدالة على ذلك،
وكذلك الطريقة التى تقوم على ذكر سؤال فى مقدمة العمود ثم
الإجابة عليه .

٨- يستخدم أحمد بهاء الدين فى التعبير عن أفكاره لغة صحفية خالصة تكاد تخلو من المفردات الأدبية ومفردات العامية وهو ما يتناسب مع جماهير لقراء الصحف وجمهور العمود بشكل خاص.

٩- لم يتقيد أحمد بهاء الدين بنوع معين من المقدمات أو النهايات فى كتابة عموده الصحفى ولكنه كان يفضل أن يبدأ عموده بحدث أو خبر، ثم يقوم بالتحليل والتعليق على هذا الخبر ، أو يبدأ بذكر قضية أو مشكلة ثم يناقشها ويتوصل فيها إلى رأى وتوجيه للقراء، كما استخدم بقلة أنواع عديدة من المقدمات كالمقدمة الذاتية، الاقتباسية، الوصفية، مقدمة الدعاء، الربط، التوقع، السؤال، التلخيصية، كما أن أحمد بهاء الدين لم يتقيد بنوع واحد من النهايات ولكنه كان يفضل أن ينهى عموده بالخاتمة التلخيصية التى يقدم فيها خلاصة ما توصل إليه فى الموضوع الذى تناوله وكذلك الخاتمة الاستثنائية التى يستحث فيها القارئ لاتخاذ موقف ما أو قرار بشأن موضوع العمود، وكذلك الخاتمة الناصحة التى يقوم فيها بتوجيه القارئ ونصحه وحل مشكلاته والإجابة على استفساماته، كما استخدم بقلة أيضا أنواع أخرى كالخاتمة الاقتباسية، خاتمة الرسائل، التساؤلات، التعجب، التوقع، الدعاء، الخاتمة الوصفية، التأكيدية، الطريفة.

١٠- يميل أحمد بهاء الدين في كثير من الأحيان إلى الاستغناء عن المقدمة أو الخاتمة في كتابة عموده لدرجة أن هذه السمة احتلت المرتبة الثانية عند أحمد بهاء الدين، حيث بلغت نسبة الأعمدة التي بدون مقدمة (١٧.١٪) والأعمدة التي بدون خاتمة (٢٥.٧٪) وهو بذلك يفضل في مرات كثيرة حسب طبيعة المضمون الدخول في الموضوع مباشرة أو يبدأ عموده من حيث ما يريد أن ينتهي به فلا يحتاج الأمر إلى الخاتمة.

١١- أحمد بهاء الدين كاتب سياسى اجتماعى قومى متصل بالواقع العربى أولا ويعمل دائما على تغييره من خلال الإلتزام بمستوى عال من الصدق فى الكتابة والدفاع عن مصالح الأغلبية، ويستخدم فى التعبير عن ذلك طرق كتابه، ومستوى وسمات لغة، وبدايات ونهايات تتلاءم جميعها مع جمهور الصحافة وجمهور العمود بشكل خاص.

ملحق رقم (١)

اسم العمود/ يوميات

التاريخ	الموضوعات	مصادر الأفكار	أنواع الأعمدة	الوظائف	الجمهور
	١- سياسي ٢- اقتصادي ٣- اجتماعي ٤- ثقافي ٥- فني ٦- رياضي ٧- علمي ٨- ديني ٩- عسكري ١٠- أكثر من مجال ١١- أخرى	١- الذاتي ٢- المسؤول الحكومي ٣- المسؤول الحزبي ٤- المخصص ٥- المسؤول المخصص ٦- الشخص العادي ٧- رسائل القراء ٨- الواقع ٩- المصادر الإعلامية ١٠- التاريخ ١١- المناسبات ١٢- الوثائق ١٣- المؤلفات ١٤- الدين ١٥- المأثورات ١٦- مجهول المصدر ١٧- أكثر من مصدر ١٨- أخرى	١- الفلسفي العالمي ٢- الإنساني ٣- الفكاهي ٤- النقدي ٥- القلبي الساخر ٦- المروحي ٧- العكسي ٨- التاريخي ٩- الذاتي ١٠- الخدمي الناصح ١١- الشخصيات ١٢- الأحداث الجارية ١٣- القضايا والمشكلات ١٤- المناسبات ١٥- الأنشطة ١٦- أكثر من نوع ١٧- أخرى	١- التفسير ٢- العويدة ٣- الخدمات ٤- الإعلام والتطبيقات ٥- الترجمة ٦- أخرى	١- الجمهور العام ٢- الجمهور الوحي ١/٢ المسؤولون ٢/٢ غير المسؤولين ١/٢/٢ المقلدون ٣/٢/٢ العمال والفلاحون ٤/٢/٢ أكثر من جمهور ٥/٢/٢ أخرى ٣- غير محدد الجمهور

اسم الكاتب / أحمد بهاء الدين

القوالب الفنية	أساليب الألفاظ	سمات اللغة	مستويات اللغة	الخطات	النهائيات
١- الهرم المحتل ٢- الهرم المقلوب ٣- الترتيب الزمني ٤- الترتيب المكاني ٥- من السؤال إلى الجواب ٦- الحوار ٧- الفقرات ٨- رسائل القراء ٩- أخرى	١- الأسلوب العلمي ١/١ الأرقام ٢/١ الوقائع ٣/١ النصوص النسبية ٤/١ التسلسل المنطقي ٥/١ عرض وجهتي النظر ٦/١ أكثر من أداة ٧/١ أخرى ٢- الأسلوب غير العلمي ١/٢ التحيز ٢/٢ التعميم والمبالغة ٣/٢ التخالفات ٤/٢ التركيز على المواطن ٥/٢ أكثر من أداة ٦/٢ أخرى ٣- الأسلوبان معاً (العلمي وغير العلمي)	١- محكية خالصة ٢- يقلب عليها الطابع الأدبي أكثر ٣- يقلب عليها الطابع الصحفي أكثر	١- الفصحى المعاصرة ٢- يقلب عليها طابع المعاصرة أكثر ٣- يقلب عليها طابع الصحفي أكثر	١- القضية أو المشكلة ٢- الأقباس ٣- النتيجة ٤- الدعاء ٥- اللاتية ٦- المقارنة ٧- السؤال ٨- الرسائل ٩- السابعة الهجومية ١٠- الساخرة ١١- المشيرة للصعب ١٢- الشخصيات ١٣- التاريخية ١٤- الوصفية ١٥- الربط ١٦- التوقع ١٧- القصصية ١٨- الشخصية ١٩- الاستعطائية ٢٠- يسألون مقدمة ٢١- أخرى	١- الشخصية ٢- التأكيذية ٣- الاستعطائية ٤- الأقباسية ٥- الوصفية ٦- الناصحة ٧- الطريفة ٨- الصاويلات ٩- الرسائل ١٠- الصعب ١١- الدعاء ١٢- النسبية ١٣- التوقع ١٤- الوصفية ١٥- التاريخية ١٦- الساخرة ١٧- يسألون خاتمة ١٩- أخرى

أحمد بهاء الدين مفكراً

د. عبد الله هديه

فى الليلة الظلماء يفتقد البدر، عندما تدلهم الأمور ويختلط الحابل بالنابل ويكثر الأشقياء ويندر الفضلاء، وتمتلئ الساحة بالمهرجين والطبالين وتختفى الآراء الموضوعية التى تبتغى صالح الله والوطن والناس وتزكم الأنوف معانٍ وكلمات تقف وراءها أموال ومصالح وافدة من خارج حدود مصر المحروسة، ينبخ الظلام بكله على صدور وعقول أبناء غررة، يصنع منهم المهووسين والقتلة والمافونيين.. ويضيع الوطن فى الزحام.. فى هذا الجو الصاخب نكون أحوج ما نكون إلى مجموعة الشرفاء الذين يبدون سواد الليل الحالك ويفرسون زهور الحقيقة فى تربة الوطن والناس بعيداً عن أية فلوس من خارج الحدود، نكون أحوج ما نكون إلى أمثال أحمد بهاء الدين الذى أغنى الحياة الفكرية المصرية على مدى ثلاثين عاماً وناضل ضد الأراجيف وكل آراء الإفك والباطل، أحوج ما نكون إلى أحمد بهاء الدين،

الكاتب الموضوعى العاقل ، المهوم بقضايا أمن وطنه وشعبه، لم يبيع قلمه فى سوق النخاسة والنخاسين وإنما وظّفه على مدى هذه السنوات لخدمة أشرف القضايا وأنبلها: تقدم وطنه ورفع مستوى شعبه على جميع الأصعدة واستعادة فلسطين حرة وكريمة، ووحدة عربية دون قهر أو إكراه ذات مضامين اجتماعية واقتصادية عادلة.

إن أهم شيء يبرز فى جل كتابات «أحمد بهاء» الرأى العاقل الموضوعى، يحس معه أنه يهدف إلى مصلحة الوطن والشعب، يحس معه أنه لا يكتب لمصالح رأس مال خارجى أو داخلى وإنما يعبر عن قضايا وآمال الملايين من بسطاء الناس فى مصر والوطن العربى.. أحمد بهاء الدين يقلب لك المسألة على جميع الوجوه بأسلوب سهل وشيق ينفذ إلى عقول الناس وقلوبها ثم بعد ذلك يبسط لك الرأى الأقرب إلى الصحة الذى يتفق مع مصالح الأغلبية أصحاب المصلحة الحقيقية فى هذا الوطن وترابه .. إن أحمد بهاء الدين لا يعد كاتباً عادياً وإنما جاءت هذه الآراء الموضوعية ثمرة سهر طويل على كتب الثقافة والفن.. إنه كاتب (تعب على نفسه) كما يقولون، لم يكثف بليسانس الحقوق ودراساته القانونية، وإنما قرأ الكثير والكثير وتعلم اللغة الإنجليزية والفرنسية إلى حد الإتقان، وقرأ بهما كثيراً، الأمر الذى عكس نفسه على عقله وعلى آرائه وأفكاره المستنيرة

الموضوعية الزاهرة التى تحل فى النفوس والعقول مباشرة لقد بدأ أحمد بهاء رحلة صحفية شاقة، عمل فى معظم الدور الصحفية المصرية: دار الأخبار ودار الهلال ودار الأهرام.. وكل جريدة أو مجلة عمل بها، قفز بعدد من المشترين لها إلى أرقام كبيرة، حيث ارتبط به الكثير من قراء الوطن العربى رجالا ونساء عبر مقالاته وآرائه النيرة.. إن الكثير والكثير من قراء الأهرام اليومى، كان أول ما يقع عليه بصرهم فى الأهرام هو عمود أحمد بهاء الدين اليومى ، وأنا لا ألقى الكلام على عواهنه وإنما هذا مؤكد من خلال العديد من الدراسات الأكاديمية والعلمية التى تقدم بها الباحثون لنيل شهادات أكاديمية فى كلية الإعلام وأقسام الصحافة المصرية والعربية.. لقد تواكب لمعان أحمد بهاء الدين فى الصحافة المصرية والعربية مع لمعان كاتب آخر له قيمته ووزنه فى الصحافة العربية وترجع على دست الأهرام عددا طويلا من السنين خلق فيها المبنى والجريدة، ويملك حرفة عالية فى الصياغة والسرد ألا وهو الأستاذ محمد حسنين هيكل.. واتسعت الساحة للإثنين لم يغط أحدهما على الآخر، كل منهما كان له مذاقه وطعمه الخاص، وبالرغم من أن هذه الفترة شهدت صحافيين بارعين وكتابا مرموقين إلا أن محمد حسنين هيكل وأحمد بهاء الدين كانا فى مقدمة الصفوف.. تميز الأول باستناده إلى مصدر هام تفوق فى

الأخبار والمعلومات الجديدة التي لا يعرفها القارئ وتتميز مقالاته الأسبوعية في الأهرام بصياغة جذابة شديدة الحبكة والمهارة، وتميز أحمد بهاء بتحليل المعلومات المتاحة له بقدر كبير من الموضوعية والعمق، تظهر ثقافته العريضة الموظفة في خدمة الناس والوطن جلياً في هذه الكتابات وهذه التحليلات.. يسوق إليك أفكاره دون صخب ودون جلبية وتنفذ إلى عقلك وجسمك عبر استنشاقك لها كنسمات النسيم العليل وقطرات المطر الندية التي تبلل فؤادك وجسدك.. أحمد بهاء كاتب يحترم قارئه لا يحاول أن يخدعه ويقدم له الزيف المغموس في قطرات العسل كما يفعل البعض لم ينافق حاكماً ولم يزمّر أو يطبل لسلطة، وإنما كان همه أن يسوق الآراء التي تخدم المواطن البسيط في الأساس وتخدم السلطة إذا كانت تتبنى هي قضايا هذا المواطن وتعمل من أجله ومن أجل وطنه.. فعلى الصعيد الداخلي خاض أحمد بهاء معارك شرسة ضد قوى الظلام المتسربة بعبادة الدين وتحاول أن ترتد بنا إلى عصور سحيقة من التأخر والتخلف عبر سوء النية في تفسير النصوص الدينية وأدرك أحمد بهاء من زمن أن هذا التيار الظلامي يرتبط بالخارج وليس نابعا من الأرض المصرية وأنه يركز على مفاتيح التقدم في هذا البلد يحاول ضربها وهدمها.. ومن هذه المفاتيح كانت قضية المرأة، حيث اشتبك «أحمد بهاء في بداية الستينات

مع بعض رموز هذا التيار الذى نظر إلى القضية من خلال
اختزال المرأة - هذا المخلوق البشرى شقائق الرجال «الذى يلد
ويربى ويعلم ويعمل - فى جسدها الذى اعتبروه عورة ولهذا
يتعين على المرأة فى رأى هؤلاء أن تقبع فى ركن لاتبارحه
وتسحب نهائيا من الحياة وعليها أن تنتظر فقط فى هذا الركن
«السيد» الذى يجىء بعد أن يفرغ من أعماله، يستمتع بها، ثم
تنتظر الولادة ثم تنتظر بعد ذلك الموت وهكذا تنتظر فى الدنيا
ثلاثة أشياء

١- لحظة الاستمتاع بها - ٢- لحظة الولادة - ٣- لحظة
الموت.

دافع «أحمد بهاء» عن شخصية المرأة وعقلها وشرفها
وعملها ودورها الحيوى والأساسى فى الحياة جنبا إلى جنب مع
الرجل، ودورها فى خطط التنمية وتربية النشء.. هاجم سوء البنية
لهذه التيارات المتمسحة بالدين إزاء المرأة وهاجم تفسيرهم
الجنسى للتاريخ ولكل ما يحدث من ظواهر فى العالم.

ناصر قضايا البسطاء فى هذا الوطن باعتبارهم الأغلبية
الساحقة وعندما يرتقون يرتقى الوطن، دافع عن حقهم فى
السكن اللائق الصحى وعن حقهم فى المأكل الكريم المفيد، وعن
الملبس الجميل الذى يتناسب معهم فى الصيف والشتاء، عن
حقهم فى الحياة وفى قضاء أوقات فراغ مفيدة فى الرياضة

والتسلية واللهو كما دافع عن حقهم فى التعليم والعمل فى الحياة الكريمة والاستمتاع بعائد عملهم.. إن ثقافته الواسعة وإجادته للانجليزية والفرنسية مكنته من أن يطلع على ثقافات متعددة، شكلت له فى النهاية عقلية مستنيرة تزن الأمور بميزان من ذهب، ونظرا لأن أحمد بهاء « إنسان ملتزم بوطنه وبربه.. استخدم هذه الثقافة فى الدفاع عن قضايا الأغلبية البائسة المحرومة التى تشكل الجزء الأكبر من الشعب العربى.. وهذا ما دفع البعض أن يسمه بالاشتراكية وإذا كانت هذه الأوصاف والتسميات نسبية تختلف من مجتمع إلى آخر وفقا لدرجة تطوره الاقتصادى والسياسى والاجتماعى ووعى شعبه، فإن أحمد بهاء بالنسبة للمجتمع الفرنسى مثلا يقع فى صفوف الليبراليين المستنيرين.. ولكن فى المجتمع المصرى الذى يرتع فيه الفكر المحافظ بل والفكر المغالى فى العودة إلى الماضى، يكون من السهولة أن يلصق البعض بأحمد بهاء صفات ونعوت مثل الشيوعية والاشتراكية وبالرغم من هذا ألحت عليه الكويت أن يتسلم مقاليد مجلة العربى ، وإذا كانت مجلة العربى ولدت عملاقة على يد عالم مصرى فاضل هو الدكتور «أحمد زكى» فإن النخبة الحاكمة الكويتية وهى تتميز بقدر من التفتح والاستنارة، لم تجد سوى أحمد بهاء بالرغم من كل أوصاف الاشتراكية والشيوعية التى كانت تلصق به.. ليكمل مسيرة مجلة العربى

ويحافظ على مستواها المرتفع.. وقد كان، حيث استطاع أحمد بهاء بتقلده رئاسة تحرير مجلة العربى أن يدفع بها إلى الأمام ويحافظ على المستوى المرتفع الذى بلغته هذه المجلة ويتقدم به فى درجات الرقى حتى صارت المجلة الشهرية الأولى لدى القارئ العربى فى جميع أقطار هذا الوطن.. وكان الكثير من القراء ينتظرون بفارغ الصبر هذه المجلة حتى يقرأوا المقال الشهرى لأحمد بهاء الذى كان يكشف الكثير عما يستغلّق أمام المواطن من أحداث ويستعصى على فهمه ويأتى مقال أحمد بهاء بأسلوب سهل وأنيق يفسر له ما استعصى وما صعب على فهمه. ولقد استمر أحمد بهاء.. فى رئاسة تحرير هذه المجلة ما يقرب من خمسة عشر عاما إلى جانب كتاباته التى لم تنقطع من الصحف المصرية واستطاع أن يحفر فى الحياة الثقافية العربية شواهد ومعالج الأفكار الحية المستنيرة ويشرح مفاهيم العدالة والحق والحرية وشرف الإنسان فى أذهان الكثيرين من المواطنين العرب. ولذا فنحن أحوج ما نكون اليوم إلى قلم أحمد بهاء وفكره الحر ليساهم بفاعلية فى تبديد الظلام وينقذ البقية الباقية من الشباب من تلك الأوهام المؤذية المسلطة على عقولهم وسلوكهم تلك الأوهام التى ضللت الكثيرين منهم بشنودها وانحرافها.. إذا كان أحمد بهاء انفعّل بمشاكل وطنه وكرس قلمه لاستنباط الحلول لهذه المشاكل وحث الحكومات على اتخاذ

القرارات التي تقضى على هذه المشاكل فإن أهم مشاكل الشعب التي بدأ أحمد بهاء فيها الكتابة هي القضاء على الفقر والجهل والمرض والقضاء على الفسدة والفساد قبل ثورة ١٩٥٢ وبعدها، ثم المساهمة في خطط التنمية ورفع مستوى معيشة الناس والتخلص من الثالث الرهيب الذي ما زلنا حتى اليوم بالرغم من تعاقب الحكومات لم نقض عليه نهائيا، انفعل أحمد بهاء بقضايا عصر الستينات في التحرر وتخلص شعوب العالم الثالث من نير الاستعمار ودعم حركات التحرير في كل مكان والدعوة إلى العدالة الاجتماعية والنضال من أجل الوحدة العربية والقومية العربية.. والقضية الكبرى التي أخذت الكثير من قلمه وتفكيره كانت قضية فلسطين.. ففي كتابه «أبعاد في المواجهة العربية الإسرائيلية» الصادر من المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت ١٩٧٢، يتحدث فيه عن عنصر الزمن في سياسة إسرائيل وأنه كلما طال الزمن ولم نتوصل إلى حلول استفحلت التناقضات في المجتمعات العربية وبدأت تتاكل من الداخل وتمر في دوامات لامتناهية من عدم الاستقرار والفوضى، ثم يكشف عن «اللوبي الصهيوني» في أمريكا وأن زعماء اليهود في أمريكا أكثر تشددا وتعصبا ويفضوا للعرب من زعمائهم داخل إسرائيل وأن هؤلاء الزعماء في أمريكا لهم نفوذ ضخم داخل المجتمع الأمريكي ولدى صناع القرار بالرغم من أنهم يشكلون ٣٪ من

عدد سكانها وأنهم يدرون تماما أن هذه فرصتهم التاريخية لتحقيق أحلامهم في دولة يهودية صهيونية في قلب الوطن العربي، كما يكشف عن أبعاد التعاون العلمى والعسكرى الوثيق بين أمريكا وإسرائيل الذى مكَّنها من أن تقيم قاعدة عسكرية علمية متقدمة وتملك الكثير من أجهزة التوجيه والاتصال مركزا على أن يهود أمريكا يعملون دائما على خلق التوافق التام بين أهداف إسرائيل وأهداف السياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة.. ويفصل أحمد بهاء في هذا الكتاب الكثير من خبايا العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ويبرهن على أنها علاقة خاصة، تشدها المصالح الاستراتيجية في المنطقة والعمل على منع قيام أية دولة عربية قوية ومتحدة في المنطقة) كما يبين الكثير والكثير من خبايا السياسة الاسرائيلية وتطبيق «بن جوريون» سياسة الأمر الواقع وبناء الجيش الإسرائيلى والتلويح دائما بأن حدود إسرائيل تقف عندما يقف الجيش الإسرائيلى وأن إسرائيل لم يكن ممكنا أن تترك مصر قبل ١٩٦٧ وفيها كل هذه القوة المكدسة خصوصا أن قواتها ذاهبت إلى خارج مصر إلى اليمن والعراق والجزائر في بعض الظروف، وأن قوتها في هذه المنطقة يتعين أن تنكسر كما يعرج في هذا الكتاب على سيناء ويوضح أنها كانت معبرا وممرًا طول تاريخها بين أفريقيا وآسيا، وتهدف

إسرائيل إلى فصل مصر عن الشرق عن طريق المشاركة في سيناء، وعدم انفراد مصر بها والتحرك فيها بحرية.. ولا يمكن أن تواجه مصر هذا الخطر إلا بقيام دولة عصرية في الإنسان والعادات والتقاليد والأخلاقيات وتنظيم العمل إلى توزيع المسئولية وتحديد الاختصاص، وفي كتابه الآخر «وتحطمت الأسطورة عند الظهيرة يحكى فيه قصة ٦ أكتوبر ١٩٧٣، وهو بهذا العنوان يرد على كتاب وتحطمت الطائرات عند الفجر ذلك الكتاب اللقيط الذى دبجته الدعاية الصهيونية لتخريب النفس العربية وهزيمتها من الداخل ولكن ٦ أكتوبر كان يمكن لنا أن نهزم الهزيمة لا أن نرفضها فقط ونبقى ساكنين.. إن أحمد بهاء الدين أفرد الكثير من كتاباته عن فلسطين وعن إسرائيل ودراستها من الداخل حيث كان العقل العربى يرفض فى البداية على أساس تجاهل ذلك الكيان وإذا قمت بدراسته فهذا نوع من الاعتراف به، ولكن هذا التفكير الساذج لم يأبه به أحمد بهاء مؤكدا أنه لابد أن تعرف خصمك جيدا إذا كنت تريد أن تقهره.. ولذا كتب الكثير عن إسرائيل وعلاقتها بكل دول العالم والمؤسسات الحاكمة فيها وخلفياتها وسياساتها.

إن أحمد بهاء صحفى وكاتب ينير الطريق للناس ويرشد صاحب القرار فى كيفية ما يتعين عمله إزاء مشكلة ما.

إننا نحس بغيابه وتفتقد الساحة الداخلية والعربية رأيـه
العاقل الموضوعى القائم على دراسة وثقافة عميقة. لندعو الله
أن يشفى أحمد بهاء ويعود سالما معافى «إلى قلمه» وإلى الذين
أحبوه ويحبونه والذين فى شوق إلى عودته مرة أخرى للعب دوره
التنويرى الهادىء والمؤثر.

يناضل أيضا من يقعد ينتظر

د. علي الراعي

حين أخذ بصر الشاعر الانجليزى العظيم جون ميلتون يتناقص رويدا رويدا حتى انتهى إلى العمى التام، جعل ذلك الرجل المناضل يتأمل حاله ويأسى لما آل إليه. لم يكن مجرد شاعر فخيم اللفظ جليل الخيال، بل كان أيضا مقاتلا فى صفوف ثورة «كرومويل»، وكان يدعو إلى سيادة حكم الشعب، وحقه فى مساءلة الحكام ملوكا كانوا أم أفرادا كبارا فى السلطة.

جعل هذا المقاتل العظيم هدف حياته أن يبذر بذور الفضيلة وحب الخدمة العامة بين صفوف شعبه، وأن يكفكف من شطحات العقل واندفاعاته، وأن يضبط عواطف البشر على النغمة الصحيحة. كان يريد أن يرفع أناشيد سامية ومجيدة إلى مقام صاحب العرش: الله فى علاه، وأن يظهر للناس قدرته التى وسعت كل شىء.

وقد حقق ميلتون من هذا الشىء الكثير: كتب ملحمة الخالدة: «الفردوس المفقود» وفيها يعلى حق البشر فى مساءلة

الكبار، ومزج بين حسه الأخلاقي الكبير وبين تطلعات النظرة الإنسانية إلى تحرير العقل والروح من ربة الاستغلال. ودعا إلى إلغاء الرقابة على الأعمال الفنية والذهنية، وتحميل الكاتب - لا الرقيب - تبعة الدفاع عن القيم الجادة، كما دعا إلى تخفيف القيود على الطلاق، وطالب - قبل كل هذا وبعده - بالنظر الثاقب في أمور الكنيسة، وتحريرها من أثر المفسدين والمتزمتين .

ولما انتهت ثورة كرومويل بالفشل، وعادت الملكية إلى بريطانيا، كتب ميلتون مسرحية عن شمشون تخيل فيها نفسه في شخصية ذلك الأخير الذي لم يقعد به عماه عن تقويض المعبد على رءوس أعدائه، وهتف، على وعلى أعدائي يارب، كان ميلتون - رغم عجزه وفشل ثورته - لا يزال يهفو إلى أن يخدم هذه الثورة التي تحطمت، وأن يحرم أعداءها من الأعمدة التي استندت إليها، حتى ولو أدى هذا إلى أن يقتل نفسه .

على أنه في لحظات أكثر هدوءاً، كتب قصيدة عزى فيها نفسه لعجزها عن العمل والنضال، وختمها بقوله «يناضل أيضاً من يقعد ينتظر»!

لست أدري ما الذي ذكرني بهذا كله وأنا أتهياً لكتابة تحية لصديقي ورفيق شبابي وزميل فكري، ومشاركي ميولي في كثير

من الأحياء: الإنسان العظيم أحمد بهاء الدين، بيننا كثير من نقاط التشابه، برزت فيه هو بوضوح: النظرة الهادئة، الثاقبة الحكم العقلاني غير المندفع، وضوح الرؤية.. الخ.. غير أن بهاء الدين يمتاز عنى فى نقاط أخرى كثيرة، لعل أولها هو أنه كان من رواد فكرة القومية العربية، حتى قبل أن تطرحها ثورة ٢٢ يوليو طرعا علنيا. وكان بعض أصدقائه - وأنا بينهم - يتشككون فى جدوى التمسك بالقومية العربية، مادامت القوة الرئيسية موجودة فى مصر، غير أن بهاء كان يرى ما لم نكن نرى إذ ذاك، كان يرى فى اجتماع العرب، القوى منهم والضعيف، نواة لقوة كبرى يمكن أن تعيد تشكيل منطقتنا العربية من جديد، وقد ظلت أنا على تشككى فى جدوى القومية العربية حتى أتيت لى أن أسافر على نطاق واسع فى أرض العرب من الخليج إلى المحيط، فعلمنى الواقع الحى أن القومية العربية قائمة بالإمكان وبالفعل أيضا، لانتظر إلا من يتبناها ويعمل فى سبيلها حتى يتحقق الحلم الكبير: حلم الوطن العربى. إذ ذاك أدركت كم أن بهاء كان بعيد النظر، سابقا الكثير من معاصريه من الشباب.

شجاعة فكرية

وقد أظهر بهاء فى كثير من المناسبات شجاعة فكرية واضحة. من ذلك أنه سافر فى الخمسينات إلى الاتحاد

السوفيتي، وأمضى شهرا هناك، ثم عاد ليكتب كتابا سرعان ما لفت النظر وهو كتاب «شهر في روسيا» لم يتردد بهاء في أن يثبت في الكتاب بعض النقاط السالبة التي وجدها في الاتحاد السوفيتي . فآثار هذا امتعاض اليساريين الذين كانوا يؤيدون الاتحاد السوفيتي لأسباب مختلفة: منها الإيمان المطلق، غير المدقق في صحة كل ما يقوله أو يفعله القائمون على السلطة هناك، ومنها شعور البعض - وأنا منهم- بأن أي نقد للاتحاد السوفييتي في الظروف التي كانت سائدة إذ ذاك، إنما يصب في طاحونة الأعداء الرأسماليين، ويضر بالتالي بموقف التقدميين في بلادنا..

ولقد غضب بهاء غضبا واضحا على سخط الساخطين على كتابه، وأظنه كتب مقالا صغيرا ما زلت أذكره، ونشره في صباح الخير بعنوان: «الإرهاب» هاجم فيه- إن لم تخنى الذاكرة- ظاهرة تقديس كل ما يجرى في الاتحاد السوفييتي، واعتبر الهجوم على اتجاهه في الكتاب نوعا من الإرهاب الغرض منه إسكات أصوات الغير .

على كل حال ، فقد واصل أحمد بهاء الدين اتجاهه هذا، بدعوة الشاعر السوفييتي ايفتوشينكو إلى زيارة مصر، وكان هذا الشاعر يتخذ لنفسه موقفا مميزا من الخط الرسمي، وأذكر أنه عقب جولة له في مصر، انتهى به المكان إلى القاهرة فقام

فى حفل أقامه له بهاء فى دار الأوبرا يقول: اسمعوا: إذا كنتم
تظنون أننى جئت إلى هنا لأحدثكم عن منجزات الاشتراكية من
إقامة السدود وتصنيع وما إلى ذلك، فأنتم واهمون. أنا
سأحدثكم عن الحب وعواطف البشر!.

ويمتاز أحمد بهاء الدين عن كثير من معاصريه من الكتاب
بروح مواطن فائق الحس، يتمتع بما يسمى بالحس المدنى
Civic Conscience، أو الضمير المدنى إذا شئنا، وهذا
الحس هو الذى دفع به إلى تقديس البيئة والدفاع عنها،
والدخول فى معارك متصلة فى سبيل الدفاع عنها، وكلنا نذكر
النضال العنيف الذى بذله، كى ينقذ مزرعة كلية الزراعة
بالقاهرة من العدوان عليها وتحويلها إلى مساكن لأعضاء هيئة
التدريس . وكلنا يذكر أيضا النضال الآخر الذى قام به بهاء فى
سبيل تحويل أرض كلية دار العلوم القديمة إلى حديقة تخدم
الحى، بعد أن كان زبانية أقفاص الأسمنت المسلح يتلمظون كى
يحولوها إلى عمارات سكنية قميئة يسجنون فيها البشر
وأرواحهم، وقد نجحت جهود بهاء، وفى كل مرة أمر بالحديقة
التي قامت بفضل استخدام لضميره المدنى، أوجه له التحية
وأشعر نحوه بالامتنان العميق نيابة عن سكان حى المنيرة!
ودعوة بهاء إلى تعميم استخدام الكمبيوتر، وتنبيهه إلى أن

نهاية القرن سوف تحمل معها معنى آخر للأمية غير ذلك الذى نعرفه الآن: لن يكون أميا من لا يقرأ ولا يكتب بل سيكون من لا يستخدم الكمبيوتر فى مجالات استخداماته المختلفة من صناعة وتجارة، وتعليم-التعليم خاصة، وقد أثمرت دعوة بهاء الدين فى هذا المجال ثمرات كثيرة وأصبح الوعى بالكمبيوتر عميقا، وأصبح استخدامه من قبل تلاميذ المدارس وطلبة الجامعات أمرا شائعا، وباعثا على البهجة ..

جريمة العصر!

على أن أهم ما فعله أحمد بهاء الدين فى سبيل خدمة وطنه الأكبر: الوطن العربى هو الصفحة التى اشتراها من حر ماله وخصصها للاحتجاج على ما سماه: «جريمة العصر». ظهرت هذه الصفحة عقب سماح الاتحاد السوفيتى لأعداد كبيرة جدا من اليهود السوفيت بالهجرة إلى إسرائيل، بزعم أن هذا السماح هو إعمال لحق أساسى من حقوق الإنسان، هو حق السفر من بلده إلى أين شاء. وقد رأى أحمد بهاء الدين فى هذا كله جريمة كبرى ترتكب فى حق عرب فلسطين وحق العرب جميعا، فليس هذا تمسكا بحقوق الإنسان وإنما هو مساعدة على الإجهاز على ما تبقى من فلسطين من أرض وبشر. خاصة أن حقوق الإنسان تنتهك فى بلاد كثيرة من العالم ولا من يغضب أو يحتج من بين الدول الكبرى، بل إن الاتحاد السوفيتى ذاته

كان إلى تلك اللحظة يسهم في انتهاك حق الشعب الأفغانى فى
الظفر بحريته وحكومة لا تسندھا دبابات الأجنبى .

من ثم ثار بهاء الدين ثورة عارمة، واشترى الصفحة التى
سلفت الإشارة إليها ، وأخذ يجمع التوقيعات تأييدا لما بها من
احتجاج، وأذكر أنه قابلنى من بعد فقال معتذرا: عفوا ، وضعت
اسمك بين المحتجين دون أن أشاورك، فأجبت: لم تكن فى
حاجة إلى مشاورتى أو الحصول على موافقتى فأنت تعلم تماما
أننى أؤيد الاحتجاج من كل سبيل.

غير أنى لم أذكر السبب الذى من أجله بدأت هذه التحية
بذكر ميلتون، السبب واضح إذا ذكرنا إخلاص الرجلين
للمبادئ الأساسية للديمقراطية، وعلى رأسها حق الشعب فى
مساءلة حكامه. ودعوتهما الشعب إلى حب الخدمة العامة والعمل
من أجلها، وتحريضهما الناس على استخدام العقل- واعيا
ومنضبطا- فى خدمة المجتمع. ويجمع بينهما أيضا أن الثورة
قد نالت كلا منهما فى بدنه، وأنهما- مع هذا- لم يكفا عن
النضال ، قال ميلتون: «يناضل أيضا من يقعد ينتظر» وطبع بهاء
صفحته، التى كانت آخر صيحة احتجاج على الظلم قبل أن
يدهمه المرض، على أنه واصل احتجاجه رغم اشتداد المرض
وصرح فى أسى، بعد أن انجابت عنه سحابة العتمة ذات مرة-
صاح «ليه، ليه؟»، وذلك حين علم بالغزو العراقى للكويت.

أخي الحبيب بهاء، ما زلت تناضل الظلم وتدعو إلى الاستنارة
رغم مرضك الشديد ما زالت كتاباتك تتحدث نيابة عنك ما زالت
سيرتك العطرة على كل لسان، ما زال شوقنا إليك لم تخمد له
نار. ما زلت تهتف ونهتف معك: يناضل أيضا من يقعد ينتظر
رعاك الله، وأعظم قدرك!..

أحمد بهاء الدين

أحد أعمدة التحليل السياسى العربى الحديث

د. علي الدين هلال

عندما يؤرخ للتحليل السياسى فى مصر وبلادنا العربية فإن إسهام أحمد بهاء الدين سوف يحتل مكانة بارزة لمنهجه الذى أتبعه لأكثر من عشرين سنة ولجراته الفكرية ولعدم تردده فى قول ما يعتقد أنه صحيح- دون تزييد أو اصطناع شجاعة.

ورغم أن أحمد بهاء الدين قد اختار الصحافة كحرفة فإن ما دونه من مقالات وتحليلات لها قيمة مستمرة. وتعكس فى مجملها منهجا لتحليل الوقائع السياسية، ونظرة شاملة للنظام الدولى خارجيا. والنظام الإجتماعى داخليا والعناصر المؤثرة على كل منهما.

اتسمت كتاباته بعمق المضمون ويسر الإسلوب فكان بحق السهل الممتنع، يستطيع أن يقرأه كل طالب جامعى ومثقف..

ولكن يفهمه كل واحد حسب مستواه وإدراكه.

وتأثر جيل من الشباب المصريين في الستينات بالمقال الإسبوعي «هذه الدنيا» الذي كان الأستاذ بهاء يكتبه في أخبار اليوم، وكانت هذه الصفحة نافذة يطل منها هذا الجيل على ما يحدث في الدنيا. فعلى هذه الصفحة كان بهاء يلخص أحدث الكتب، والتحليلات وأذكر أنني عرفت لأول مرة عن نظرية والت وايتمان روستو عن مراحل التطور الاقتصادي من «هذه الدنيا».

واتسمت كتاباته بالتجديد الفكري والتحديث الثقافي، وهو الذي فتح على صفحات المصور حوارا كبيرا بعد عام ١٩٦٧ بعنوان «نحو مجتمع عصري» وكان رأيه أننا لا نستطيع أن نفصل الأخطاء والهزيمة العسكرية عن مجمل أوضاع المجتمع، وأنه لابد من تطوير أوضاعنا ونظمتنا ومؤسساتنا.

وفي نفس المجلة، وفي نفس الفترة، طرح الأستاذ بهاء فكرة أخرى لاتقل جرأة في ذلك الوقت وهو إنشاء دولة فلسطين، ووقتها لم تكن هذه الفكرة مطروحة ومقبولة مثلما هو الوضع الآن.

ولأن أحمد بهاء الدين بدأ حياته الصحفية في روز اليوسف، ثم تولى رئاسة تحرير صباح الخير، ولم يكن قد بلغ الثلاثين من عمره. فقد كان تفكيره السياسي جزءا من تصور اجتماعي

أشمل.. وعبر حياته كتب فى الأدب والنقد، وكتب فى العلاقات
مقالا بعنوان «عن الرجال والنساء» يطرح فيه قضية العلاقة بين
الجنسين، وله كتاب بعنوان «أفكار عصرية» يشمل عددا من
مقالاته عن الشباب والجيل الجديد.

كان أول من كتبه كتاب «أيام لها تاريخ» الذى ما زال واحدا
من أكثر الكتب إمتاعا عن بعض صفحات تاريخ مصر. وفيه قدم
التاريخ لقارئه من خلال مجموعة من الأحداث والشخصيات.
ومزج فيه التاريخ السياسى بالتحليل الاجتماعى بالسمات
الشخصية للأفراد. مثل الفصل عن زواج الشيخ على يوسف، أو
تحليله للضجة التى أثارها كتاب الإسلام وأصول الحكم.

ولسبب لا أعرفه فإن أحدا من المؤرخين لحقبة الستينيات لم
يسجل أن أحمد بهاء الدين كان هو الذى اقترح فى مقال بأخبار
اليوم ضرورة تغيير اسم الاتحاد القومى ليكون الاتحاد
الاشتراكى تعبيرا عن المرحلة الجديدة التى كانت مصر تدخلها
وقتذاك.

ولم يكن يتردد فى أن يعبر عن رأيه حتى عندما كان يعرف
أنه سيكون ضد التيار أو عندما يتردد الآخرون. من ذلك فى عام
١٩٨٢ عندما أعلن الرئيس ريجان عن مبادرته للتسوية فى
المنطقة. ولأيام لم يكن هناك رد فعل عربى، وكتب الأستاذ بهاء
فى عموده بالأهرام يتساءل عن لماذا لم يرحب العرب بهذه

المبادرة. وأن يقتنصوا الفرصة. ومرة أخرى عندما قامت بعملية عسكرية لاعتقال نوريجا رئيس بنما، كان بهاء - ربما - الصوت الوحيد الذى أيد ذلك باعتبار أنه لم يكن هناك طريق آخر للتخلص من نوريجا الذى انتهك كل القوانين والأعراف.

ولعل القارئ يتذكر أن معركته الأخيرة قبل مرضه كانت بخصوص هجرة اليهود السوفيت إلى فلسطين والتي أسماها بمأساة القرن العشرين.

يمتلك الأستاذ بهاء قلما طيعا، يعبر عن أفكار صعبة معقدة بعبارات سهلة وكلمات واضحة. يختار عباراته بدقة لتؤدى المعنى المطلوب. كانت أحيانا تناسب فى هدوء ووداعة، وكانت أحيانا أخرى تنطلق فى حسم طلاقات الرصاص، ولكنها فى كل الأحوال لا تتخلى عن أدبها حتى عندما كان يدخل فى منازل فكرية عنيفة .

لم يتاجر أبدا بقضية أو برأى. وعندما اختلف مع الرئيس السادات ترك مصر إلى الكويت حيث ترأس تحرير مجلة العربى لسنوات. وكتب الكثير ولكن لم يجعل من قضية الخلاف هذه مادة للمزايدة أو ادعاء البطولة والشجاعة فظل مثلا للعفة.

وتشاء إرادة الله سبحانه وتعالى - أن يسكن هذا العقل الناقد الوثاب فى جسد ضعيف لذلك سقط صريعا للمرض.

لقد عرفت أحمد بهاء الدين فكريا منذ منتصف الخمسينات،
وقابلته لأول مرة عام ١٩٦١ وكنت طالبا بالجامعة، ولم تنقطع
صلتي به منذ ذلك الوقت، وأسميت ابني باسمه تيمنا به.
شفاه الله وأعاد قلمه إلى ساحة الفكر والعقل فما أشد
حاجتنا له في هذه الأيام.

أحمد بهاء الدين . . صديقا

فتحي غانم

صداقتى مع أحمد بهاء الدين لها ذكريات تفيض حيوية تلازمنى منذ حوالى نصف قرن ولا تغيب عن خاطرى أبدا، فمنذ رأيتَه وتحديثنا معا أيقنت أنى عرفت هذا الإنسان النادر. الصديق. كان اللقاء فى نهاية الأربعينات - قبل الثورة- شابين تخرجا حديثا فى كلية الحقوق، وجمع بينهما العمل فى إدارة تحقیقات وزارة المعارف..كنت أقرأ التاريخ وأتابع السياسة باهتمام وأتمنى أن أعبر عن نفسى بكتابة القصة وربما يوما ما أكتب الرواية. وكان بهاء يقرأ الأدب ويحفظ أبياتا لاحصر لها من الشعر ويتمنى أن يعبر عن نفسه بكتابة رأى السياسى وربما يوما ما كانت له كلمته فى الحياة السياسية .

وعندما ذهبت فى تحقيق إلى قرية «القرنة» بالشاطيء الغربى لمدينة الأقصر. عدت وكتبت رواية «الجبيل» كان التحقيق عام ١٩٤٧. وكتبت الرواية عام ١٩٥٨. أما بهاء فسافر فى نفس الوقت فى تحقيق بشبين الكوم. وأرسل لى من هناك قصة قصيرة وهاهى ذى بعض فقرات من خطابه.

شبين الكوم فى ٩ مايو ١٩٤٧

عزيزى فتحى

ثعبان كسيح، لم تكد تقرر له الأجراس، حتى أخذ يزحف
متلويا بين المروج الخضراء، ذات المنظر الثابت الذى لايتغير..
إنه قطار الركاب الذى كان على أن أركبه إلى شبين الكوم!
ومع ذلك فالمروج الواسعة ليست كلها- فى هذه المرة-
خضراء فإن مساحات كبيرة منها تزدهم بالأعواد الصفراء
المثقلة بحبوب القمح الذهبية ووقفت - كعادتى - فى النافذة،
أتأمل تلك السنابل الناضجة وهى تراقص الأنسام تحت ضوء
الشمس الغادية. وكنت ألمح بين الحين والحين فلاحه تملأ جرة.
أو فلاحا يقود بقرة. وسألت نفسى: ألا تصلح هذه البقاع
الجميلة مسرحا لقصة ما؟.. و هل يستطيع هؤلاء الفلاحون
السذج القيام بأدوار البطولة فيها؟.. لنحاول! وكانت نتيجة هذه
المحاولة تلك القصة القصيرة التى أنقلها إليك بصورتها الأولى
المهوشة.. كما أتممتها منذ دقائق، وبعد وصولى إلى الاستراحة
بساعتين.

كتب بهاء القصة وهى عن فلاحه وشاب فلاح يريد أن
يتزوجها ولايجد المهر الذى يطلبه أبو الفتاة خمسة جنيهاات ثم
يتعرض الشاب لحادث من شاب يركب سيارته فيكون الحادث

سببا فى حصول الفتى الفقير على تعويض خمسة جنيهات من الشاب صاحب السيارة. فينفتح باب الأمل أمام الفتى والفتاة فى الزواج ويتوقف ابن عم الفتاة عن مطاردة العريس الفقير الذى أوشك أن يتعرض للقتل بسبب غيرة ابن عم الفتاة.

وبعد أن انتهى بهاء من قصته كتب يختتم خطابه.

عزيزى فتى :

تلك هى المحاولة ، ولكنها ليست المحاولة الكاملة إنها الخطوط الأولى لها. ولكننى أمل أن أجد عندك حين أعود، نقدا قاسيا لها.

كان بهاء منذ البداية يحاول كتابة القصة، والشعر، وكان يكتب كل صباح تقريرا خطابيا غراميا لفتاة مجهولة لايعرفها ولكنه يتخليها. كأن لم يقابل بعد ويحب ويتزوج تلك السيدة الرائعة شريكة حياته .

هذا هو ما فى أعماقه. أما إذا أراد أن يواجه الناس، القراء فيما بعد، فهو يكتب فى السياسة ويرى أنها الأولى بالاهتمام فى بلادنا التى تعاني من مأس عديدة كان على رأسها احتلال الانجليز لمصر، والفقر الذى يسحق الفلاحين والجهل يضرب حصاره على الجميع. وكانت حكايات بهاء عن «دراو» حيث أهله فى أقاصى الصعيد فيها مرارة وحدة. ووصف وحشى لجرائم

قتل، ورجال يتراقصون مذبوحين وسكاكين وخناجر تقطر دما،
تطعنهم، والدماء تنفجر نافورات ترش الأرض والجدران.

إنه ينتمى إلى تلك المنطقة من صعيد مصر، التى يتعامل
فيها الرجال بقانونهم الخاص بعيدا عن الحكومة، ووسيلتهم فى
التعامل مع المشاكل هى فى الغالب السلاح. حياة قاسية خشنة
لايهدأ فيها الصراع، ولايبقى على البشر سوى تلك الرقة أو
الواحة العاطفية الناعمة التى تختبئ فى أعماقهم. قسوة الحياة
فى صعيد مصر فرضت على بهاء أن يتجه إلى السياسة.
الرغبة فى البقاء والاحتفاظ بالأمل فى الحياة فرضت على بهاء
حب الشعر والأدب وأجمله هو ما كان غزلا رقيقا عاطفيا.

كاتب من نوع فريد

عندما كتب بهاء كتابه «شهر فى روسيا» كتبت عنه أن من
أهم ميزات الكاتب السياسى «أحمد بهاء الدين» قدرته البارعة
على توضيح وتبسيط أعقد المسائل السياسية لقرائه، وهو كاتب
من نوع فريد، فهو يكتب فى السياسة، ولايشغل بها، لم ينضم
فيما مضى-قبل الثورة- إلى حزب من الأحزاب، ولم يربط نفسه
بأى تيار سياسى، واكتفى بأن يشغل نفسه بشرح المبادئ
العامة. والتيارات السياسية السائدة فى الجو السياسى
الداخلى أو العالمى على السواء. وإذا كان أحمد بهاء الدين لم
يربط نفسه باتجاه سياسى عملى معين، إلا أنه يعتبر من كتاب

اليسار، أى من الكتاب الذين يستخدمون العقل والمنطق والدراسات الاقتصادية فى تفسير الظواهر السياسية... ولكن لماذا لم ينضم أحمد بهاء الدين إلى أية جماعة سياسية يسارية.. إن المسألة عنده ليست مجرد خوف من خرق القانون والاعتداء على نظام الدولة العام فهو ليس مثل برنارد شو المفكر السياسى الذى قال إنه يتطرف إلى الحد الذى يقول له فيه القانون «قف عند حدك» ويناوش خارج مرمى نيران القانون..

إن أحمد بهاء الدين ليس من هذا الرأى ، فهو على الرغم من استعانتة بالعلم والمنطق والتفسير الاقتصادى للتاريخ.. ما زال يحتفظ فى قلبه بعاطفة مكبوتة وفى رأسه خيال بعيد عن إمكان الاحتفاظ بحرية الفرد كاملة مطلقة. جنبا إلى جنب مع الاحتفاظ بمصلحة المجموع. لقد اكتشف أن التفسير العلمى للتاريخ السياسى هو أقرب إليه وإلى الناس، فاستخدمه ببراعة، ولكنه لم يؤمن إيمانا مطلقا. إنه يرحب بالمقدمات التى تعلن الظروف الاقتصادية عاملا مهما فى تحريك السياسة والسياسيين، ولكنه يكره النتائج التى قد تؤدى إلى ديكتاتورية الجماعة وطغيانها على حرية الفرد. إنه يخشى أن يفقد الشخصية، وحرية فى التعبير عن رأيه مهما كان، ويخشى أن يرسم له أحد طريقة للتفكير ومنهجاً للتعبير عن الرأى، مهما كان ذلك فى مصلحة الجماعة.

وفى كتاب «شهر فى روسيا» الذى صدر عام ١٩٥٤ تقرأ المناقشة الهامة التى أثارها عالم الاقتصاد «يوجين فارجا» الذى قال إن الحكومات فى الدول الرأسمالية لم تعد تترك الشركات حرة تنتج كما تشاء، بل أصبحت الحكومات الرأسمالية تتدخل فى الحياة الاقتصادية، بحيث تستطيع أن تتلافى الأزمات الدورية التى تقع فى النظام الدورى، فالحرية الاقتصادية فى البلاد الرأسمالية لم تعد حرية مطلقة وخلص فارجا من هذا رأى إلى أن الدول الرأسمالية ما دامت تتدخل فى إنتاج شركاتها، فستمنع حدوث تضارب بين هذه الشركات مما قد يؤدى إلى وقوع حرب بينها أى أن الدول الرأسمالية ستظل متحدة لا يحدث بينها خلاف لمواجهة الدول الشيوعية، وقد عارض ستالين هذا رأى وقال إن احتمال وقوع الحرب بين الدول الرأسمالية أكبر من احتمال وقوعه بين الرأسمالية والشيوعية.

رؤية المستقبل

إن هذه الرؤية المبكرة الواضحة لمستقبل الشيوعية والرأسمالية كانت لدى أحمد بهاء الدين، لأنه احتفظ بحريته الفكرية بعيدا عن التورط فى التزام سياسى حزبى يسارى، لذلك كان قادرا على رؤية المستقبل واستشرافه، أكثر وضوحا من المثقفين المعاصرين له. وأذكر أننى كتبت عدة مقالات فى

روز اليوسف عن الاشتراكية وتدخل الدولة. فكتب ينتقد بشدة ما كتبته، ويقول إنى أدافع عن رأسمالية الدولة لأن الاشتراكية تعنى عدالة توزيع الدخل. وليست مجرد تدخل الدولة أو رقابتها على النشاط الإقتصادى. وعندما قرأت مقاله فى «أخبار اليوم» سألته إذا كان يريد أن يحدد نوعا معينا من الاشتراكية قرر أن يلتزم به. والاشتراكية لها حوالى مائتى مدرسة. فكان رده السريع الساخر. إنه انتقد مقالى، لأنه شجع الحكومة على التدخل وأنه يعلم كما أعلم أنا نوع تدخل رجال السلطة، فهو لأصله له بأى مذهب سياسى سواء كان يمينيا أو يساريا. كانت إجابته حاسمة ومقنعة وعلمت منها أنه مع الوقت، لم يعد يقتصر على شرح السياسة وتوعية الناس بأسرارها نظريا. بل أصبح يهتم بالسلطة ورجالها ومواقفهم واتجاهاتهم، أصبحت يده فى النار يواجه شللا سياسية، وتيارات ومناورات بين أصحاب المناصب العليا. ويرى تأثير ذلك على مصالح الجماهير، بينما الحديث النظرى فى السياسة لم تعد له قيمة وسط الحيوانات السياسية فى غابة بالسلطة، كان قد اقتحم الغاب يحارب وسط أدغاله وأحراشه. وما زالت كلماته ومواقفه تكشف اليوم خبايا كثيرة فى الغاب .

أحمد بهاء الدين

الاشتراكي الديموقراطي العقلاني

فريدة النقاش

«أحمد بهاء الدين» صحفي وكاتب من ذلك النوع النادر الذي يحظى بما يشابه الإجماع على امتداد الزمن ليصبح عموده الصباحي في الأهرام لسنوات طويلة مرجعا ومعيارا يشابه التوجيه اليومي لمئات الآلاف من الشعراء الذين منحوه ثقتهم، لأنه لم يستخف أبدا بعقولهم كما يفعل الكثيرون من كتاب الأعمدة الثابتة، بل إن بهاء حرص بصورة حازمة على أن يستفز العقل ليعمل، ويستدعي المنطق ليكون أداة في يد هذا العقل الذي يؤمن الكاتب بقدراته وسلطانه، وتبقى بحسم استعصاء أي قضية على قدرات هذا العقل إذا ما تخلص من الأوهام والخرافات.

ولعل أبرز ما يلفت النظر في كتابته عموما وعموده القصير خصوصا هو هذا التجلي الباهر للوعي بالتفاصيل، والقدرة على

التقاطها وإضافة المعلومات إليها وتحليلها تحليلًا عميقًا واستخلاص دلالاتها الأشمل فتخرج هذه التفاصيل من إطار الثروة لتندرج كأجزاء صغيرة من منظومة فكرية شاملة سياسية اقتصادية ثقافية.

يتحدث عن «أتعس الأخبار» وهو سرقة ثلاثة آلاف فيلم، كلها أفلام تسجيلية وتاريخية نادرة تسرق من المركز القومي للسينما فيقول:

«ليس لأن سرقة هذه الأفلام هي سرقة لتاريخ وذاكرة شعب ووطن، وليس لأنها تجعل حياتنا القريبة مجهولة، وكأنها حدثت من العصر الحجري مثل ظهور التسجيل السينمائي.. ثم يقول: هل صارت مكونات المجتمع والدولة مستباحة إلى هذا الحد المأساوي؟ ألا توجد إرادة لوقف هذا الانهيار؟

لقد ضرب المرض في كل النفوس، بصراحة، صار المصريون في حاجة إلى علاج، المأساة طرفاها الدولة والمواطن معا» ويقول في عمود آخر، مستخلصا معنى خطيرا يحكم حياتنا الآن بصورة قاسية:

«مصر بلد يحكمها ويربط بينها جهاز حكومة منذ آلاف السنين، وانهيار مقاومة هذا الجهاز كارثة يصعب حسابها بالملايين والبلايين...»^(١).

وهو يعتذر عن اضطراره بسبب ضرورات النشر الصحفى-
إلى تجزئ المشكلات والقضايا.

«فيبدو أن النشر بهذا الشكل المجزأ عن كل فرع من الفروع
الصغيرة لا يوضح لبعض القراء أنها فروع من مشكلة كبرى
متفاقمة ومتضخمة»^(٢).

ويقول فى مجال آخر:

«فخطة لإصلاح التعليم لن تنجح إلا كجزء من خطة عامة
أشمل»^(٣).

وتتسم هذه الرؤية الشاملة المستقاة دائماً من التفاصيل
الواقعية لا التجريدات النظرية ببعد نظر نفسى، وعمق فى
التحليل يحرص على عدم استبعاد أى عنصر حتى لو كان
صغيراً أو قليل الأهمية من العناصر المكونة للموقف أو للصراع
أو للشخصية التى يدرسها، وهو قد سبق من ذلك بعض
المؤرخين الواقعيين أصحاب المدرسة الجديدة العلمية
الموضوعية الذين استبعدوا من علمهم وأدواته كل ما هو ذاتى
وشخصى فى بعض الصراعات التاريخية الكبرى ثم عادوا إلى
تحليلها بعد أن تبين لهم أن هذه العناصر التى تنهض فى
الأساس على الموقع الطبقي والخيار الاجتماعى والثقافى
للشخصية المعنية- تلعب دوراً قد يكون حاسماً فى بعض

الأحوال رغم صغرهما .

وفى مقاله الأدبى السياسى التاريخى الممتع عن «الأمة بين سعد وعدلى» يكتب أحمد بهاء الدين»

«هذان العظيمان.. كل منهما جاء من نبع، وسارا فى واد وكل منهما كان يمثل تيارا معيناً، فاتفقهما تحالف بين التيارين، وخلافهما صراع بين القوتين يكتب فيه النصر لتيار والهزيمة لآخر، ومن النصر والهزيمة يولد التطور.

عدلى. سليل الأسرة التركية العريقة، وربيب الطبقة الحاكمة فعلاً، وابن الذوات الذى ولد ليجد كل شىء مهياً لاستقباله التعليم الرفيع، الآفاق الأوروبية الحديثة، الصداقات الكبيرة التى تمهد سبل الوصول السريع، فإن حدث وذهب إلى الريف، فهو يذهب إلى أملاكه لا إلى بلدته.

وسعد الفلاح بين الفلاحين، الذى نجد إخوته من يحملون أسماء شلبى وستهم وفرحانه، وإن كان من طبقة متوسطة ميسورة الحال..

عدلى الرقيق الأنيق المرهف، عيونه الحالمة وشاربه المخفف، وطربوشه المائل فى كبرياء، عليه سيماء رجل مترف، من غنى عن المطالبة بأى شىء، لأن كل شىء لديه فعلاً.

وسعد الخشن العنيف، عيونه المقتحمة وشاربه المنفوش

بطربوشه الذى يلبسه ملقى إلى الوراء كما تلبس اللبدة أو الطاقية تصرخ هيئته بأنه رجل جاهد واقتحم وطالب بعناد^(٤)».

إضافة لهذا الوعي العميق بأثر التكوين الشخصى والطبقى على النفس الإنسانية بل وعلى الشكل الخارجى للشخصية تتضح لنا عناصر الطاقة الأدبية من أسلوب الكاتب ، تلك اللغة المفعمة بالمشاعر والتي يمتزج فيها الوصف بالتحليل وتختلط الصحافة بالأدب. فهو يعطى نفسه وعواطفه لكل ما هو إنسانى نبيل وتقدمى ومستنير، وتفيض هذه العواطف إذا ما اقترب الحديث من الشعب ومن الكادحين عامة فتصفو لغته الأدبية وترق حينئذ..

«وغدت قرية دانشواى لوحة قاسية تعبر عن حالة مصر كلها، أمة مسلوية مسوقة إلى حتفها تلهب ظهرها العالى سياط الاحتلال، وتنهش لحمها المتمزق غريان المصالح الاقتصادية الأجنبية، وطارت أنباء دنشواى فى القطر الهاجع تهز النائم وتوقظ الغافل، وتشير بإصبع من الدم إلى حاضِر أسود ومستقبل مجهول^(٥)» .

ولعل منهجه فى كتابة التاريخ أن يفتح لنا الباب واسعا للتعرف على جذور التوجهات الاشتراكية الديمقراطية فى فكره . فالصراع السياسى يتأسس على الانقسام الاجتماعى

الطبقي وموازنين القوة تقوم لا فحسب بين الطبقات، ولكن وفي حالة البلدان المستعمرة بين مجموع القوى الوطنية والمحتل ويمدى ما تنحاز الطبقات المالكة أو القصر إلى المحتل أو إلى الشعب بقوة الوطنية تبرز لديها توجهات وطنية ديموقراطية، وحين تباعد عن الشعب وتتحالف مع المحتل ليكون الإستبداد عنوانها.

يتحدث عن الجيل الذى خرج منه مصطفى كامل بعد هزيمة الثورة العربية فيقول مشيراً إلى نقطة الضعف الرئيسية فى توجه الزعيم الشاب:

«لقد خرج هذا الجيل إلى الوجود والوعى ليجد أن انجلترا هى الخصم الرئيسى، وهى التى تستغل مصر وتستبد بها، فظنوا أنها الخصم الوحيد، لم يشهدوا إستبداد العرش، والأتراك بالمصريين ليكرهوه كما كرهوا استبداد الانجليز، ولم يشهدوا قصة كفاح المصريين المرير ضد الخديوى حتى استعان الخديوى بالانجليز، كى يدركوا أن الإستبداد المحلى صديق صدوق لاستبداد الأجنبى^(٦) .

وفى هذا السياق يسجل قول محمد فريد :إنى خارج إلى سجن آخر.. وهو سجن الأمة المصرية، الذى تحدده سلطة الفرد ويحرسه الاحتلال.

وهو يتحدث عن إنقشاع الأوهام حول الموقف الأمريكى منذ بداية القرن ومبادئ ويلسون الأربعة الشهيرة من حق تقرير المصير للشعوب بعد الحرب الأولى. وعن مفاوضات الوفد المصرى فى لندن من أجل الاستقلال:

«وبعد أربع سنوات من المحنة يتبدد الظلام، يلتفت المصريون جميعا باحثين عن نصيبهم من نور السلام، من المبادئ الرنانة التى تنادى بها أمريكا بلسان رئيسها ويلسون، والتى لم يتكشف زيفها بعد^(٧)».

ثم تجيء الأحداث بسرعة، لتعجل بالانقسام، فما أن يضع الوفد قدميه فى باريس حتى تعلن أمريكا خيانتها لكل مبادئها التى تتشدد بها، وتعترف رسميا بالحماية الإنجليزية لمصر..^(٨)».

وهو يبنى هذا الموقف من أمريكا الذى يتواصل فى كل كتاباته على أساس القراءة العلمية لتاريخ الاستعمار القديم والجديد، وحين يغير بعض التفاصيل فى موقفه بعد ذلك شأن تأييده لاتفاقيات كامب دافيد- وإن بتحفظ أو مطالبته للفلسطينيين بقبول مبادرة ريجان التى لم تتأسس على قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالقضية الفلسطينية أى كان يفعل ذلك تأسيسا على تقديره لاختلال موازين القوة لغير صالح القضية العربية فى ذلك الحين، أى انطلاقا من نظرة واقعية عملية

لاتضحى بالممكن المتاح من أجل المستحيل غير المضمون، إذا كان العقل من وجهة نظره لا تحده حدود، فإن السياسة هي فن الممكن، وهو لا ينتقد الوفديين الأوائل حين رسموا خطتهم على أساس هذا - الأمر- الواقع والذي يفرضه المنتصرون على العالم .

وعندما يتبدد غبار أى معركة كبيرة سرعان ما تكشف مجددا حقيقة الانقسام الطبقي والخيارات السياسية التى تركز عليه باعتبارها خيارات مصالح، يقول عن ثورة ١٩١٩ «عبارة الوطنية الواسعة التى شملت الجميع أيام الثورة تتكشف عن فريقين لكل منهما طريق، القوة القديمة. من الأعيان وأصحاب المصالح التى اعتادت أن تكون لها الغلبة والقوة الجديدة الزاحفة»^(٩)..

والك ترتبط الوطنية فى كل كتاباته سواء تلك التى تتناول التاريخ الذى انقضى أو ذلك التاريخ الذى يجرى صناعه فى الحاضر بمسألتين رئيسيتين الاستقلال من الأجنبى وتحقيق السيادة من جهة، وسيطرة الشعب على ثروات البلاد من جهة أخرى.

«فلا بد إذن أن يتحرر الشعب من كل سيطرة أجنبية ولا بد أن يصبح أبناؤه جميعا شركاء فى الحكم ، متساويين فى الحقوق والواجبات، متساوين فى القوة والحرية»^(١٠).

وإذا كان أحمد بهاء الدين يصف بهذه الكلمات أفكار الزعيم الوطني «محمد فريد» فإنه في حقيقة الأمر، إنما يقدم أفكاره هو نفسه التي تنتظم في كل كتاباته سواء كانت تاريخية أو صحفية يومية .

وعن الصراع الذي دار حول الناصرية يكتب.

إن السياسات والممارسات محل الصراع والمتخلفة من المراحل السابقة ما زال الكثير منها قائما، وبالتالي فهو صراع سياسى، وليس صراعا بين مدارس تاريخية وبالتالي أيضا، فإن أقوى محركات الصراع هي المصالح والآراء والعقائد، والغرائز..^(١١) ولا تدور مثل هذه الصراعات في الفراغ وإنما في الإطار المحدد بطبيعة الدولة أو النظام القائم «ولكل زمان دولة ورجال هناك دولة العمال ودولة رجال المال، ودولة المقاولين»..^(١٢).

ورغم أنه يحرص على التنويه - من حين لآخر - لحقيقة أنه لم يعارض سياسة الانفتاح الاقتصادي من حيث المبدأ إلا أنه يصف الانفتاح في الممارسة بأنه انفتاح انفصاحي يؤدي حتما إلى التبعية، وهو يعقد مقارنات من الأوضاع الجديدة وحكم الخديوى إسماعيل الذى أفضى إلى السيطرة الأجنبية المباشرة على البلاد. ويشن حربا شعواء على الطفيلية، ومظاهر الإسراف والفشخرة، ويتابع الكتابة بدأب عن سلسلة القروض المنهوية،

العمارات التي تسقط ويشن حربهم الجسورة على الفساد الذي يعدد مظاهره، ويربط بينه وبين الغياب شبه الكامل للقانون، ولا يكتفى بفضح هذه المظاهر وإنما يتذكر الحلول في كل قضية يثيرها، ويلح عليها داعيا قراءه للمناقشة بالرفض أو القبول..

«إن الظروف مناسبة لكي نجعل شعبنا يخوض معركة مكافحة الإسراف، معركة الانضباط الاقتصادي، وكأنها معركة وطنية، معركة الاستقلال في مواجهة التعبئة».

ويكشف الوجه الثقافي للنشاط الطفيلي غير المنتج والقائم على تكديس الثروات دون عمل حقيقي.

«هذه الفئات ، على شتى مستوياتها، لاتعرف إلا الإنفاق المباشر على أنماط الاستهلاك، الطعام بكثرة، الملابس، أغلى السيارات، واللهو المتسع من اقتناء التليفزيون الملون والفيديو، إلى السهر، وإنفاق مئات الجنيهات على مائدة واحدة، وهي التي تملأ مثلا مسارح القطاع الخاص، بأسعار لا يقوى عليها زبائن المسرح الأصليين الذين انسحبوا من السوق وكباريات شارع الهرم للعلم صار يملؤها المصريون بعد أن كانت مقصورة على السياح العرب..» (١٢).

ويتساءل «هل يكسب المال من يحترم القوانين الموضوعة، أم يكسبه من يخترق القوانين؟

هل يكسب الفرد قيمة عمله - من العالم إلى الكناس- أم
يكسب الفرد قيمة علاقاته ومصاهراته وبلطجته وإعفاء عين
السلطة عنه؟

هل يكسب المال من يستطيع أن يقدم كشفا بمصدر كل
مليم، أم يكسبه من لا يستطيع أن يفسر إحرازه لعشرة ملايين؟.
تلك هي الأسئلة الأساسية ؟

وما السياسة إلا صراع وخلاف حول الأسلوب الذى يوضح
أكثر من سواه الفارق بين الجهد والتطفل، بين العدل والظلم بين
الحلال والحرام..^(١٤) .

والسياسة هي مرآة التاريخ اليومية ، فإذا كان التاريخ هو
ابن الصراع بأطرافه المختلفة وعادة ما يرتبط تدهور السياسة
بتسلط الحاكم الفرد واستئثار الفساد.

وتبين لنا القراءة الجدية للتاريخ أن هذا التاريخ ينتج في
تطوره الموضوعى من علاقات القوة والسيطرة وكدح البشر
لتطوير حياتهم، أما الزعامة فلا تولد بالمزاج أو المصادفة أو
الاختيار الشخصى، بل إنها تتخلق فى التاريخ أى فى الواقع
الإنسانى أو فى الثورة التى يصنعها الشعب صانع التاريخ.

«والزعيم لا يصنع الثورة أبدا، ولا يخلقها من العدم، ولكن
عوامل الانفجار تتراكم فى قرارة الشعب تدريجيا حتى يصبح

الشعب كالبندقية المعبأة، المسددة ضغطة واحدة على الزناد وينطلق البارود، فكل مهمة الزعيم أن يضغط على الزناد... (١٥)».

وفى تحليله البارع للملابسات التى أدت لتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ والذى أعلنت إنجلترا بمقتضاه انتهاء الحماية على مصر والاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة، والذى كان نصرا محدودا فى ذلك الحين يتساعل، وكان سعد زغلول منفيا فى جزيرة سيشل التى سبق أن نفى الإنجليز فيها أحمد عرابى «لمن كان الفضل فى هذه الخطوة للسياسة الذين قاموا بالاتصالات مع الانجليز حتى صدر تصريح ٢٨ فبراير؟ أم للزعيم الذى يسكن سيشل؟

يرد بها:

« إنه قطعاً الذى يسكن سيشل ، ولا أقصد بذلك أن الفضل يعود له شخصياً، ولكن يعود للجماهير التى يمثلها.. (١٦)».

ويرتبط فهمه للتاريخ الذى تصنعه الجماهير بحس شعبى عميق، وهو يصف حياة عبد الله النديم باعتبارها «الحياة الحقيقية التى كانت الكتب حتى لك الحين تترفع عن دراستها والتعرض لها.. هذه الحياة المصرية الصميمة.. التى يعيش فيها (ابن البلد، الحقيقى، ابن البلد بذكائه الفطرى الذى عصرته الآلام، فلم تبق منه غير لكنة حاضرة، بكسله الذى أورثته إياه

قرون عاشها فى بلده غريبا، يتفرج على الغرباء الذين يحكمون..(١٧).

وبهاء مثله مثل عبد الله النديم الذى يصفه بأنه الثورى الحقيقى .

لم يكن ينظر إلى مصير أبناء هذا الشعب نظرة استسلام، ولم يكن يضحك منهم ضحكة بلهاء، ولكنه كان ينظر إليهم نظرة عامرة بالأمل، ويضحك منهم ضحكة مترعة بالنقد..(١٨).

والشعب كما رآه «النديم» من روايته الحقيقية: عماله وفلاحوه وشبابه المثقف. لا كما كان يراه الناس باشوات وأتراكا وشراكسه..(١٩).

وعن التأريخ لثورة ١٩١٩ يقول :

«وتاريخ هذه الثورة لم يكتب بعد حتى الآن، ولم يحاول أحد المؤرخين أن ينقب وراء سر هؤلاء الفلاحين الذين حاربوا فى دير مواس، وحاولوا الاستيلاء على السفينة المسلحة فى ديروط..(٢٠).

إن هذا الحس الشعبى العميق يدفعه لأن يؤكد مرارا وتكرارا أن ثروة مصر الأساسية ثروة بشرية وفى قاموسه يتكرر تعبير يناهض الشعب الحقيقية كنغمة رئيسية .

وانطلاقا من هذا الحس الشعبى أخذ «بهاء» على عاتقه مهمة

المزج بين الصحافة والثقافة، بين فن إعطاء المعلومات للجمهور برشاقة وقدرة على الإمتاع، وبحث الأفكار التي تتسلل إلى القلب مباشرة فقد كان بهاء يكتب بدم القلب لابريشة باردة محايدة يفعل ذلك وهو يقدم أبسط القضايا وأعقدها على السواء «والفن فى الصحافة والثقافة والإذاعة والتليفزيون جميعا، وعنصر الاتقان فيه، هو أن نجعل المفيد جذابا وأن نجعل المسلى راقيا»^(٢١)..

وهو يدرك أننا فى بلد تنتشر فيه الأمية وتهيمن الثقافة المحافظة والتقاليد البالية أن تغيير العقلية هو أصعب المهمات وفى ها السياق لم يكن يخشى فى سبيل التغيير - المعرفة أن يخالف المزاج السائد، وكثيرا ما فعل رغم أن هذا كان يهدده كما قال له محبوه بفقد الإجماع، وغضب بعض جمهوره منه.

وليست الصحافة هى وحدها الرسالة التى تمتزج بالثقافة وإنما الأدب أيضا، فقد دافع «بهاء» بحرارة عن رسالة الأدب ودوره فى التغيير .

يكتب عن مقدمة الزعيم «محمد فريد» لديوان «وطنيتى» للشاعر «على الغاياتى» الذى تسبب الديوان فى سجنه، وسجن كاتب المقدمة.

«ماذا قال فريد فى هذه المقدمة؟ أى جريمة ارتكبها وهو

يتحدث عن الفن الجميل؟ لم يقل أكثر من أن الشعر يجب أن لا يكون مجرد كلام فارغ عن جمال الطبيعة، أو نفاق رخيص في مدح الملوك والوزراء بل يجب أن تكون له - كأي فن جميل - غاية اجتماعية تنفع الناس ، وتدفع المجتمع إلى الأمام..(٢٢)».

ويواصل مناقشته للقضية على النحو التالي:

«هذا الرأي لم يعجب النيابة العامة، ولا وكيل النيابة توفيق نسيم- وهو في الحقيقة- لا يعجب الكثيرين عن الناس حتى الآن ومنهم الفنانون الكبار فأنت تسمع من مدرستين في الفن والأدب مدرسة تقول الفن للفن، ومدرسة تقول إن الفن للمجتمع وأصحاب مذهب الفن للفن يعتقدون أن الفنان كاتب أو شاعر أو رسام، ليس له أن يهتم بمشاكل الناس السخيفة، همومهم الثقيلة، إنما مهمته أن ينتج لنا شيئاً جميلاً فحسب، شيئاً نجد فيه المتعة والتسلية، وترجية الفراغ، شيئاً للزينة والتظاهر تماماً كالمجوهرات للنساء المترفات. أما أصحاب الرأي الثاني فيقولون. إن الفن يجب أن تكون له رسالة أسمى من مجرد الإمتاع، وأن الفنان يجب أن يقدم إلى جمهوره شيئاً يمتعه ويفيده شيئاً يعمق إحساسه بالحياة، يدفعه إلى التقدم والارتقاء..(٢٣)».

ويقف بهاء بكل قوة إلى جانب المدرسة الأخيرة لأنه ما من عمل إنساني من وجهة نظره ينبغي أن يتجرد من الرسالة.

وتحدد هذه الاختيارات العقلانية الموضوعية الهادفة أساس نظريته الديموقراطية العلمانية للعالم ورؤيته الإنسانية العالمية الطابع والعروبية فى نفس الوقت، ودعوته للحرية التى ينبغى «أن تظل كل المتحاورين وليس البعض دون البعض».

ورغم تعاطفه العميق على سبيل المثال مع الشيخ «على يوسف» فى معركته ضد التقاليد القديمة التى وصلت إلى حد أن أصدر القاضى «أبو خطوة» حكماً بتطليق الشيخ من زوجته بسبب أصل على يوسف الوضيع ومهنته غير المحترمة «أى الصحافة».

ومع ذلك فإن الشيخ على يوسف من وجهة نظر «بهاء» «كان فى حقيقته رجعياً، وإن قلت رجعيته عن الآخرين، وكان فى قرارة نفسه يؤمن بكل ماساقه خصومه ضده من حجج الحسب والنسب والحرفة، وهى رجعية أُلقت بظلها على الكثير جداً من نواحي تفكيره السياسى، فكان إذا ثار شعب ليبيا على الغزو الإيطالى كتب المقالات مدافعاً عن شعب ليبيا، داعياً إلى التطوع ضد إيطاليا، فاتحاً أبواب الإكتتاب لإرسال المعونة الطبية إلى المجاهدين.. فإذا ثار شعب اليونان على الإستعمار التركى هاجم شعب اليونان..»^(٢٤).

وفحوى هذا النص أن «بهاء» يرى أن الحرية لا تتجزأ فهى حق لكل الشعوب حتى ولو كان المستعمر هو ابن الديانة

الإسلامية- شأن تركيا، والظلم مرفوض حتى لو كان الظالم ابن أمي وأبي.

وهو ما يقودنا مباشرة إلى موقفه العلماني، والعلمانية هي التفسير العلمي الموضوعي للنصوص الذي يؤدي إلى الفصل الكامل بين الدين والسياسة وفي مناقشته لكتاب الإسلام وأصول الحكم للشيخ علي عبد الرازق يقول إنه بعد سقوط الخلافة الإسلامية في تركيا. «التقط الإنجليز فكرة الخلافة الواقعة على الأرض.. نعم لماذا لا ينشئون هم خلافة إسلامية جديدة تنمو في رعايتهم؟ وأن الخلافة لحجة قديمة للتفريغ بالمسلمين، وخلف عباعتها الواسعة تنكرت أنواع من المظالم والخطوب، وهي قد خرجت من مكة وتنقلت بين دمشق وبغداد والقاهرة واستانبول، يمتطيها الحاكم الذي يستبد بالمسلمين، أمويًا في دمشق، عباسيًا في بغداد، فاطميًا في القاهرة، عثمانيًا على ضفاف البوسفور. واليوم بعد الحرب العالمية الأولى- أصبح المستبد بهذه البلاد هم الإنجليز، فلماذا لا يعززون استعمارهم أيضا- بالخلافة الإسلامية؟ وإذا كان من المستحيل- هذه المرة- أن يكون الخليفة إنجليزيًا، فالعملاء بين المسلمين ما أكثرهم، لماذا لا يجعلون واحدا منهم خليفة للمسلمين وما هو أكبر عرش في الشرق الأدنى، وأقدم عرش يحمل بركة الإنجليز ويعترف لهم بالجميل إنه عرش مصر الذي

لولاهم لاقتلعت زوبعة عرابي، والجالس على العرش فؤاد الذي عينوه سلطانا فملكا منذ سنوات لاتبلغ العشر.

وسمع الملك فؤاد هذه القصة، فبدأ يحلم بها، وإن لم يطلق لحيته كما صنع «فاروق» من بعد!

وأدرك القصة أيضا الأذئاب. وتجار الدين فبدأوا ييئون الدعوة للخلافة الجديدة.. التي علقوا بقيامها شرف الإسلام.. (٢٥).

وحين كشف الشيخ على عبد الرازق في كتابه أنه ليس هناك أى سند في القرآن والسنة للخلافة وإن هي إلا جناية الملوك واستبدادهم بالمسلمين» فماذا حدث؟ يسجل بهاء :

«واضح في سطورهِ أنه لايهاجم الخلافة فقط ولا الحكومة الدينية وحدها، بل والنظام الملكي أيضا..» (٢٦).

وفي الستينات خاض معركة باسلة ضد عدد من الشيوخ المحافظين دفاعا عن حرية المرأة .

وقبل أن يدخل الكاتب في مرضه الطويل الأخير- شفاه الله- خاض معركة عنيفة مع تيارات الإسلام السياسي دفاعا عن علمانية الدولة بمعنى عدم إدخال الدين في السياسة، وماتزال هذه المعركة الفكرية تشتعل جذوتها من حين لآخر رغم الغياب القسري لأحد أشجع فرسانها، وقد أثار المحافظون «وتجار

الدين» زوبعة مشابهة لتلك التي ثارت في الثلث الأول للقرن لدى
صدر كتاب الشيخ على عبد الرازق وذلك حين صدر كتاب
المستشار سعيد العشماوى عن الخلافة الإسلامية.

على هذا الأساس العقلانى حيث لاشىء يستعصى على
التفسير، والديموقراطى حيث الحرية حق الجميع والعلمانى
حيث لا بد من فصل الدين عن السياسة من الدولة الحديثة نما
وازدهر فكر «أحمد بهاء الدين الإشتراكى» الديمقراطى مشبعاً
بحسه الشعبى الذى تعاطف مع الكادحين باعتبارهم منتجى
الثروة وصناع الحياة، ويستحيل أن يتحول مفكر حقيقى إلى
الاشتراكية دون هذا الأساس العقلانى الديمقراطى العلمانى
الشعبى.

فما الذى يميز فكره الإشتراكى الديمقراطى عن الإشتراكية
العلمية؟ إنه ما يميز الإشتراكية الديمقراطية عموماً عنها مع
الأخذ فى الاعتبار أنها أى الإشتراكية الديمقراطية تجلت فى
البلدان الاستعمارية التى أصبحت مراكز الرأسمالية المتقدمة
فى العالم بعد ذلك بصورة مختلفة تماماً عنها فى بلدان حركة
التحرر الوطنى أو بلدان الجنوب كما تسمى الآن..

تؤمن الإشتراكية الديمقراطية عامة بالتطور التدريجى
وترفض مفهوم الطفرة الذى صاغته الماركسية قائلة إن التراكم
الكمى يؤدى إلى التغير الكيفى على شكل طفرات.

كذلك لاترفض الاشتراكية الديمقراطية النظام الرأسمالى من حيث المبدأ بل تسعى دائماً لتحسينه والإرتقاء به وإصلاحه بصفة مستمرة بهدف الوصول إلى الاشتراكية عن هذا الطريق أى طريق الإصلاح لا طريق الثورة.

وتقوم الاشتراكية الديمقراطية عامة على الطبقة الوسطى أو البرجوازية الصغيرة باعتبارها الطبقة الأساس، بينما ترى الاشتراكية العلمية فى الطبقة العاملة الواعية المنظمة عنصر القوة الرئيسى فى عملية التغيير الثورى سواء تم هذا التغيير سلمياً أو بالعنف، ولكنه سوف يتم فى كل الحالات عبر صراع طبقى مرير تحسم فيه الطبقة الوسطى أمرها سواء إلى جانب الاشتراكية فيما إذا كان ميزان القوة يميل لصالح الطبقة العاملة وتحالفها مع الفلاحين، أو إلى جانب الرأسمالية وإصلاحها إذا كان الميزان يميل لصالح الطبقات المالكة ويوسع بالتالى قاعدة ملكية الطبقة الوسطى نفسها لتتحول شرائح منها إلى رأسمالية كبيرة بعد ذلك .

واتخذت الإشتراكية الديموقراطية فى المراكز الرأسمالية الكبيرة شكل دولة الرفاهية والتي كانت فى حقيقة الأمر نتاجاً للكفاح المتواصل للطبقة العاملة والكادحين متواكبة مع فترة ازدهار اقتصادى حقق فيها النظام الاشتراكى العالمى آنذاك انتصارات ضخمة على كل المستويات ووصلت هذه الدولة.. إلى

دولة الرفاهية إلى أوجها في الستينيات.

بينما اتخذت الاشتراكية الديمقراطية في سياق حركة التحرر الوطني شكلا آخر لجعل وصف رأسمالية الدولة أن يكون أقرب الأوصاف له، والتي حققت في ظل الناصرية مقولة سيادة الشعب العامل وتذويب الفوارق بين الطبقات وشهدت التوسع في الخدمات الاجتماعية المجانية.

وفي هذا السياق فإن «أحمد بهاء الدين» هو الكاتب الناصري الأرقى بامتياز، وإذا كانت ظروفه الصحية الطارئة قد حالت بينه وبين رؤية انهيار التجارب الاشتراكية التي قامت كتحد ضخم للرأسمالية وكان هذا التحدي هو أحد عناصر قيام دولة الرفاهية وتقدمها في الغرب الرأسمالي، وحالت بينه أيضا وبين رؤية انهيار دولة الرفاهية وهجوم الرأسمالية الوحشية في المراكز الرأسمالية وفي جنوب العالم على السواء.

إذا كان ذلك كله قد حدث فإن «بهاء» عاصر وعاش انهيار الاشتراكية الديموقراطية وحركة التحرر الوطني في العالم الثالث وفي مصر، فقد شهد الانقلاب على الناصرية، وكتب كثيرا عن الأخطاء والخطايا التي وقعت فيها وأدت للانقلاب عليها ولكنه أبقى على ولائه للاشتراكية الديموقراطية معتقدا أنه يمكن في المستقبل إنجاز مشروع جديد لها يتجاوز القديم وتتجلى علامات هذا الولاء في تفاصيل كتاباته السياسية وفي

تأييده لاتفاقيات كامب دافيد، وعدم جذريته في نقد النظام الرأسمالي من الأساس، وقد ظل وفيًا شأنه شأن جمال عبد الناصر لفكرة الرأسمالية غير المستغلة التي تجلت في كتاباته في شكل الرأسمالية المنتهجة الرشيدة والعقلانية دون انتقاد لها أو استشراف لحدودها التاريخية.

فلندع بالشفاء «أحمد بهاء الدين» لنستعيد قلما شجاعا مدافعا عن العلم والعدل والحرية قادرا على إثارة «الشغب» والإجماع في آن واحد، بسيطًا وثاقبا وهو ما لا يتوفر إلا لنفر محدود من الكتاب الذين نظروا لعملهم باعتبارهم مهمة فحملوه محمل الجد ومنحوه القلب والأعصاب والضمير.

الهوامش :

(١) «يوميات هذا الزمان» أحمد بهاء الدين، مركز الأهرام للترجمة والنشر القاهرة ١٩٩١ ص ١٢-١٣.

(٢) المصدر السابق ص ٤٦.

(٣) المصدر السابق ص ٦٦.

(٤) أيام لها تاريخ أحمد بهاء الدين ، دار الهلال- القاهرة ١٩٩٠ ص ١٠٦-١٠٧.

(٥) المصدر السابق ص ١١٠.

-
- (٦) المصدر السابق ص ١١٢ .
- (٧) المصدر السابق ص ١٢٥٠ .
- (٨) المصدر السابق ص ١٣٤ .
- (٩) المصدر السابق ص ١٤١ .
- (١٠) المصدر السابق ص ٨٠ .
- (١١) يوميات هذا الزمان ص ٣٢
- (١٢) المصدر السابق ص ٢٠ و ص ١٠٦ .
- (١٣) المصدر السابق ص ١٦٣ .
- (١٤) المصدر السابق ص ١٧٥ .
- (١٥) أيام لها تاريخ ص ١٣٠ .
- (١٦) المصدر السابق ص ١٥٦ .
- (١٧) أيام لها تاريخ ص ١٤ .
- (١٨) أيام لها تاريخ ص ١٧ .
- (١٩) أيام لها تاريخ ص ٢٨ .
- (٢٠) أيام لها تاريخ ص ٩٨ .
- (٢١) يوميات هذا الزمن ص ٥٥ .
- (٢٢) أيام لها تاريخ ص ٨٢ .
- (٢٣) أيام لها تاريخ ص ٨٣ .

(٢٤) أيام لها تاريخ ص ٧٠-٧١ .

(٢٥) أيام لها تاريخ ص ١٦٦ .

(٢٦) أيام لها تاريخ ص ١٧٣ .

أحمد بهاء الدين صحفيا

لمعي المطيعي

إذا أردنا أن نفهم شخصية أحمد بهاء الدين الكاتب الصحفي المتميز علينا أن نسير معه منذ النشأة والتكوين والتعليم وخط سيرة وظروفه التي جعلت منه مفكرا مثقفا يلجأ القراء إلى عموده اليومي الذي اعتاد أن ينشره في جريدة الأهرام كل صباح .

* بهو الأعمدة

وإذ كان قد عُرف لدى القراء في مصر بهذا العمود على يمين الصفحة الأخيرة بجريدة الأهرام فقد اعتاد أيضا أن يطل على القراء بعمود آخر في جريدة عربية شهيرة.

وقد أخطأ أحد الصحفيين في مصر عندما اتهم أحمد بهاء الدين - كذبا - أنه يكرر نفسه في هذين العمودين. ولم يكن هذا صحيحا. وفي ندوة أقمناها له في قاعة الاحتفالات بالهيئة المصرية العامة للكتاب - وسوف أعود إليها هنا - وصفت عموده

فى الأهرام بأنه (بهو أعمدة) وليس مجرد عمود واحد وذلك لما يتصف به من فكر ومعلومات وموقف صائب وجريء .

* الأسرة

والأسرة التى ينتمى إليها أحمد بهاء الدين من قاع الريف المصرى من قرية (الدوير) بمحافظة أسيوط، وكان بين الحين والحين يذكر هذه المعلومة.. وأنه من قرية الدوير ومن أسرة متواضعة وابن لموظف صغير .

وكان وفيا ومنحازا لغالبية الشعب المصرى محدودة الدخل ووفيا لمحافظة أسيوط . يتألم قلمه وتحتد نبرته إذا ما وقعت أية أحداث فى أسيوط .

فى الأسبوع الأول من أكتوبر عام ١٩٨٧ قام الرئيس حسنى مبارك بزيارة تفقدية للهيئة المصرية العامة للكتاب، وكنت مكلفا بدعوة عدد من الأساتذة المفكرين والمثقفين والكتاب والصحفيين للقاء الرئيس عقب جولته فى مبنى الهيئة. وقمت باستقبالهم واصطحبهم إلى مقر اللقاء .

وأذكر الآن عددا من كبار الحاضرين الذين رحلوا إلى رحاب الله. د. زكى نجيب محمود، د. محمود علام، د. لويس عوض، عبد الرحمن الشرقاوى، موسى صبرى، د. يوسف إدريس وكانت قد وقعت أحداث طائفية بأسيوط وعرج البعض فى الحديث عنها فى

وجود الرئيس مبارك، وفوجئنا بـابن الدوير، ابن أسيوط وبنبرة حادة يطلب أن ينقل رئيس الوزراء مكتبه من القاهرة إلى أسيوط وسط الأحداث، هذا ما حدث من أحمد بهاء الدين الدويرى الأسيوطى المصرى، ولعل من كان موجودا معنا ولم يزل على قيد الحياة- مد الله فى أعمارهم- يذكرون هذه الواقعة وأذكر منهم الدكتور أحمد هيكى وزير الثقافة وقت ذاك والذي كان يجلس إلى جوار الرئيس، والدكتور أسامه الباز، والشاعر محمد التهامى، والمؤرخ العسكرى جمال حماد والدكتور عبد العظيم رمضان. وهذا يكفى للشهادة على هذه الواقعة والتي تدل على غيرة بهاء الدين على وحدة الشعب العظيم .

لقد كان كاتباً صحفياً يضع قلمه فى خدمة الشعب.

* إدارة التحقيقات

درس أحمد بهاء الدين فى كلية الحقوق، ودراسة الحقوق كما تعلم تطبع أصحابها بالتدقيق بين السطور وتحليل عناصر القضية والوصول إلى نتائج والدفاع عن رأى الذى يصل إليه الدارس، قوة الحجة وأظن أن أحمد بهاء الدين كان يتمتع بهذه الصفات كلها ففى كتاباته التسلسل المنطقى، وقوة الحجة، وسلامة المنطق والدفاع عما يرى من أفكار .

وكانوا ثلاثة، تخرجوا فى الحقوق وعملوا معاً فى إدارة

التحقيقات بوزارة المعارف: عبد الرحمن الشرقاوى - رحمه الله
- وفتحى غانم - متعه الله بالصحة - وأحمد بهاء الدين - رده
الله إلينا وقلمه فى يمينه، كان الشرقاوى أسبقهم تخرجاً وأكثرهم
ارتباطاً بالحياة الصحفية والسياسية فى ذلك الحين..

وعرفت من «الشرقاوى» أنهم فى تلك الفترة تأثروا باثنين...
الأول مفيد الشوباشى المثقف الشريف وكان معنيا بالدراسات
الأدبية، والثانى توفيق الحكيم وكان اسما معروفا لامعا ربما
حبَّب إليهم الكتابة الصحفية والأدبية، وأعتقد أن عبد الرحمن
الشرقاوى حاول أن يفتح لزميليه وصديقيه، أحمد بهاء الدين
وفتحى غانم طريق العمل الصحفى والأدبى .

*** مجلة فصول**

وقد وجد أحمد بهاء الدين نفسه فى مجلة فصول التى كان
يصدرها محمد زكى عبد القادر وفى تقديرى الخاص أن بصمات
محمد زكى عبد القادر كانت مؤثرة على شخصية أحمد بهاء
الدين وقد لقيت الصفات الشخصية لزكى عبد القادر أرضا
خصبة فى طبيعة بهاء وفى تقديرى أيضا أن مجلة فصول كانت
بأسلوبها وموضوعاتها قريبة أيضا إلى طبيعة بهاء وسلوكه.

كان محمد زكى عبد القادر متواضعا لم تتعثر خطاه بفعل
الغرور على الرغم من أنه بدأ يكتب عموده اليومى (نحو النور)

منذ عام ١٩٢٨ وهو بالقطع من أشهر الأعمدة الصحفية ومن أكثرها احتراما، ولعل الشاب بهاء حلم بأن يكون له مثل هذا (العمود) وربما أيضا تمثل الصفات التي تمتع بها «زكى عبد القادر» في عموده (نحو النور).

وزكى عبد القادر أثر ألا ينضم إلى حزب من الأحزاب وهكذا لعل بهاء الدين .

ومجلة (فصول) اختارت منها رصينا موضوعيا تترفع به عن المهاترات ووجد فيها بهاء ضالته فكان يكتب مقاله ويذهب في هدوء ويطرق باب المجلة ويسلم مقاله وينصرف ويكتب محمد زكى عبد القادر بأنه فوجيء بمقالات هذا الشاب وحرص على أن يراه فوجده شابا قصيرا خجولا فدعاه إليه واتفق معه على أن يكتب مقالا لفصول الشهرية وأثنى على أفكاره وأسلوبه وموضوعيته وشخصيته المستقلة..

وكما كان محمد زكى عبد القادر مستقلا أصبح أحمد بهاء الدين كذلك، كانت له آراء ومواقف مؤيدة للوفد ولكنه لم ينضم إلى الوفد، وكانت له علاقات ومناقشات وصادقات مع عناصر ماركسية كثيرة إلا أنه لم ينضم إلى أى تنظيم ماركسى بل أنه- فيما بعد- كانت له صداقات مع البعثيين فى سوريا والعراق وخاصة مع المؤسس الثانى لحزب البعث «صلاح البيطار» إلا أنه لم ينضم لحزب البعث ولم يدخل أيضا أى تنظيم تنظيمات ثورة

يوليو لا هيئة التحرير ولا الاتحاد القومي ولا الاتحاد الاشتراكي
حافظ على قلمه المستقل يكتب ما يراه صوابا .

وفي تقديرى أن موقف بهاء المستقل حماه من الهزات كتلك
التي تعرض لها غالبية المثقفين فى مصر، لم يتعرض للاعتقال
أو السجن أو التشريد، عرضوا عليه منصب وزير الثقافة فرفض
واحتفظ بقلمه كصحفى وككاتب وهذا هو الذى جعله يحظى
باحترام القارئ والسلطان معا .

*** مدرسة روز اليوسف**

كانت مدرسة روز اليوسف أكثر المدارس الصحفية ملائمة
لنشاط الصحفى أحمد بهاء الدين وذلك للأسلوب الذى اتبعه
الكاتب الصحفى الراحل إحسان عبد القدوس .

هامش من الحرية للعاملين بهذه الدار، أطلق الإبداع الكامن
لدى الكتاب والفنانين الذين عملوا بها ونشأت ألفة شخصية بين
غالبيتهم فازدهرت مجلة روز اليوسف فى تلك الفترة .

وجاءت الفرصة عندما قررت الدار إصدار مجلة (صباح
الخير) وأسندت رئاسة تحريرها إلى بهاء الدين وضع لها خطا
رئيسيا . . مجلة تخاطب الشباب .. عقولهم وقلوبهم شىء من
السياسة فى قالب مشوق الجراءة فى اقتحام المشكلات بعض
الأدب دون قلة الأدب.. ونجحت المجلة ونجح أحمد بهاء الدين

ليس كمجرد كاتب وإنما في المقام الأول كرئيس تحرير له أسلوبه الصحفي وأسلوبه في الإدارة .

*** أخبار اليوم**

ودخل أحمد بهاء الدين دار أخبار اليوم كرئيس للتحرير وعليه أن يتعامل مع التوأمين المشهورين ونستطيع أن نقول أن أحمد بهاء الدين لم يكن يتفق تماما مع توجهات (أخبار اليوم) لاتاريخيا ولاسياسيا ولافكريا ولكنه بذكاء شديد بدأت شخصيته تظهر في الدار وأعطى صحف أخبار اليوم اهتماما بالسياسة الخارجية على أساس عملي مدروس، بما تنشره كبريات المجلات في العالم الخارجى مثل (التايم والنيوزيك) واهتم أيضا بالجانب الثقافى والأدبى، باختصار أعطى صحف أخبار اليوم طعما جديدا .

أما علاقته بالأخوين التوأمين فكانت طريفة وكما كتب هو ذات مرة أنه استراح للتعامل مع على أمين - رحمه الله- وكان يعمل حسابا لتعامله مع مصطفى أمين، وجد فى «على» شخصية مباشرة، رد الفعل عنده سريعا، اذا غضب فإنه سرعان ما يصفو.. «على» قلبه أبيض وقال عن «مصطفى» إنه لا يظهر ما يبطن ثم يظهر الحساب ولو بعد فترة أى أنه (يخزن أو يشيل) على أية حال نجح أحمد بهاء الدين فى دار أخبار اليوم .

وفى كل الأحوال كان اسمه محترماً لدى الذى يعرفه أو لا يعرفه واستخدم احترام اسمه فى معاونة زملائه اذا ما وقعوا فى ورطة، اذكر أن زميلنا الراحل محمد جلال كشك كان بعد خروجه من المعتقلات قد أسس ما أسماه (كشك بريس) فى شقته بشارع اسماعيل محمد بالزمالك وعمل هذه الكشك بريس يتلخص فى طالب بقسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب يستمع إلى الإذاعات العربية ويترجمها إلى اللغة الانجليزية ويقوم محمد جلال كشك ويقوم كشك بتوزيع النشرة الصغيرة على السفارات الأجنبية، وفوجئنا باعتقال جلال كشك. وقيل إن وراء هذا الاعتقال هو أحد معاونى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وتم وضع هذه البيانات كلها أمام أحمد بهاء الدين وبعدها تم الإفراج عن الصحفى محمد جلال كشك.

* دار الهلال

وعندما تولى أحمد بهاء الدين مسئولية دار الهلال وكان لم يزل صغير السن وهناك عتالة أمثال الصحفى الكبير فكرى أباطه والشاعر الكبير صلاح جودت والصحفى المخضرم صبرى أبو المجد، ولكن بهاء الدين كان مسموع الكلمة محبوباً من الجميع. وسارت مركب دار الهلال هادئة بفضل توجيهات بهاء الذكية، وأخذت مطبوعات دار الهلال سمت الوقار كسابق عهدها.

* الأهرام

وأعتقد أن فترة الصحفي أحمد بهاء الدين فى الأهرام شبيهة إلى حد كبير بدار الهلال، كلاهما دار لها تاريخ، وكلاهما به عناصر تقليدية أضاف إليها «بهاء» الحركة الهادئة، وكان أسلوب بهاء فى الأهرام موضع خلاف بين الصحفيين ولوحظ أن أرقام التوزيع للأهرام فى تلك الفترة كانت أقل من المعتاد لأن بهاء ليس من مدرسة الإثارة الصحفية .

*** نقابة الصحفيين**

على أية حال فإن الصفات التى تميز بها أحمد بهاء الدين جعلت منه شخصية هادئة ليقود نقابة الصحفيين فى فترة انصرف فيها الصحفيون عن حضور الجمعيات العمومية، وكثرت الخلافات بين الصحفيين .

*** يوميات هذا الزمان**

ثم اضطرت الظروف المرضية الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين إلى الإحتجاب عن قرائه الذين ينتظرونه كل صباح وغاب عموده (يوميات) وحل محله إعلان عن أى شىء.

وكان أمرا طيبا من الأهرام ومن زميله وتلميذه مصطفى نبيل إصدار الكتاب المعروف (يوميات الزمان) وقدم له بمقدمة ودودة الكاتب الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل وفى إحدى ندوات (كاتب وكاتب) التى كنت أعدها وأقدمها فى المعرض

الدولى للكتاب أدرجت كتاب(يوميات هذا الزمان) لعرضه ومناقشته وتحديث إلى الأستاذ هكل أرجوه أن يشارك فى مناقشة هذا الكتاب الذى قدم له وظروف خاصة به اعتذر فلجأت إلى الزميلين العزيزين الأستاذ لويس جريس والأستاذ مصطفى نبيل وحضرا وأثريا الندوة .

حاولت من السيدة الفاضلة أن تحضر الندوة وتصحب معها الأستاذ بهاء ولكن ظروف المرضية حالت دون ذلك.

*** أيام لها تاريخ**

وفى منتصف الطريق أراد الله سبحانه وتعالى أن يحتجب بالمرض الكاتب الصحفى الكبير أحمد بهاء الدين وحسنا فعل الأهرام بإصدار كتاب (يوميات هذا الزمان) ليكون نموذجا ليومياته الفريدة.

وفى بلادنا من الصعب أن تفصل بين الصحفى والكاتب، غالبية الصحفيين كانت لهم كتبهم كان هكذا عباس محمود العقاد وابراهيم المازنى وأحمد الصاوى محمد إلى جانب أعمالهم الصحفية كانت لهم كتبهم التى أصدروها .

وقد أصدر بهاء الدين كتابا هاما فى فترة باكورة هو (النقطة الرابعة) وله كتاب آخر هام (أيام لها تاريخ) وحسبه أن هذا العنوان قلده الكثيرون واستعاره الكثيرون.

وتحية لأحمد بهاء الدين ابن الدوير، ابن أسيوط ، ابن مصر.

أحمد بهاء الدين: مفكر يعمل بالصحافة

د. محمد الرميحي

أيها الإخوة

«الرجل المناسب في المكان المناسب في الوقت المناسب» ربما كانت هذه العبارة هي أنسب وصف لاختيار المفكر العربي الكبير أحمد بهاء الدين لرئاسة تحرير مجلة العربي الكويتية في نهاية عام ١٩٧٥، والذي استمر في العمل بها حتى نهاية عام ١٩٨١.

ومن المعروف أن مجلة العربي الكويتية كان قد صدر العدد الأول منها في أول ديسمبر سنة ١٩٥٨ برئاسة العالم الأديب أحمد زكي رحمه الله.

وقد كان صدور هذه المجلة بالصورة التي ظهرت بها وبالمنحى الذي اختارته في خدمة الثقافة العربية والذي تمثل في أن تفتح صفحاتها لأفضل كتاب العربية من كل الأقطار لتخاطب القراء العرب في جميع أرجاء الوطن العربي، وبما أتيت لها ولكتابها من حرية واستقلال في التعبير عن آرائهم وأفكارهم، كان هذه المجلة - بهذه المثابة - تعبيراً صادقاً عن المناخ الديمقراطي الرحب والأصيل الذي عرفت به دولة الكويت منذ نشأتها.

كما كانت تعبيراً عن سياسة ثابتة لدولة الكويت في دعم العمل العربي الثقافي المشترك رعاها دائماً سمو أمير البلاد وولي العهد رئيس مجلس الوزراء، ووزارة الإعلام الكويتية.

ولقد ساعدت هذه الصبغة التي حافظ عليها جميع رؤساء تحرير المجلة في كل العهود، على أن تقوم مجلة العربي بدورها التنويري الهام في كل الظروف الصعبة التي مرت بالوطن العربي خلال العقود الأربعة الماضية، ولقد برهنت كل المتغيرات التي عبرت بأوطاننا العربية على أن هذا الدور التنويري كان هو القيمة العظمى التي لم يختلف بشأنها أحد ولم تتغير منها المواقف. وقد جاء اختيار الكاتب العربي الكبير أحمد بهاء الدين ضمن التوجه الكويتي الثابت في استقطاب الكفاءات العربية، في كل المجالات إيماناً منها بأن مربود عمل هذه الكفاءات سيعود إلى الوطن العربي كله وإلى المواطن العربي حيث كان.

فالاستاذ أحمد بهاء الدين أحد كبار المؤمنين بفكرة القومية العربية، وأحد كبار المفكرين العرب الذين عملوا بالصحافة فأمكنه أن يمزج - بعبقريّة نادرة - بين القدرة على الوصول إلى العمق في أعقد القضايا والتعبير عنها في بساطة ويسر بحيث تصبح في متناول القارئ العادي، هذا الكاتب يأتي إلى مجلة العربي ليقود سفينتها في مرحلة قُدر لها أن تشهد أقسى

وأعنف صور التمزق العربى آنذاك الذى بدأ بالحرب الأهلية اللبنانية ووصل الى ذروته بعقد معاهدة كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل، وكان من المذهل أن يحدث كل هذا التمزق بعد أن حقق العرب بتضامنهم أول انتصار عسكري لهم ضد إسرائيل فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ وأول استخدام سياسى ناجح لقوة البترول العربى، فكيف تعامل الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين من خلال مجلة العربى، مع الأحداث العربية المتفجرة، ومع الأحداث العالمية التى كانت ترهص بالمتغيرات الكبرى التى بدأت إنذاراتها فى أوائل الثمانينيات ووصلت إلى ذروتها فى نهايتها؟ قد لا تسمح طبيعة هذه الكلمة التى لا تدخل فى نطاق البحوث أو الدراسات برصد دقيق للدور الذى قام به الكاتب الكبير من خلال مجلة العربى.

ومن هنا فإن هذه الكلمة سوف تكفى بإلقاء شىء من الضوء على منحى الكاتب فى تناوله للقضايا والمشكلات، وكيف تفاعلت شخصية المفكر أحمد بهاء الدين مع شخصية الصحفي فيه، سواء فيما يتصل بما كان يكتبه بنفسه من مقالات فى المجلة أو فى إدراته لسياسة المجلة واختيار المادة التى كانت تنشر فيها آنذاك، إذا ألقينا نظرة طائر على عينة من المقالات التى كتبها أحمد بهاء الدين فى مجلة العربى فى الفترة التى رأس فيها تحرير المجلة، وراعيها أن تمثل هذه العينة مختلف المجالات التى كتب فيها فسوف نجد ما يلى:

«العرب ولبنان» وهى عن الحرب اللبنانية، «نحن نعيش الحرب الصليبية العاشرة»، «العالم كله ضد الوحدة العربية»، «نحو نظرية أمن عربية شاملة»، «سنة التمزق العربى» وكان يتحدث عن سنة ١٩٧٧، «منطق حروب المائة سنة»، ثم نأخذ عينة أخرى فى مجال آخر «حضارات تزدهر ثم تهوى»، «حضارة الغرب بين السماحة والإباحة» «رؤية من لندن»، «لغز ماوتسى تونج أم لغز الصين»، «الشخصية الأمريكية»، «جان جاك روسو وفولتير»، «الحوار بين الحضارات»، «عقل جبار وضمير قلق» والمقال عن «برتراند راسل».

وفى مجال ثالث نجد هذه العينة «المثقفون والسلطة فى البلاد العربية»، «النخبة والجماهير»، «شرعية السلطة فى العالم العربى»، «معنى القانون».

من كل هذه العناوين يمكننا أن نلاحظ سيطرة المفكر على الصحفي، قد يكون وراء اختيار هذه الموضوعات خبر هنا أو حادث هناك، ولكن الخبر نفسه أو الحادث يكون مجرد مناسبة للدخول فى قضية كبرى تشغل منذ وقت بعيد عقل الكاتب المفكر وتؤرقه، وحتى بعد كتابة المقال الخاص بالقضية تبقى القضية تؤرق عقل الكاتب فيعود إليها مرة أخرى فى مقال ثان أو ثالث، قد يختلف العنوان قليلا ولكن القارئ يدرك أن الكاتب يعود إلى القضية ذاتها من زاوية جديدة وربما فى ضوء أحداث جديدة فيغوص فيها إلى أعماق أبعد وبأسئلة جديدة ليصل إلى

نتائج مختلفة أو ليؤكد حيرته أو ليعيد صياغة أسئلته وتلك هي طبيعة المفكر المستقل الصادق الأمين مع نفسه ومع قارئه.

وهذا هو جوهر منهج الكاتب المفكر أحمد بهاء الدين جدل لا ينتهي بين الثابت والمتغير عبر عقلانية هادئة ولا نقول باردة وسنكتفى باختيار نموذج لتجسيد هذا المنحى عند الكاتب الكبير «أحمد بهاء الدين» من خلال كتاباته في مجلة العربي وحدها، مع أن النماذج ممتدة في كل ما كتب، قبل العربي أو بعدها، ففي مقاله بعنوان «حضارات تزدهر ثم تهوى» في عدد أبريل ١٩٧٦ من مجلة العربي يقول الكاتب «هذا الموضوع كان دائما ولا يزال يحيرني كثيرا ويثير اهتمامي في محاولة فهمه والبحث عن أسبابه ثم يقول إن النمو والتقدم في حياة أي مجتمع أمر طبيعي ومفهوم ولكن السؤال اللغز هو لماذا يحدث العكس؟ ما الذي يجعل نظاما متكاملا للحكم يسقط؟ وازدهارا كبيرا للعلوم والفنون والقيم السائدة ينهار ويتهاوى؟! ثم يستعرض الكاتب المفكر آراء العديد من المفكرين والعلماء الذين وقفوا أمام هذا السؤال من أوزوالد شبنجلر إلى تونبي وقبلهما ابن خلدون... وأنت هنا مع المفكر الذي يملك موهبة الصحفي القادر على تبسيط وتقديم خلاصات الأفكار في عبارات واضحة تجعل من القارئ العادي شريكا في الاحساس بالمشكلة... مؤهلا للتفكير فيما يصل إليه الكاتب من آراء بل وإلى حد تحريضه على الاختلاف معه... وفي هذا المقال يصل

الكاتب الى نوع من الاعتقاد بأن الحضارة تنشأ بسبب وجود فكرة كبيرة يؤمن بها رجال من نوى العزم والقوة، وعادة ما تتجاوز هذه الفكرة حدود حياتهم الشخصية، كما أنها لا بد أن تنطوى على أفكار إيجابية بناءة للحياة والناس والمجتمع ويندفعون في تحقيقها إلى حد أن يصبحوا قدرة لغيرهم من الأفراد والجماعات، وفي البداية تكون فكرة الواجب هي السابقة على فكرة الحق وتكون المتعة الروحية هي السابقة على المتعة الحسية ثم تتوازن القيمتان.. العطاء والأخذ المتعة الروحية، والمتعة الحسية لجيل أو أجيال حتى تؤتى مثل هذه الحضارة درجة أو درجات من الوفرة أو الرفاهية ثم يأتى جيل أو أجيال يصبح أكثر ميلا الى أن يستوفى حقه قبل أن يؤدي واجبه وربما دون أن يؤدي واجبه، وتسبق أو تسود المتع الحسية على المتع الروحية والنفسية والعقلية.. فيدب الانحلال الى الحضارة.. ولكن ما هكذا ينتهى اللغز فى بساطة، بل تبقى التساؤلات: ما القوى التى يمكن أن تضبط هذا التوازن؟ وما العوامل التى يمكن أن تعجل بهذا الخلل أو تمنعه؟ إن هذه التساؤلات نجدها وراء عودة الكاتب إلى القضية ذاتها فى مقال آخر وفى وقت آخر أثناء زيارته إلى لندن، المقال بعنوان «حضارة الغرب بين السماحة والإباحة» رؤية من لندن والزمن مايو عام ١٩٨١.

يتسأل الكاتب فى بداية مقاله مرة أخرى ما معنى الحضارة

بشكل عام حتى نستطيع أن نتتبع بزوغها وأفولها؟

ونكتفى من تعريفات الكاتب للحضارة بهذه الإشارة الى جوهر فكرة الحضارة عنده يقول: أننسى حيرة الجبرتي مؤرخ مصر أيام الحملة الفرنسية إذ يتعجب من أن أى مملوك مؤمن كان يقطع رقاب عباد الله المسلمين مثله دون حساب فى حين أن الجيش الفرنسى حين قبض على سليمان الحلبي قاتل كليبر متلبسا واعترف بجريمته، ومع ذلك شكل الجيش له محكمة، وأتى له بمحام للدفاع عنه، وأجرى محاكمة علنية، قبل إصدار الحكم عليه بالإعدام مع أنهم كفار ثم يقول الكاتب:

«بهذا المعنى نفهم الحضارة، ونرى أن إنجلترا كمجتمع - مع نفسه لامع غيره - حقق درجة عالية منها، ولكن هل تكون الزيادة أكثر من اللازم حتى فى المزايا هى بداية النهاية...

ثم يقول الكاتب: «إن شيئاً من هذا نراه فى إنجلترا، وهو تجاوز مجتمع السماح إلى مجتمع الإباحة.

هناك حكومة يمينية متطرفة برئاسة مسز تاتشر وجدت أن العلاج الوحيد لحالة إنجلترا الاقتصادية هو إلغاء قوانين حكومة العمال الاشتراكية منذ عام ١٩٤٥، وجهة نظر الحكومة أن إنجلترا صارت تعيش ترفاً أكثر من مواردها، وجاء الرد فى صورة اضطرابات متوالية تزيد فوق الخسائر خسائر أخرى وحق الإضراب فى إنجلترا جزء من قوانين المجتمع وله قواعده.

ثم يقول أحمد بهاء الدين: «القضية التي استوقفتني ليست الاضراب، ولا قسوة الظروف، ولكن المدهش حقا أن يحدث كل هذا الصراع والتناقض دون حادث شجار واحد، ودون أن يقذف واحد الآخر بحجر، وهذا الأمر المدهش يكاد لا يحدث إلا في إنجلترا فقط، (فرنسا لا يحدث فيها هذا بهدوء) ومع ذلك فإن ما يحدث في إنجلترا سيؤثر في مسار المجتمع الغربي كله، وإذا حاولنا تأمل ما سوف يحدث سنجد أنفسنا أمام السؤال الذي طرحته أول هذا الحديث. هل زادت السماحة فوصلت إلى منطقة الإباحة؟ السماحة قوة، والإباحة بداية ضعف الدولة، فالإضراب شمل ضباط الجمارك في المطارات وضباط قواعد الصواريخ، وترك الدولة بحدود مفتوحة دون دفاع قط لمدة ٢٤ ساعة سماحة أم تجاوز للمعقول وإباحة؟ هل هو الخيط الأبيض مع الخيط الأسود ساعة فجر تطور جديد، أو ساعة أفول وغروب ومغيب، والفجر والغروب لوانان متقاربان!

وإذا كانت المشكلة في إنجلترا قلعة الحضارة الغربية هي أن كفه الميل إلى الرفاهية والوفرة هي التي رجحت على كفة بذل المجهود، وأن الرغبة في الحفاظ على هذه الرفاهية دفعتهم إلى المبالغة في نيل الحقوق مثل حق الاضراب، ولو أدى إلى زيادة الخسائر، ولو أدى إلى انكشاف الحدود إذا كانت هذه - في إنجلترا - هي الثغرة التي قد تؤدي إلى انحلال الحضارة.. فما الذي يمكن أن تصير إليه الأمور لو أن كفة الواجبات،

وسيادة قيم الانضباط والعمل ومصلحة الجماعة هي التي رجحت؟ ولم يكن هذا السؤال مجرد سؤال نظري فلسفي، بل كان هذا هو ما حدث تماما في الصين بعد ما يزيد على نصف قرن من الثورات والحروب التي قادها «ماوتسي تونج»..!

وفي واحد من أهم المقالات التي كتبها أحمد بهاء الدين في مجلة العربي بعنوان «لغز ماوتسي تونج أم لغز الصين؟!» ويعد عرض رائع ممتع لكفاح ماوتسي تونج ودوره في بناء الصين الحديثة، أوضح الكاتب كيف أن ماوتسي تونج نفسه: هو الذي كان يرفع أمام الصينيين شعار «دع مائة زهرة تتفتح» بعد نصف قرن من الثورة المتواصلة.. فهل كان الرجل يشعر بأن الرجل يوشك أن ينفجر؟ أم أنه حين أمر برفع الغطاء كان يريد أن يبصر ما في داخل الرجل؟ لأنه يشك وما الذي أبصره يا ترى حتى عاد يرفع شعار «القفزة الواسعة إلى الأمام» ثم لا يلبث أن يعلن بعد ذلك عن «الثورة الثقافية»؟!

يقول الكاتب الفرنسي «مالرو» في تفسير هذه الألغاز «إن ماوتس تونج كان لديه ذلك القلق العميق الذي يلزم الثوار من أن حرارة الدعوة بعدهم تخبو، فمن يضمن له ألا يخرج بعده خروشوف آخر يلعنه كما لعن خروشوف ستالين؟!

هكذا كان المفكر أحمد بهاء الدين يفتش في صدور الرجال وفي أحداث الحاضر والماضي، وفي شوارع المدن كما في صفحات الكتب عن المعاني الحائرة وراء القضايا الكبيرة التي

تشغله «كيف تزدهر الحضارات وكيف تنهار؟؟» وعينه وقلبه على محاولات أمتنا العربية للنهوض بعد طول تعثر وبهذا المنحى ذاته ناقش في كل المقالات التي كتبها في العربى فى هذه المرحلة قضايا العروبة والثقافة والفكر بروح المفكر الذى لا يتوقف عند زاوية واحدة، ولا يستريح لإجابة واحدة يلقي عندها الرجال، ويقلم الصحفي الذى لا يقنع بأقل من جميع القراء.

هذه كانت لمحة عن منحنى الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين فى تعامله مع القضايا التى يتناولها بقلمه فهل يمكن أن نختتم هذه الكلمة بلمحة أكثر إيجازا عن طريقة أحمد بهاء الدين فى سياسة مجلة العربى.

كان للكاتب أحمد بهاء الدين كلمة مشهورة يرددها دائما.. كنصيحة لكل من يتولى مسئولية جديد فى إدارة مؤسسة صحفية ناجحة، كان دائما يحذر هؤلاء المسئولين الجدد من أن يتورطوا فى خطيئة قلب كل شىء فى المؤسسة رأسا على عقب، وكان يدعوهم إلى سياسة أخرى أكثر حكمة فمادامت المؤسسة الصحفية ناجحة بمعنى من المعانى، فلنحافظ على هذا القدر من النجاح.. حتى لا نخسر قارئاً واحداً من قراء المطبوعة الصحفية القدامى ثم فلنحاول أن نكسب إلى القراء القدامى قراء جدداً عن طريق التطوير المتدرج الهادىء الذى يتجه إلى تحسين الكيف والى تحسين المضمون نون أن نحدث صدمة للقارئ القديم وبخاصة فى شكل المطبوعة، وهذا ما فعله فى

مجلة العربى فى الفترة التى تولى فيها رئاستها، حافظ على صيغة التنوع الثقافى التى وضعها الدكتور أحمد زكى...

تنوع فى المادة بين العروبة والاسلام والقضايا العامة والعلم والطب والأدب والتربية والتاريخ والاجتماع إلخ..

وتنوع فى كتاب هذه المادة حتى يتلاقى - على صفحات المجلة - الكتاب من كافة الأقطار العربية مع القراء من كل هذه الأقطار.

وكان من الطبيعى أن يظهر التطور تارة فى اختيار القضايا المطروحة وتارة فى اختيار الكتاب، وشاء القدر أن يلتقى فى الكويت - فى هذه المرحلة - عدد من أهم الكتاب العرب للعمل فى جامعتها وفى مؤسساتها العلمية والتعليمية، ووجد هؤلاء جميعا على صفحات العربى متنفسا لآرائهم، ومهما تكن التيارات الفكرية أو السياسية التى ينتمون إليها.. فى هذه السنوات كان يكتب للمجلة فى الاقتصاد كتاب مثل د/ حازم الببلاوى وإلى جواره - رغم اختلاف التوجه - د/ جلال أحمد أمين وفى مجال الفكر كان يكتب د/ زكى نجيب محمود وإلى جواره - رغم اختلاف التوجه - د/ فؤاد زكريا.

وفى مجال الفكر الاسلامى كان يكتب د/ أحمد كمال أبو المجد وسعيد العشماوى ود/ عبد الهادى أبوريده ، وفى مجال

العلوم كان يكتب المرحوم الكاتب الفذ د/ عبد المحسن صالح،
وفى مجال التاريخ كان يكتب د/ شاكر مصطفى وغيرهم
كثيرون.

وتطورت فكرة الاستطلاعات فخرجت عن إطار الوطن العربى
الى العالم الاسلامى ومن استطلاع مدينة إلى استطلاع مناطق
بأسرها يمكن أن تكون بؤرة للتوتر مثل القرن الإفريقى أو ملتقى
للطرق مثل المضائق بين البحار.. كما تطور المقال العلمى
الواحد إلى فكرة الملف العلمى المتكامل عن موضوع علمى بدأ
يشغل الانتباه مثل قضية طفل الأنابيب فى حينها أو قضية
اللعب فى الجينات.. إلخ.

أيها الإخوة... هذه لمحات موجزة لا تقول شيئاً بالنسبة لما
ينبغى ولما يستحقه كاتبنا ومفكرنا العربى الكبير د/ أحمد بهاء
الدين تحية عرفان وتقدير منى شخصيا ومن بلد قدر الرجال
وفضلهم.. فله كل التحية ولكم كل الشكر على أن أتحتم لى
تقديم هذه التحية.

★ شهادة ★

أحمد بهاء الدين

فتح للشباب باب الشهرة .. والزواج

محمود قاسم

كتب أحمد بهاء الدين فى مقاله الرئيسى فى مجلة العربى فى أحد أعداد ١٩٨١ بمناسبة حديثه عن ثقافة العصر أنه فى الأربعينيات كان المثقفون الشباب يقرأون أدب الشباب العالمى فى مصر والعالم العربى وذلك بمجرد صدورها فى بلادها أى أن القراء فى هذه الفترة كانوا يتابعون إبداع الكتاب العالميين من الشباب آنذاك مثل جان بول سارتر وسيمون دى بوفوار وأرنست هيمنجواى بالإضافة إلى الكتاب المخضرمين أيضاً فى تلك الأونة مثل أندريه جيد وبرناردشو وجان كوكتو الذين زارو مصر وكتبوا عنها فى رحلاتهم.

وفى مقاله الشهير هذا ولا أدرى لماذا لم يتم تجميع هذه

المقالات فى كتاب فى مثل هذا المؤتمر على الأقل. لنشارك الكاتب الكبير عن أحوال الثقافة العالمية فى مصر فى الثمانينات وأيضاً فى العالم العربى. فهل نعرف أسماء الأدباء البارزين فى ألمانيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة مثلاً كان يعرفها جيل أحمد بهاء الدين والمبدعين فى العالم من جيل الأربعينات .

كان الكاتب يتحسر على انحسار الثقافة العالمية وأيضاً أحوال الترجمة وتساؤل عمن يكون من الكتاب الذين يكتبون الآن عن هذه الآداب وعن الجديد من الكتب والاتجاهات الفكرية والمدارس الإبداعية وأشهر الأدباء.

عندما قرأت هذا المقال فى أغسطس ١٩٨١ أحسست أن الأستاذ/ أحمد بهاء الدين ينادينى وكأنه يعزف معى على نفس الخط.. فقد كنت أحس بنفس أفكاره وأعانى من نفس الأشياء.. فالترجمة انحسرت- لواحد يتحمس لنشر مقال عن كاتب مغمور بالنسبة له. رغم تواجده العالمى وعلى سبيل المثال فإن بعض المجلات التى كنت أرسل إليها هذا النوع من المقالات .

كانت تردّها إلى وعليها عشرات التساؤلات من هو الكاتب؟ وما هى أهميته؟ وما الداع لنشر مقال عنه؟

الوحيد الذى بدأ متحمساً لما أكتب هو صحفى كانت بيننا

مراسلات دون أن أعرفه وأكن له كل مودة وعرفان بالجميل حتى الآن وبعد خروجه إلى المعاش. كلما قابلته أذكره بما فعله معي اسمه «أحمد» والذي كان مشرفا على القسم الثقافي بجريدة المساء ونشر لي العديد من المقالات في الجريدة وذلك باعتبار أن الصفحة كانت تفتح أفاقا للكتاب الشباب.

وما إن قرأت هذا المقال حتى أحسست أنني وجدت ضالتي في سطور الكاتب وأنا الذي أعرف الأستاذ / بهاء ككاتب سياسى أكثر منه فهما بالثقافة العالمية على الأقل وعلى الفور استجمعت نسخا من هذه المقالات المنشورة في الجريدة وكتبت مقالا عن كاتب فرنسى شهير فى تلك الأونة - وما أبرز الأدباء فى الربع قرن الأخير - هو / باتريك موريانو وكان المقال تحت عنوان «الموريانية».

وأرسلت إلى الأستاذ بهاء مظلوما أشير فيه أن الزمن الذى تصوره فى انتهى لايزال موجودا وأن هناك فى الاسكندرية شبابا يهتمون بكل ما هو جديد فى العالم يقرأون عنه ويتابعونه وأنهم فقط ينتظرون الفرصة وشخصيات تفكر بطريقة أحمد بهاء الدين.

وتوقعت بعد ذلك أن يصلنى الرد بعد فترة لكنه جاء أسرع مما تصورت وكان الرد على النحو التالى :

السيد /.....

وصلنا مقالك عن «الموريانية» وأنا أشكرك على هذا الاهتمام ونعلمك أن المقال سوف ينشر في عدد يناير القادم وأرجو متابعة إرسال مقالات أخرى عن كتاب يمثلون ثقافات مختلفة.

التوقيع: أحمد بهاء الدين

وهل هناك ما هو أسعد من هذا المقال يمكن أن يصل إلى كاتب شاب وفي مجلة العربى وقد كنت أيامها أكثر أبناء جيلى تأزما لظروف خاصة وجاء الرسالة لتفتح لى الأفق والآمال بدت كأنها البسم الشافى من كل الأمراض وعكست فكر هذا الرجل المثقف الجميل فهو لم يوافق فقط على نشر مقالى عن باتريك موريانو وذلك بعد شهرين فقط من إرساله بل يطلب منى أن أرسل إلى المجلة مقالات أخرى عن أدباء عالميين آخرين يمثلون ثقافات مختلفة معاصرة حتى لانكون أسرى لثقافة أحادية .

وهل هناك فى الصحافة العربية من يمتلك هذه العقلية وهل هناك رئيس تحرير أعطى فرصة لكاتب جديد مثلما فعل أحمد بهاء الدين.

فالآن بعد أربعة عشر عاما من هذه التجربة فإننى لم ألتق بمن فعل هذا بنفس الدرجة وإن كنت لا أنسى دور كمال النجمى

رئيس تحرير الهلال الأسبق ثم مصطفى نبيل رئيس تحرير
الهلال الحالى.

وإذا كانت الفرحة غامرة يوم وصول المقال فالفرحة كالسيل
المتدفق يوم أن طالعت مقالى عن «موريانو» فى ست صفحات
وصورة الكاتب تنشر لأول مرة فى مطبوعة عربية. أحسست أن
هناك مجلة متطورة تتكلم عن نفس الشخص فى نفس الفترة
التي يبرز فيها فى مجلات كبرى منها، لير. ماجران. ليتيرير،
«كاتزان ليتيرير» وغيرها .

وقبل أن أقرأ خطاب الأستاذ/ بهاء للمرة العاشرة كنت قد
أرسلت المقال الثانى عن الكاتب البسريطانى انطونى
بيرجيس (١٩١٧-١٩٢٠) ثم مقالا عن الكاتب الأمريكى.. إيريك
سيجال صاحب رواية «قصة حب» وتتابع المقالات المنشورة
فى المجلة عن الكاتب التشيكى «خوسيه نوسو» .

وعن الكاتبة الفرنسية التى دافعت عن العرب. كلير اتشرلى
وعن الكاتبة الزنجية جيمى بولدوين . وعقب فوز جابريل جاريثا
ماركيز بجائزة نوبل سنة ١٩٩٢ نشر مقال عن الكاتب فى يناير
١٩٩٣ .

وتفتحت الأبواب أمامى ورحت أفخر أمام كل من أعرفهم
بأننى أكتب فى مجلة العربى وأننى أراسل الأستاذ أحمد بهاء

الدين وتوافدت مكافآت مجلة العربي إلى عنواني فاستجمعت
ستمائة جنيه استرليني دفعتها كاملة لخطيبتى كمهر لأتزوج
ولولا هذه المقالات التى نشرتها المجلة لى ما تزوجت ربما لفترة
طويلة ولذا فإننى أحس بديون له فى عنقى. وأقل شىء أن أرد
إليه بعضها هو أن أذكر هذه الوقائع وأظل أذكرها حتى آخر
كلمة تسطرها يداى .

أحمد بهاء الدين والقومية العربية

د. مصطفى عبد الغني

تعود فكرة هذه الدراسة إلى خريف ١٩٩٤، كنت على وشك الانتهاء من بحث ضخم عن أحمد بهاء الدين(*) والحصول منه على نتائج. وكنت قد اكتشفت وقتها أن لدى عددا هائلا من المقالات والكتابات السياسية له.

ولما كانت قد انتهيت من البحث السابق مستخدما مناهج شتى. فقد خطر إلى أن أعود إلى هذه النتائج بمنهج مغاير. وبذلك أثرت استخدام منهج تحليل المضمون.

كان يعنى هذا على مستوى المنهج، الإفادة من أدوات استخدام تحليل المضمون(**) وكان يعنى هذا على مستوى الفكر، إعادة وضع النتائج التى سبق وأن توصلت إليها، تحت مخبر جديد، لاختبارها، وعمل - فى الوقت نفسه - مقارنة مفيدة فى هذا الاتجاه.

وبهذا الشكل، حاولت الوصول إلى بعض النتائج من

(البيانات) التي يقدمها النص، وتحديد علاقات الترابط فيه للوصول إلى المعانى الكلية (للخطاب البهائي) إذا جاز لنا استخدام ذلك المصطلح .

تركزت الفروض الأولية هنا على محورين اثنين يمثلان معا مشروع (القومية العربية) بمفهومها العصري عند أحمد بهاء الدين، وهما :

= القومية العربية

= الدولة العصرية

الأول لتأكيد القومية، والآخر لتأكيد الهوية المعرفية

الأول لتأكيد الذات في عصر جديد، والآخر لرسم أسباب الحفاظ على هذه الذات، في زمن لم يعد ليهتم فيه إلا بتفتيت القوميات وزرع الشقاق، وتأكيد خرافة (نهاية التاريخ) في نظام أحادي جديد، كان قد أحس به أحمد بهاء الدين مبكرا وحاول التعبير عنه ،... فلنهبط أكثر إلى الخطوات الإجرائية..

الفرض الأول هنا يشير إلى أن أحمد بهاء الدين كان أحد المثقفين القوميين، الذين انفقوا سنوات حياتهم من أجل تأكيد هذا الانتماء، وله إسهامات مؤكدة، خاصة إبان فترات المد القومي الضال في الخمسينيات، إذ كان يرى ويكتب في هذا اللون ، يؤكد على أن القومية تملك الكثير من الروابط التي تشير

إلى المصير العربى المشترك. كذلك كان دائم الربط طيلة الستينات بين معنى القومية العربية وضرورة الاستقلال وشروط المثقف التقدمى، وربط ذلك كله بالتنمية، والحرص على القيم الديموقراطية، والتنبه إلى الخطر الخارجى، بيد أنه بدء من السبعينيات كان قد وصل إلى قمة النضج القومى حين تهيأت- فى الجانب الآخر- عوامل الانكسار للمد القومى خاصة مع زيارة السادات للقدس وسلسلة التحالفات العربية التى توالى..

ونستطيع أن نتمهل عند عوامل القومية العربية فى نموذجى التحليل الاتيين (١، ٢) لنرى إلى أى مدى مثلت هذه العوامل مؤثرات هامة فى فكر أحمد بهاء الدين.

إن أهم العوامل التى استحوذت على مفهوم القومية لديه، عامل الإقليم المتصل، والذى لا يتصل بغيره بشكل مباشر وإن كان لا ينفصل عنه، فهذا العامل حصل على أعلى نسبة تكرار (٥) بنسبة مئوية تصل إلى ٤٦. ٢٨٪، كما حصل عامل التاريخ إلى (٣) تكرارات بنسبة (٢٢٪) تتوالى بعدها بقية العوامل بنسب متساوية كاللغة والتراث والأرض والتراث والعقيدة لتصل فى كل منها وحدة الفكرة إلى بنسبة ٧٧٪.

وهو ما يستوجب التوقف أكثر عند عدة استنتاجات :

(١) يلاحظ أن المعنى المتطور للقومية يصل إلى أقصاه عند

أحمد بهاء الدين إذ أنه رغم وجود عامل العرق أو الجنس في أدبيات تطور القومية، فإن التطور الحديث، النابع من فهم التطور القومي العربى بوجه خاص (ساطع الحصرى مثالا) لا يرى أن العرق يمكن أن يدخل كعامل مؤثر قط في الفهم القومى، إذ أن اللغة والتاريخ كانا أكثر ما يميز رواد الفكر القومى العربى وفى مقدمتهم الآن بهاء الدين .

ومراجعة أدبيات الفكر القومى عندنا تؤكد ذلك ولا تنكره..

(٢) يسود عامل (الإقليم المتصل) نسبة كبيرة من العينة، وهو ما يعود إلى قناعة خاصة لدى الكاتب من أن اعتزاز أى قطر عربى بقطريته لا يتنافى -قط- مع انتمائه العربى، راح يردد ذلك فى زيارته الكثيرة للأقطار العربية، خاصة، فى حقبة السبعينات حين فرضت ظروف كثيرة على مصر أن تنفصل -ظاهريا- عن محيطها العربى أثر اتفاقية كامب ديفيد فى النصف الثانى من هذا العقد، فعروبة مصر لم تكن لتمثل أى موضوع للبحث أو أى محل لتساؤل، وليس الجدل- كما كان يردد- بين مصر العربية وبين مصر غير العربية، ولكنه حول حدود (الدور) المصرى الجديد فى هذه الفترة.

وعلى ذلك، فإن قضية (الإقليمية) لديه لم تسيطر على قضية العروبة، فعروبة مصر لم تعد فى محال التساؤل (وقس على ذلك عروبة العراق وسوريا.. الخ) حين يهتم القطر العربى بالحدود

السياسية خاصة فى فترات الأزمات الكبرى فى تاريخنا..

(٣) ويرتبط بذلك الفئة التالية التاريخ إذ أن من أهم أسس الوحدة العربية لديه كان وحدة التاريخ، ذلك لأن «تاريخنا المشترك الضارب فى القدم، قد جعل بين هذه الشعوب العربية وشائج وروابط تجيء ظروف العصر الحديث لتوقظها وتدعمها لالتضعفها»

وقد كان واعيا بذلك إلى أن ما يسهم فى ذلك هذه الطفرة الحضارية المعاصرة حيث زال الاستعمار وجاءت ثورة الاتصالات والمعلومات وبالتحديدات العصر الحديث التى تفرض ارتباطا بتاريخنا، التكامل والاتحاد .

ولأن أحمد بهاء الدين كان مغرما بالتاريخ الحديث، فقد كان دائم ضرب الأمثلة به لتأكيد قيمة هذا التاريخ فى التقارب، وأثره فى استراتيجية كل إقليم على حدة، وهو يتمهل فى ذلك عند هذه القضية البديهية حين يقول إنه إما أن هناك مصر قوية، فهى أمنة وعلى علاقات متينة مع المشرق.. وإما أن هناك مصر ضعيفة، فهى مقطوعة الصلة مع هذه المنطقة إلى غير ذلك مما يبرهن به على أهمية التاريخ- ايجابيا- فى هذا الصدد.

(٤) ربما لا يقل أهمية عند بهاء الدين عامل اللغة عن عامل التاريخ، فهو لا يذكر ما يسميه عناصر القومية الواحدة كوحدة

التاريخ وتشابه التكوين النفسى والمصلحة المشتركة إلا ويذكر معها اللغة .

إن اللغة المشتركة هي أهم عامل في التراث المشترك- كما يردد- بل إن لها أثر فادح في خلق نوع من الانتماء لدى الفرد. حتى لو تعارض ذلك مع الجغرافيا كانت ظاهرة وحادة متسائلا، : فما بالنا اذا كانت الجغرافيا في حالة العرب تضعيف إلى عناصر القوة اللغة..

(٥) واللافت للنظر هنا أن تكرار العقيدة عنده يكاد يأتى مرة واحدة في عقد السبعينات، بيد أن مراجعة (مشروعه) الفكرى قبل ذلك وبعده يؤكد أنه يفهم العقيدة بشكل متقدم جدا، وهو الشكل الذى تردد، وإن يكن قليلا، في أدبيات القومية في تطورها الحديث.

إنه لا يتردد في القول إن الإسلام له من الأهمية بحيث يفوق عامل العروبة في حد ذاته، غير أن الإسلام هنا ينصرف إلى ذلك التراث الضخم القوى الطويل، إذ أن هذا التراث-على قوله- «هو تراثه الذى يفكر به ويكتب بلغته، ويتأثر بالكثير من عاداته».

وهذا الفهم ينطوى على باعث توحيد لاتفريق، نابع من الوعى القومى المرهف لصاحبه وهو ما يتضح أكثر حين يذكر فى ذلك

التراث المشترك والأرض الواحدة والمصلحة الاقتصادية، وما إلى ذلك، مما يتنبه معه إلى أهمية هذا التراث الضخم الذي لا يتوقف عند الإسلام كعقيدة وحسب وإنما إلى كونه مشروعا حضاريا رحبا يمكن أن يكون - في حالة فهمه - عامل توحيد وتكامل .

(٦) وهذا كله يصل بنا إلى أن تكرار الفكرة، سواء في تكوينها لعوامل أو عناصر لا تلبث أن تمضي في السياق الأخير إلى فكرة واحدة، تتكرر فيها بعض الفئات أكثر من غيرها .

(يلاحظ أن العوامل الثلاثة الأولى : الإقليم والتاريخ واللغة) تستحوذ على ضعف التكرارات الباقية) غير أننا لانستطيع أن نتعامل مع عامل دون عامل آخر فتقدم منه ونتخذه معيارا جوهريا في التحليل .

واستحواذ التكرار الأول على (٥) فئات تشير - فقط - إلى أزمة (عروبة مصر) التي أثّرت في السبعينات لظروف طارئة، وزالت بزوال الأزمة، خاصة أن مفكرا مثل أحمد بهاء الدين كان يتعامل مع تجربة الوحدة العربية بخبرة طويلة.

كان قد شهد التجارب الوجدية في الخمسينات وشهد انتكاساتها أو انبعاث بعضها بشكل مؤقت في الستينات، بدءاً من تجربة الوحدة بين مصر وسوريا والعراق-٦٣، والخطوات

التي اتخذت في عام ٦٤ للوحدة بين مصر والعراق، بل ومشروع الوحدة الليبية المصرية في بداية السبعينات قبل حرب ١٩٧٣ .

وعلى ذلك فإن عدد التكرارات أو ترجماتها لايحول دون فهم الوعي القومي في إطاره العام عند أحمد بهاء الدين .

وبهذا التصور لانستطيع الاقتراب أكثر من هذا الوعي القومي دون التمهّل عند عوامل الدولة العصرية أو رموزها في هذا التحليل وهو ما يصل بنا إلى المحور التالي .

الجدول رقم (١)

فئة تاريخ	الصحيفة			القومية العربية							
	أ	هـ	م	اللغة	التاريخ	التراث	الأرض	الاقتصاد	العقيدة	الإقليم	ملاحظات
٧٩/٤/٣		/	/	١	+					+	اعتماد عدد واحد مرجعه
٧٩/٨/٤	/			٢						+	إلى أعمال الرئيسة
٧٥/١١/٩	/			٣	+					+	السياسية للمباحث في هذا وهذا
٧٨/٤/٧	/			٤							يرتبط إلى حد بعيد
٧٨/٥/٧	/			٥	+	+	+	+	+	+	بمفكرة القومية المصرية التي طرحت بشكل سياسي
٧٨/٧/٧٢				٦						+	لاقتالي إبان انقلاب كامب ديفيد.
الجملة					٣	١	١	١	١	٥	

الجدول رقم (٢)

الفئة	تكرار	نسبة مئوية
١- الإقليم	٥	٣٨.٤٦٪
٢- التاريخ	٣	٢٣.١٪
٣- اللغة	١	٧.٧٪
٤- التراث	١	٧.٧٪
٥- الأرض	١	٧.٧٪
٦- الاقتصاد	١	٧.٧٪
٧- العقيدة	١	٧.٧٪

الدولة العصرية

كان أحمد بهاء الدين أكثر من غيره من القوميين تنبها إلى أن تحقيق القومية العربية الآن يختلف عنه فيما مضى، فالإلى جانب أنه كان يشهد تحولات في موازين القوى العالمية من انتهاء الأيديولوجية وانحسار أثر الحرب الباردة، فإن الثورة العلمية شهدت طفرات عالية.

ومن هنا أصبحت (الدولة العصرية) من أهم مداخل المثقف القومي إلى قومية عربية تحيا في نهايات القرن العشرين، هذه الدولة بكل ما فيها من دعوة للعقل وحرية الرأي وصور الاجتهاد

والشورى... وما إلى ذلك.

لقد كان ثمة علاقة أكيدة نامية الآن بين تطور القومية وشروط قيامها، خاصة أنه كان واعيا إلى أن مراجعة التجربة الأوروبية كانت تشير إلى أن صعود التشكيل القومى هناك ارتبط بتطور العقل على حساب الكنيسة والقوى التقليدية، ورغم أن الخلاف كان قائما بين طبيعة التجريبتين: الإسلامية والغربية، فقد كان القسم المشترك بينهما هو التطلع العقلى والقومى اللذان يسيران فى خط واحد ليصوغا فى نهاية الأمر صورة (الدولة القومية العصرية) .

وهو ما يفسر أن التطلع للنضج القومى كان يرتبط-بالقطع- بالتطلع لأفكار العصر، بل أن رصد كتابات بهاء الدين منذ فترة مبكرة يؤكد وعيه بذلك، فقد تحدث فى منتصف الستينات عن (الفجوة الحضارية) بيننا وبين العدو اليهودى- الغربى.

وكان أول من تحدث ولم تمض أسابيع على هزيمة ٦٧ عن (الدولة العصرية) ووصل إلى قمة الوعي بلاقطيعة المعرفية بيننا وبين الغرب فى الثمانينات .

وتحليل بيانات الجدول رقم (٣) يرينا عناصر (المشروع الحضارى) لديه، وهى عناصر وإن يمكن فهمها فى إطار هذا المشروع فهى لم تخرج عن قضايا العقل والحرية، وهى الفئات

التي تمثل الفئات الرئيسية في هذا التحليل .

الجدول رقم (٣)

فئة	الصحيفة			الدولة المصرية							تاريخ
	م	خ	ص	لجنة	المرأة	الشعبي	الاجهاد	الثلاث	العقل	م الرأي	عائلة
٨٢/٧/٣٩	/			١	+						+
٨٢/٤/١	/			٢	+						+
٨٢/٨/٢	/			٣							+
٨٢/٨/٣	/			٤		+			+		+
٨٢/٨/٩	/			٥	+			+			
٨٢/٨/١٠	/			٦	+				+		
٨٢/٨/١١	/			٧	+				+		
٨٢/٨/١١	/			٨				+			
(١)٨٥/٦/١٨	/			٩			+		+		
(٢) ٦/٩	/			١٠							
٦/١٠	/			١١							
٦/١١	/			١٢							
(٣)	/			١٣	+	+					
(٤)	/			١٤							
(٥)	/			١٥			+				
(٦)	/			١٦			+				
(٧)	/			١٧			+				
(٨)	/			١٨			+				
(٩)	/			١٩	+		+				
(١٠)	/			٢٠			+				
(١١)	/			٢١							
(١٢)	/			٢٢							
(١٣)	/			٢٣							
(١٤)	/			٢٤							
(١٥)	/			٢٥							
(١٦)٧/١٢	/			٢٦	+						
(١٧)٧/٢١	/			٢٧	+						
٧/٢١	/			٢٨	+						
٥/٢٩	/			٢٩							
٦/٢٢	/			٣٠							
٧/١٤	/			٣١							
(١)٨٧/٦/١٠	/			٣٢							
(٢) ٦/١١	/			٣٣							
(٣) ٦/١٢	/			٣٤							
(٤) ٦/١٣	/			٣٥							
(٥) ٦/١٤	/							+			
(٦) ٦/١٥	/							+		+	+
(٧) ٦/١٦	/										

تابع الجدول رقم (٣)

تاريخ	هـ	خ	ص	الدولة المصرية						
				فجوة	المرأة	الشوري	الاجتهاد	القرآن	العقل	م الرأي
١٧/١٧ (أ)	/			٣٦				+		.
١٨/١٨ (٩)	/			٣٧			+	+		
١٩/١٩ (١٠)	/			٣٨						
٢٠/٢٠ (١١)	/			٣٩						
٢١/٢١ (١٢)	/			٤٠						
٢٣/٢٣ (١٣)	/			٤١			+			+
٢٣/٢٣ (١٤)	/			٤٢		+	+			+
٢٤/٢٤	/			٤٣		+	+			+
١٨/١٨ (١٥)	/			٤٤		+	+			
٢٥/٢٥ (١٦)	/			٤٥						
٢٦/٢٦ (١٧)	/			٤٦						
٢٧/٢٧ (١٨)	/			٤٧						+
٢٨/٢٨	/			٤٨						
٢٩/٢٩	/			٤٩						

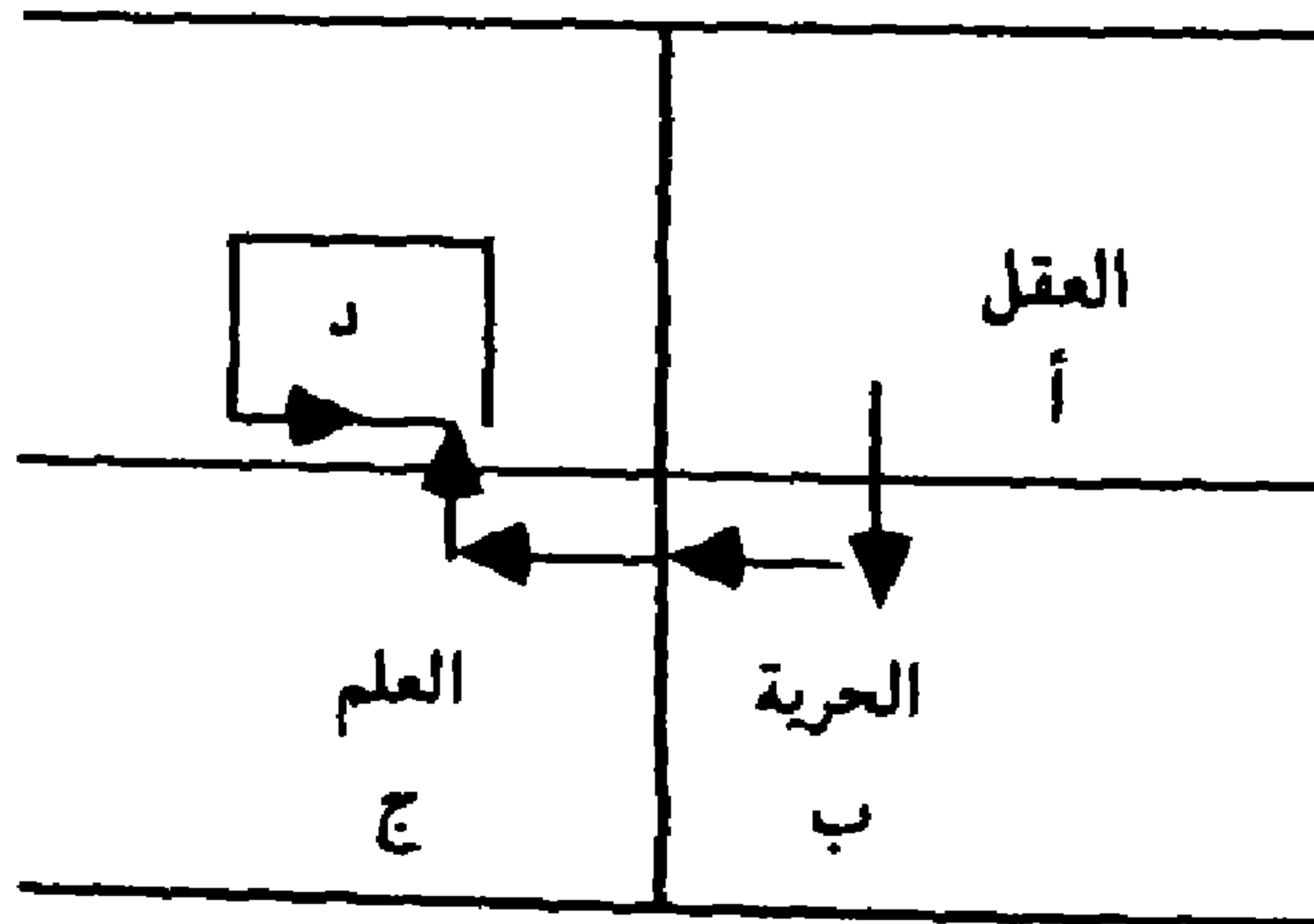
(*) رقم يوميات الكاتب بجريدة الاهرام كما عدد إلى تسجيلها .

وبتحليل هذه التكرارات إلى نسب مئوية كما نرى في لجدول
(٤) يصل بنا إلى عدة استنتاجات هامة :

الجدول رقم (٤)

نسبة مئوية	تكرار	الفئة
١٢.٣	٧	- الفجوة الحضارية
١٤.٣	٨	- المرأة
٣.٤	٢	- الشوري
٢٣.١	١٢	- الاجتهاد
٧.٢	٤	- القرآن
١٢.٤	٧	- العقل
١٧.٨	١٠	- حرية الرأي
١.٧٣	٦	- الخرافة

والبيانات توضح لنا أن عامل الاجتهاد كان أكثر ما حصل على عدد التكرارات وصل إلى ١٢ بنسبة ٢٣.١، وتتوالى التكرارات التي لاتخرج جميعها- كما أسلفنا- عن عناصر العقل والحرية في الدولة العربية العصرية التي يريدها . فنحن أمام تكرارات حرية الرأي ١٠ (٨، ١٧) ثم قضية المرأة بواقع ٨ بما يصل إلى نسبة ١٤.٢، يلي ذلك الدولة الحضارية والتراث ونفى الخرافة والعقل والشورى في تكرارات متقاربة أو متفاوتة. ونستطيع أن نستعيد كل العناصر في مصفوفة تمثل العنصر فيها الخانة الذي يلتقى فيه وعيه الحضارى.



وهو ما يصل بنا إلى تفسيرات متوالية:

- ١- تستطيع أن تمضى قضايا العقل في خط رأسى مع رموزها (الاجتهاد، الشورى، المرأة) حتى إذا ما جاوزت الخانة (أ) إلى الخانة (ب) تكون قد وصلت إلى قضايا الحرية (حرية

الرأى كمثال) ، ويمضى الخط الأفقى إلى الخانة (ج) ليتمهل
عند شروط الدولة العصرية ، وهى الخانة التى يتبلور عندها
المشروع العربى العصرى ..

فى هذا السياق نصل إلى استنتاج آخر :

٢- إن قيمة العقل أكثر ما يحرص عليه أحمد بهاء، فرغم أن
النسبة لاتزيد على ١٢.٤٪ من الفئات، فإنه يلاحظ أنها تلقى
بظلمها على أغلب الفئات الأخرى، إذ يمكن بإضافة فئة الاجتهاد
٢٢.١ إليها نكون قد وصلنا إلى ما يقرب من ثلث النسبة
المئوية العامة، إذ ينطوى تحت ذلك الكثير من القضايا التى
تمتد إلى التاريخ الإسلامى وتعود إلينا كما هى بحجة قدسيتها.

ويلاحظ فى هذا السياق أن أحمد بهاء الدين لم يكن ليقاطع
التراث الإسلامى، بل كان يؤمن أن للعقل الإسلامى مساحات
شاسعة واقتدار فى فهم العديد من المعانى القائمة فى النص
(المقدس) فى (اجتهاد) الإنسان العربى المعاصر، وقد كان
أكثر ما يلاحظ فى هذا الخصوص تركيزه على ما يسمى بقضية
(المصالح المرسلة)، أى المصالح التى لم تعتمد على نص فى
القرآن مما يمكن معه استخدام العقل، الاجتهاد المتنور فى
التعامل معها، فهذه النظرية التى وجدت من أيام الرسول-ص-
تتفوق الآن على نظريات القانون الوضعى وهو ما يقوم معه على
الاجتهاد واستخدام العقل (الفوضى) بحثا عن المعانى الكامنة

فى النصوص وهى تعطى للعقل حقه.

٣- وما يقال عن العقل فى الاجتهاد يقال فى عديد من القضايا التى تزيد من رصيد العقل وأهميته مثل قضية الشورى (الديموقراطية) التى تجد لها لديه نسبة مئوية تصل إلى ٤٠ ٪ وقضية تحرر المرأة ٣٠ ٪ بكل ما فيها من قضايا طبيعية وفقهية، فمنذ فترة مبكرة- فى الستينات- كان قد رفض مقولات مشايخ الإسلام البارزين مثل الشيخ (أبو زهرة) حول المرأة (أخبار اليوم ١٩/٨/١٩٦١)، بل تحدى العقاد على صلابته فى مواجهة خصومه وعنفه فى مثل هذا المجال (انظر كتابة: مبادئ وأشخاص) ثم استأنف فى منتصف الثمانينات هذا التحدى، وإن بدى أسلوبه هادئ أكثر فتعرض لقانون الأحوال الشخصية، وأبدى تأييده له صراحة، ثم عرض لأكثر من يومية لنصيب (البنات فى الميراث) أثناء تعرضه لضريبة التركات، وكان من الطبيعى أن يعرج، فى قضية الاجتهاد إلى التراث الإسلامى، فأبدى وعيا كبيرا فى ضرورة استلهامه وليس نقله، بل إعادة النظر إليه فى مخبار العقل، وفى حضور النصوص المتفق عليها (حصل التراث على نسبة ٢٠ ٪).

٤- وتفرع عن ذلك قضية (الحرية) إذ كانت تمثل المصفوفة الثانية مباشرة (الأولى هى العقل)، ويلاحظ أن حرية العقل لديه حصلت على نسبة ٨٠ ٪.

والواقع أن حرية الرأي كانت تستحوذ لديه على اهتمام خاص، من قناعة مؤداها أن الحوار المتواصل أكثر ما يقرب- إذا توفر له حسن النية- إلى الاقتناع بوجه الحق. ونجد هذا لديه في كثير من كتاباته، ففي حقبة الثمانينات ارتفعت نبرة الإقناع بالحوار إلى مصاف القيم الإنسانية الكبرى، نجد هذا في عدد من التكرارات التي تشير إلى أسلوبه في التعامل مع قضية الإرهاب مع بعض المتطرفين أو بعض الإسلاميين المعتدلين، أو في مواجهة تكفير أصحاب الفكر (العلماني) أو في قضية إعادة النظر إلى التاريخ الإسلامي والتعامل بحذر مع بعض مرويّات التراث الذي قد تحسب على الإسلام.. وما إلى ذلك.

٥- لانستطيع التوقف عند العلم دون الإشارة إلى مشروعه في (الفجوة الحضارية) ونقص المعلوماتية في العصر الحديث، إذ أولى هذه الفئة عناية قصوى خاصة في الفترة الأخيرة من حياته، لقد بذل جهدا كبيرا لتأكيد أن الفجوة الحضارية (نسبة ١٢.٣) وبقاء الخرافة (١.٧٢) أكثر ما يعوق بناء الدولة العصرية العربية .

كان يؤكد أن القيم التي تقوم على العلم (لا الخرافة) هي التي أنتجت المجتمع المتقدم، وهذا المجتمع هو ما يجب البحث عنه، والسعى إليه لعيش في عصرنا، بل كان يرى أن (العصرية)

لم تكن لتتعارض مع القيم والعادات الاجتماعية الموجودة في المجتمع، وبذلك ، فقد كانت الدولة العصرية بمعناها العلمى لديه قضية أمن قومى وليست قضية بقاء فقط.

وبدئى أن ذلك كله لم يكن فى الهواء، بمعنى أن تأكيد قيمة العقل والدعوة إلى العلم ونبذ الخرافة وحرية الرأى.. وما إلى ذلك كأن يكون (المشروع السياسى) الذى يلقى فى تيار الحضارة العربية التى يجب أن تبعث فى هذا العصر..

ويلاحظ كذلك أن القضية الديمقراطية- على سبيل المثال- ارتبطت بقضية القومية العربية، بل كان مما يعوق الوحدة العربية عدم فهم الشورى أو السعى إليها كما يجب، ومن هنا، تولدت قناعة ذاتية لديه مؤداها أنه لايمكن أن توجد حالة تنمية سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية دون تحقيق الوحدة، وفى حالة تحقيق الوحدة العربية يمكن صيانتها بتأكيد قيم الديمقراطية وحرية الحوار.. وما إلى ذلك.

فالديمقراطية اذا تحققت يمكنها أن تسهم فى بناء القومية العربية، أما إذا سبقتها الوحدة العربية ، فلا بد أن تنجب أهم رموزها السياسية.

وبهذا يتأكد لنا أن مشروع أحمد بهاء الدين الذى تم تفكيكه الآن يؤكد - فى حالة إعادة تركيبه- على أن تحقيق القومية

العربية يرتبط ارتباطا أكيدا بمقدمات (الدولة العصرية) وهى المقدمات التى تتحدد فى العمل لبناء عصر التنوير بناء صحيحا وإيجابيا.

وقد يكون من المفيد أن نشير هنا أن بهاء الدين لم يغفل البناء الاقتصادى فى (مشروعه)، إنما كان يرى منذ فترة مبكرة، إنه لايمكن أن يقوم هذا البناء فى غيبة تقاليد عصرية واعية ، فتطور أية قضية علمية مرتبط ارتباطا كبيرا بالتنمية الاقتصادية.

وبذلك ، فإن البناء الاقتصادى يظل مرهونا بالوعى الفكرى والسياسى الذى يمكن أن يمهّد له ويسهم فى إقامته.

الهوامش :

(*) دراسة بعنوان (أحمد بهاء الدين/ سيرة قوية)

(**) استفدت من منهج تحليل المضمون: أنواته وليست فلسفته العامة، وهو ما يعود إلى صياغاتي الخاصة لعدد من أنوات المناهج الأخرى ومحاولة الإفادة منها مع غيرها (انظر المنهج الخاص فى كتابي: البنية الشعرية عند فاروق شوشة، هيئة الكتاب ١٩٩٢) .

وقد كانت العينة التى أفدت منها هنا هى الكم الهائل من المقالات والكتابات والكتابات واليوميات لأحمد بهاء الدين (عشوائيا) مما يؤكد فروضى ويبرهن عليها، ولم تبعد المادة قط عن فترتى السبعينات والثمانينات..

كذلك من وحدات تحليل المضمون اخترت (وحدة الفكرة) كوحدة تحليل ولم اعتمد إلى شواهد أو مجتزئات كثيرة مؤثرا أهم المقالات التى اعتمدت عليها هنا.

أحمد بهاء الدين

ومدرسة صحفية جديدة

مصطفى نبيل

صدرت مجلة «صباح الخير» في ١٢ يناير عام ١٩٥٦. وكانت قفزة كبيرة في تطور الصحافة المصرية، قام بها الأستاذ أحمد بهاء الدين أول رئيس تحرير لها، وهو شاب في التاسعة والعشرين من عمره، ومشروع المجلة جاء وليد أفكاره وجزءا من تصوره..

وظهرت «صباح الخير» صيغة صحفية مبتكرة، وإيذاناً بظهور مدرسة صحفية جديدة في مادتها وشكلها، ونجحت هذه الصيغة في جذب جيل جديد، بعثت فيه روحا جديدة، وقدمت له رؤية طازجة لمصر والعالم من حوله، وجذبت للعمل فيها فريقا عفيا، يحمل مفاهيم وقيما جديدة، ويتصدى لأفكار قديمة بالية ..

وجاءت المجلة الجديدة ، فى مرحلة تاريخية خاصة، وعصر
تزدهر فيه الأفكار وتزداد فيه الحركة، إعلان الجمهورية،
الإصلاح الزراعى، خروج الانجليز، ثم تأميم القناة وحرب
السويس، وانفجرت فيه الأحلام التى تراكمت طويلا وحبست
وحان إنطلاقها، وحملت المجلة هذه الملامح التى تمثلت فى
الإهتمام بالبعد الاجتماعى والثقافى وعدم الإقتصار على الجانب
السياسى، وكانت المجلة رائدة وداعية للعديد من الأفكار التى
رسخت فى الأرض مع الأيام، فكانت أحد رواد الفكرة العربية..

وكما كانت جديدة فى أفكارها عبرت عن هذه الأفكار
بأشكال فنية جديدة، وأبواب جديدة أيضا، تعتمد على اللوحة
بدلا من الصورة الفوتوغرافية، وتعطى للكاريكاتير مساحة
واسعة للنقد الاجتماعى والسياسى، وتبنت المجلة أسلوبا جديدا
هو السهل الممتنع، تعالج به أعقد الموضوعات بأسهل
العبارات، وتقتحم الموضوعات الجادة بروح ضاحكة وأحيانا
ساخرة، وتنأى عن اللهجة الوعظية والخطابية.

ونجح الفريق الذى قاده أحمد بهاء الدين، والذى كان يؤكد
أنه ليس أكثر من مايسترو يضبط الإيقاع، نجح فى الوصول
إلى أجيال جديدة وابتكار أفكار ومفردات تسلك إلى حياتنا ،
وتأثرت بها لغة السينما وكلمات الأغانى..

وانعكست هذه الروح الجديدة على أعمال كثيرة، أبرزها

رسومات صلاح جاهين، وشعر صلاح عبد الصبور، وتماثيل آدم حنين وقصص يوسف إدريس ومسرح ألفريد فرج وأغانى عبد الحليم حافظ وموسيقى كمال الطويل وسينما توفيق صالح..

وصاغ كل ذلك فى شكل بديع عبد الغنى أبو العينين على صفحات المجلة، فلم يكن يكفى الفكر الجديد، بل ويجب أن يُخرج هذا الفكر إخراجا جيدا لم تشهد الصحافة العربية من قبل.

وإذا كان طه حسين والعقاد والحكيم وأم كلثوم ومختار نتاج ثورة ١٩١٩، فقد كان ظهور هذا الفريق نتاج ثورة ١٩٥٢ وما فجرتة من أحلام .

لذا كانت من سماته رؤية نقدية للواقع وللمدارس الفكرية والأدبية المختلفة، وقدرة كبيرة على التقييم والتبشير والتحريض على كل ما هو طازج وجديد..

*** التواصل مع المستقبل**

واستطاع بهاء وهو الكاتب الذى يملك حرارة ما يعتنقه أن يتواصل مع المستقبل، ومع الأجيال الشابة والأفكار الحية، وظهر معه وبه تيار يطمح إلى بناء دولة عصرية تقوم على العدل والحرية .

وأخذ قلم بهاء يبيث الوعي بمجتمع جديد خال من القهر، قهر

الحاكم للمحكوم أو قهر الرجل للمرأة أو قهر الأغلبية للأقلية.
فرسالتة وقلمه هما حياته، اتسمت معالجاته بالتفكير الشمل في
الحياة والمجتمع .

وجعل الحوار وتبادل الأفكار بين المدارس المختلفة هو
الوسيلة الوحيدة لزيادة الوعي واتساع المعرفة، وقدم أحمد بهاء
الدين التيارات الفكرية والأدبية التي تحدث في العالم، وأصبحت
«صباح الخير» جزءاً من الثقافة العالمية.

ومن يقرب «صباح الخير» في هذه الفترة يلاحظ إهتماماً
مبكراً بالفكرة العربية وإهتماماً واسعاً بمعالم الحياة العربية،
ومتابعة دقيقة لظروف العالم العربي ، ويتضح له أن مشاكل
الجيل الجديد في مصر، هي مشاكل الجيل الجديد العربي،
نفس المشاعر ونفس الأفكار ونفس المصاعب والأزمات .

ف رئيس التحرير أحد رواد الفكرة العربية وهو من القلائل
الذين نفذوا إلى قلب وعقل القراء، فهو قارئ ممتاز ينتقى كتبه
بمهارة ويتعامل مع الناس كما يتعامل مع الكتب، يلتقط أفضل
المحيطين به ..

القراء تحت الثلاثين

كتب بهاء في العدد الأول لميلاد صباح الخير.. عندما صدر
العدد الأول من المجلة قلبها صحفى عجوز، ثم ابتسم قائلاً: لن

تأخذ هذه المجلة إلا القراء الذين يقلون عن ثلاثين سنة من العمر، وقلنا أيامها إنها بشرى مستقبل عظيم ينتظر «صباح الخير»، فهي مجلة ربطت مصيرها بالشباب، أى ربطت مصيرها بالمستقبل..

وأثبتت الأيام أن للشباب معنى آخر غير معنى العمر، وكسبت صباح الخير قراء جددا.. تختلف أعمارهم ولكنهم يتمتعون جميعا بالشباب شباب القلب والعقل والروح.

قلنا: إننا تصورنا ونحن نضع مشروع المجلة: أسرة فيها الأب والأم، وفيها الشاب والشابة والفتى والفتاة فى المراهقة، وهدفنا أن تكون المجلة صوتا يخاطب كل هؤلاء .

وعالجت «صباح الخير» مشاكل العلاقة بين الزوج والزوجة، بين الآباء والأبناء ، وبين الشباب والشابات، وعلاقة هؤلاء جميعا بالوطن والعالم.

وفى الرسوم الكاريكاتورية أيضا، لم تلجأ صباح الخير إلى مواضيع الكاريكاتير المطروحة. ولم تلجأ إلى موضوعات أجنبية، إنما اتجه الكاريكاتير مع القلم نحو المناخ المحيط بنا.. ولم تكن رسالة «صباح الخير» أن تقدم الأنباء إنما توضح معنى الأنباء، وهى تقدم لك التفسير والتوضيح، والقصة والصورة الشخصية والتزمت بالأسلوب العلمى الموضوعى لا

الأسلوب الشخصى..

وهى حريصة على أن تربطك بالعالم الخارجى كله، فالعالم اليوم يتشابك ويتقارب، والحادث الذى يقع فى الهند اليوم يؤثر فىنا غدا..

وإذا كانت هذه هى رؤيته عام ١٩٥٧، نجده بعد حوالى ربع قرن يكتب فى عيد ميلاد صباح الخير الرابع والثلاثين قائلا: «إنها أكبر بناتى، وأول بناتى، وهى بنت لا تكبر ولا تتغير..

بعدت عنها، والرئاسات فى المجلات والصحف تتبدل من داخلها ومن خارجها أغلب الوقت، ولكن صباح الخير إنفردت بأنها دائمة فى عصمة أبنائها الذين شاركوا فى إصدارها من اليوم الأول أو ولدوا فيها : حسن فؤاد، صلاح جاهين، لويس جريس، فهى مجلة الشباب الوحيدة التى عاشت هذا الزمن، وعاشت شابة رغم كثرة محاولات إصدار غيرها من مجلات الشباب، فقد أمنت من يومها بالأول بالحرية، والحرية هى أكسجين الشباب الوحيد وليس أى هواء آخر ملوث أو مزيف فى العقل والقلب معا..

* أيام بلا تاريخ

وعلى صفحات «صباح الخير» بعض ملامح شخصية أحمد بهاء الدين كما عبر عنها، فهو أحد أكثر المثقفين اهتماما

بالألوان والأنغام، بالمسألة السياسية، والمسألة الاجتماعية معا، وهو يقدم السر على صفحات بلون خاص في «صباح الخير» يكسر بكتابتها العزلة بين الكاتب والقارئ، عندما يرسم بقلمه صورة شيقة عن تكوينه وحياته وطبعه، تحت عنوان «أيام بلا تاريخ».

ويبدو من خلال شاب رقيق، يميل إلى الهدوء في كل شيء، ويحب الجمال، عكف على المعرفة، هوايته الوحيدة القراءة، لم يذهب في صباه إلى أية رحلة مدرسية، ولم تتركه أمه يلعب مع بقية الأطفال، فهو الابن الوحيد لأربع شقيقات تهاجمه الذكريات عن وفاة خالته، ويتأمل حياته بعد أن فقد من كانت له بمثابة الأم الثانية..

« فقدت أمي وأنا في العاشرة، ولم تكن بالنسبة لي أما عادية، كنت إبنها الوحيد بين إخوات من البنات، وكأى أم شرقية، وضعت كل حياتها وحنانها للإبن الوحيد، أحلامها وهمومها وقلقها وفرحها وعملها، وكان من الطبيعي ألا يبقى في حياتي مكان لشيء آخر سواها، فهي التي تعد لي طعامي ولبسي، وتشرف على مذاكرتي وتصحبني إلى السينما..

كانت تخاف على إلى درجة جعلتها ترفض أن أخرج مع أحد أصدقائي أو أَلعب في الشارع أو في فناء البيت، فمرت طفولتي ومر صباي دون أن أعرف ما يعرفه الأولاد، فكانت كل ألعابي

فى البيت.

اللحظات التى كنت أفترق فيها عنها هى تلك التى كنت أقضيها فى المدرسة، إذا تأخرت جاءت إلى المدرسة تبحث عنى..

ثم ..ماتت فجأة. وكانت فوق الثلاثين بقليل وهى أصغر أخواتها، كان إختفاؤها من حياتى أول صدمة لى سيطر على شهورا طويلة بعد فقدانها بأن الحياة أصبحت بلا معنى.

وقد بكيت ومرضت وحزنت ثم هدأت، وبقي معى شعور عميق بالوحدة وحدة ألقاها هذا الحادث فى نفسى كالبذرة التى لم تلبث أن أورقت وأصبحت لها ظلالها الكثيفة، كبرت وتعلمت وسافرت واشتغلت، ولكنى كنت أجد الناس مهما امتزجت بهم منفصلين عنى..

فكان لأمى أخوات، ماتت الواحدة بعد الأخرى، وعاشت لى إحداهن، كانت أقربهن شبيها بأمى، وكنت كلما رأيتها شعرت برائحة الأم تهب على.. وفقدت هذه الأم الأخيرة..

*** ملأزم الفراش**

ويتحدث فى مرة أخرى عن إعتلال صحته الدائم..

إن نومي قلق، والشئ الوحيد الذى أتغلب به على السأم هو القراءة، ولا أنكر أن قوتى الجسدية متواضعة.. والمحرر اليوم

لا يحتاج إلى فصاحة فقط، ولا إلى أذن حساسة فقط، ولا إلى ذوق فى الإخراج فقط، إنه يحتاج إلى إطلاع متشعب أخذ للبصر مرهق للأعصاب على أحدث الكتب والصحف العالمية..»

ويكتب عن يوم عطلته.. «إننا نحن المصريين لانعرف يوم الأجازة.. البيت المصرى يعد يوم الأجازة يوم نوم وكسل ووخم ومشاجرات عائلية، أما فى الخارج فيوم الأجازة يوم نشاط، الأسرة تستعد طول الإسبوع لى تغير روتين حياتها، فتخرج وتتنزه وتلتقى مع غيرها.. أما فى مصر ، فيوم الجمعة يوم كساد الصحف .

* الظاهر والباطن

وفى إحدى المداعبات بين الكتاب التى تعرض لها بهاء، أطلق عليه كامل الشناوى تشنيعته، بأنه إنسان منظم جدا، قسم أيامه طبقا لجدول دقيق، يوم للعمل ويم للمجاملة ومقابلة الأصدقاء ويوم للعوالف يحب فيه ويفرح ويتعذب.

يكتب بهاء عن الخلاف الكبير بين الظاهر والباطن.

«الغريب أن أكثر الناس يعتقدون أننى إنسان منظم ومرتب جدا، مع أننى عكس ذلك، والمأساة الكبرى فى حجرتى كثرة الكتب ورفوفها المتصاعدة، وكل رف جديد معناه فوضى جديدة، فحتى فى قراءتى غير منظم أقرأ قراءة متقطعة فى عدة كتب

دفعة واحدة، وفي الليلة الواحدة،.. ولا أخرج كتابا ثم أعيده إلى مكانه..

وكثيرا ما أدفع ثمن هذه الفوضى باهظا، عندما أبحث عن شيء أريده فلا أجده، فأدراج كتيبى كلها مخصصة لكل شيء وكثيرا ما أكتب ما أحب تسجيله ولا أضعها فى المكان المخصص لها، وعندما أحتاج إليها لا أعثر لها على أثر كأن ريحا عاتية قد حملتها إلى مكان مجهول.

وعندما أسافر أذهب بحقيبة مرتبة منسقة أعدت لى بنظام، وأعود بحقيبة مهوشة أقرب إلى صناديق الزبالة العمومية!

وعندما يسافر أهلى إلى الاسكندرية فى الصيف واضطر إلى البقاء بمفردى يصبح البيت غير صالح للاستعمال بعد أسبوع واحد، ففي كل يوم استعمل حجرة من حجرات البيت، حتى إذا إنقلبت رأسا على عقب، أغلقتها وانتقلت إلى حجرة أخرى.. وبعد أيام قليلة لا أجد مفرا من الانتقال إلى أحد الفنادق.

هذه هى حقيقتى أكتبها وأنا واثق أننى لن أقنع بها أحدا، فتشنيعات كامل الشناوى كالماركة المسجلة..لا يمكن محوها».

ويشكو للقارىء همومه. ومن هذه الهموم ماتفعله معه سيارته «سيارتي لخبطت حياتي...»

فإرسال السيارة إلى الميكانيكى مثل ذهابك إلى طبيب

الأسنان، إذا ذهبت إليه مرة فإنك تظل تعالج أسنانك إلى الأبد،
وإذا عرضتها على أكثر من طبيب فسدت نهائياً..

وتشبيه السيارة بالأسنان ليس فيه مبالغة كبيرة، إن معاملة
السيارة تحتاج إلى نفس الفهم والتجاوب والرقابة والحزم اللازم
لمعاملة امرأة فتجاهل رغباتها ونسيان مطالبها يفسدها،
والخشونة تزعجها..

وبلغ هذا الأسبوع عصيانها غايته، رفضت أن تخرج من
الجراج، وركبتها بعد العلاج وانطلقت إلى حي سيدنا الحسين..
في شارع الأزهر وتقاطعه بشارع الخليج رفضت السيارة أن
تتحرك. لم يستغرق الموقف سوى دقائق، ولكنه بدا لي ساعة
كاملة، أنقذني بعدها بعض العابرين الذين دفعوا السيارة..

*** في لندن**

ويروى ملاحظاته حول أجازة قضاها في لندن..

«في أول مرة أזור فيها لندن طلبت من الدكتور عبد العظيم
أنيس أن ينتظرني، وأن يحجز لي غرفة في فندق، وعندما وصلت
لندن قال لي عبد العظيم أنه يسكن شقة في بيت يقع في إحدى
ضواحي لندن الهادئة، وأنه طلب من صاحبة البيت أن استأجر
عندها خلال الأسبوع الذي سأقضيه في لندن..

وذهبت معه إلى البيت، الشقة في الداخل جميلة حقاً كبيرة

مزدحمة بالأثاث العريق، أما السيدة فكانت جميلة حقا فى شبابها مع أنها أرملة وحيدة فوق الخمسين، وكانت تبدو نضرة نشيطة باسمه، قادتني السيدة إلى غرفة كبيرة جميلة، أحد حوائطها زجاج كله ، إذا أزيحت الستائر أصبحت الغرفة كأنها جزء من حديقة داخلية جميلة تتدفق عليها الشمس.

وجاء هذا المكان يعطيني جوا جديدا، جو البيت الهادئ المريح.

قالت السيدة.. إن زوجها مات وترك لها ثروة، ولها ابنة وحيدة متزوجة تقيم فى نيويورك، وتعيش بمفردها دائما، شعرت بحرج شديد، إذ أنني أنا الغريب اقتحمت وحدتها، وحرصت على أن لا أسبب لها أقل إزعاج، أما هى فقد عاملتني بعناية زادت حرجي.

ومرت الأيام السبعة .وسألت عبد العظيم أنيس ما هو الأجر الذى أتفقت معها عليه، قال: لم أتفق معها، وأعتقد أنها لن تساوم، وستدفع لها كما تدفع لأي فندق ..

وسألت سيدة البيت، ونظرت إلى كأنها جرحت، وقالت إنها قبلت سكني عندها على أنني سأدفع، ولكنها بعد يوم أو يومين تذكرت حياة كانت قد نسيتها.. لقد كانت سعيدة إذ وجدت من تعتنى به، وإذا كان لديها ما تشكوه منى فهو أنني كنت أحاول

أن أقلل من إحساسها بوجودي، بعكس ما كانت تريد، فكيف تأخذ على هذا ثمناً؟!».

* الفكرة العربية

ويروى قصة إتصاله بالفكرة العربية، كيف بدأت في مطلع حياته؟ يقول: «كثيراً ما تبدأ الحقائق الكبيرة، ببدايات صغيرة، فمن خلال صديق شخصي لي هو أكرم الميداني وزوجته، بدأ إهتمامي بالقضية العربية.. كان ذلك منذ سنوات، كنت أكتب في مجلة شهرية هي «الفصول» وفي ذات يوم زارني شاب سوري، قال لي أنه موظف في الجامعة العربية، وأنه قرأ لي بعض ما أكتب، فأراد التعرف عليّ.. وفي أسابيع قليلة أصبحنا صديقين، وأننا تربينا سوياً.. كنا في أول شبابتنا، نقرأ بنهم لامثيل له، ونحمل مشاكل الدنيا كلها على رأسينا، كأننا مكلفان بحلها نيابة عن الناس جميعاً..

كنت مزدحم الرأس بمصر وتاريخ مصر ومشاكل مصر.. أفهم كل شيء من خلال مصر وحدها، وكانت السياسة العربية في ذلك الوقت، ليست بالنسبة لي سوى مناظر فارغة يقوم بها بعض الساسة المحترفين، ولا أرى سوى إرتباط غامض بين البلاد العربية، أما صديقي، فقد كان يملك مكتبة ضخمة في الفن والأدب والسياسة، وكان يمتاز بإلمام واسع بحياة البلاد العربية الأخرى وتاريخها وثقافتها وعاداتها ..

وبدأت صورة بلادى تكتمل وتضاف إليها بعض الرتوش،
وبدأ كل شىء مصرى يرتبط فى ذهنى بأشياء من البلاد العربية
الأخرى .

وهكذا تبلور الإيمان لدى بالقومية العربية بعد أن اكتملت له
كل عناصره من عاطفة وثقافة ومنطق، وعندما تجولت فى البلاد
العربية، أدركت أكثر وأكثر معنى عبارة «التكوين النفسى
المشترك» التى يذكرها المفكرون كعنصر هام من عناصر
الوحدة القومية، إنها ليست الثقافة المشتركة، ولا المصلحة
المشتركة، إنها شىء يشمل هذا كله ويشمل شيئاً آخر غيره» .
وبهذه الكلمات البسيطة بشر بالفكرة العربية..

وهذه بعض لمحات عن أحمد بهاء الدين. والتى تقتصر على
كتابته وتجربته فى «صباح الخير» وهو فى ريعان الشباب تبعثها
صفحات وصفحات فى صحف ومجلات أخرى..

أحمد بهاء الدين :

المعارك والمواجهات حول القضايا العامة

أ. نبيل زكي

يندر أن يتوافر لدى صاحب قلم هذا القدر من الإحساس بمسئوليته وهو يكتب. فهو من القلة التي رفضت - بحكم هذه المسئولية- أن تعبر عن سياسة لا تؤمن بها، وهو زاهد في المناصب. وكل ما يتمناه أن يكتب وأن يبقى القلم في يده.

وإذا كان ثمة إجماع اليوم على شيء واحد ، بين الكافة، من الكتاب والصحفيين والمواطنين. فهو أن ثمة قلم حر ونزيه وشريف.. طال غيابه.. والجميع يفتقدونه، وخاصة كلما غامت الرؤية وتكاثر الضباب، وزمجرت الرياح والأعاصير واختلطت الأوراق واشتدت كثافة الغيوم. إنه «أحمد بهاء الدين» صاحب الصفحة البيضاء الذي «لا يخاف قلب الزمن ولا يلث وراء المغانم مع قلب كل زمن».

وهو نموذج نادر فى تاريخ الصحافة المصرية لكاتب عرف كيف يكسب ثقة واحترام القارئ رغم أنه لم يكن من النوع الذى يتملق قراءة دائما وإنما يتحدث عن عيوب الناس..

ويتميز أحمد بهاء الدين بأنه صاحب نزعة نقدية تحليلية، ولم يكن - بالتالى - مستعدا لقبول المسلمات والأحكام النهائية القاطعة أو اليقين الذى لا يعرف الشك.

وهو يصف نفسه بأنه من أولئك «السذج» الذين «عاشوا بالأفكار والذين سيموتون بها».

وأحمد بهاء الدين يحب أن يفكر بمفرده وينفر من القوالب السياسية المحددة، ومن فكرة الخضوع لقرارات مجموعة من محترفى العمل السياسى. ولذلك تخلو حياة أحمد بهاء الدين تماما من تجربة الدخول فى أى تنظيم سياسى قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢. وهو يشير إلى غيره من أبناء جيله ممن فضلوا طريقا أكثر جسارة بالدخول فى منظمات سرية أو علنية من الإخوان المسلمين إلى الشيوعيين.. ويقول إن نزعته الرفضية للقوالب السياسية المحددة لا تعنى إدانة لهؤلاء القادرين على السير فى طرق أخرى... فكل أمرء يسر لما خلق له..

ودفع أحمد بهاء الدين ثمن مواقفه المستقلة وعقله النقدى..

غالبا .

فقد وقع صدام بينه وبين جميع أنظمة الحكم، في كل العهود
التي عاصرها.

* قبل الثورة

قبل الثورة- وعمره فوق العشرين بقليل- تم تقديمه إلى نيابة
أمن الدولة بتهمة كتابة مقال يدعو إلى قلب نظام الحكم في مجلة
«اللواء الجديد» التي كان يصدرها «فتحى رضوان» زعيم
«الحزب الوطنى الجديد» ومع ذلك ظل أحمد بهاء الدين يشارك
كتاب الحركة الوطنية فى الكتابة فى الصحف المضطهدة ، قليلة
الانتشار، ويشارك فى تدبير جنيهات محدودة من أموالهم القليلة
لطبوع كتاب لواحد منهم. وكتبوا يطالبون برفض الأحلاف
العسكرية، ويدعون إلى انتهاج سياسة عدم الانحياز ، وإلى
تحديد الملكية الزراعية وتأميم البنوك الكبرى- والبنك المركزى
بوجه خاص- أسوة بما فعلت إنجلترا وفرنسا بعد الحرب
العالمية الثانية. ودعا «أحمد بهاء الدين» إلى تأميم تجارة القطن
حين كان القطن هو ثروة مصر الرئيسية وحين كانت
المضاربات عليه هى لعبة الوزارات ، وسببا فى سقوط
الحكومات.

وكان من الطبيعى أن يكون مؤلف كتاب «فاروق ملكا» ، الذى
صدر عقب الإطاحة بالملك ليؤرخ فترة حكم فاروق ويحلل أسباب
انهياره، هو الذى يكتب فى اكتوبر عام ١٩٥٢ مهاجما فكرة

الحزب الواحد.. مدافعا عن الديمقراطية. فقد انفرد أحمد بهاء الدين - وسط سيل من الكتب والمقالات التي تفسر سقوط فاروق بأنه يرجع إلى ولعه بالنساء وتهوره وطيشه - بأن أعلن أن البداية الحقيقية في مأساة فاروق، إنه لم يلتزم بالدستور، أما جنونه وطيشه وفسقه، فكلها نتائج لهذا التحلل من كل قيد.

*** رفض الرقابة**

ورغم حماس أحمد بهاء الدين وتأييده للثورة إلا أنه عارض بعض الأفكار الأولى التي طرحت على لسان بعض قادة الثورة واعتبرها انتقادية للعروبة، كما عرض كل اتجاه لاستبعاد المشاركة الشعبية..

ووقعت مواجهة أخرى بين أحمد بهاء الدين والثورة عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧ وارتفاع أصوات النقد في الصحف المصرية، الأمر الذي أدى إلى صدور قرار من الرئيس جمال عبد الناصر بفرض الرقابة على الصحف. وجمع أحمد بهاء الدين - الذي كان نقيبا للصحفيين في ذلك الوقت - مجلس نقابة الصحفيين مرتين: مرة لإعداد احتجاج مكتوب إلى الرئيس عبد الناصر على فرض الرقابة على الصحف، ومرة ثانية لرفع مذكرة إلى الرئيس عبد الناصر تتضمن رأى النقابة في أن هناك نوعا من الأخبار يجوز فيه السبق الصحفي وانفراد صحفية دون غيرها، ولكن هناك نوعا آخر من الأخبار يتعلق بالمصالح

القومية العليا فى تلك الظروف الحساسة.

وكتب بهاء فى هذه المذكرة الأخيرة يقول «إن رئيس الدولة إذ يخص بهذه الأخبار جريدة دون أخرى فكأنما هو يميز بين المواطنين الذين يقرعون هذه الجريدة أو غيرها».

وكان المقصود بذلك أن الرئيس عبد الناصر يخص محمد حسنين هيكل رئيس تحرير «الأهرام» فى ذلك الوقت بالأخبار ويحرم منها الصحف الأخرى.

إجراءات عقابية

وفى عهد الرئيس أنور السادات، وخلال ثماني سنوات بالتحديد، تم نقل أحمد بهاء الدين من مكانه كعقاب مرة (قرأ بهاء فى الصحف قرار نقله من دار الهلال إلى دار روز اليوسف فى بداية عهد السادات دون علم مسبق ورغم علاقته الشخصية الوثيقة بالسادات) وتم فصله من العمل الصحفى مرة. وتم وقفه عن الكتابة مرتين.. كل هذه الإجراءات خلال ثماني سنوات فقط!.

وقد كتب بهاء إلى السادات بعد أن قرأ فى الصحف قرار نقله من دار الهلال يقول :

«لقد اخترعت الثورة صحفيين وكتابا ودكاترة فى كل مجال.. ولكننى لست أحد اختراعات الثورة.. وقد كنت رئيسا لتحرير

أكبر جريدة في مصر، وهي أخبار اليوم واتقاضي أقصى حد
للمرتب قبل تأميم الصحف بسنتين»..

وفي عام ١٩٧٣، أمر السادات بمنع نشر مقال لأحمد بهاء الدين في صحيفة «الأهرام» لأن المقال يحتوى على احتجاج مذهب (وهي الصفة الملازمة لكل مقالات بهاء) على مذبة فصل الصحفيين في ٤ فبراير من ذلك العام، بل لقد قرر السادات إبعاد أحمد بهاء الدين من العمل الصحفي برمته ونقله إلى مصلحة الإستعلامات للعمل كموظف فيها!! وكان السادات يعتبر أحمد بهاء الدين «المحرض الأول على بيان وقع عليه ما يقرب من مائة كاتب وأديب صحفى، وهو البيان الذى اشتهر باسم أبرز موقعيه (الكاتب الكبير توفيق الحكيم).

واشتبك بهاء فى جدل طويل مع السادات وجهها لوجه بعد مظاهرات الطعام فى يناير ١٩٧٦ معارضا مشروعات القوانين الاستثنائية وموضحا مخالفتها للدستور ومطالباً بوضع سياسة اقتصادية أكثر تماسكا وواقعية واقتربا من مشاعر الناس.

الأزمة الصحية

تلك هى مأساة الصحفى فى العالم الثالث، وربما فى كل العالم، فقبل بلوغه سن الأربعين، شعر أحمد بهاء الدين، بتعب فى مكتبه فجأة، واستسلم لما كان يقاومه، وهو الطب والعلاج

والتحليل، وظهر أنه قبل أن يدرك الأربعين.. أصيب بـ (١) ضغط دم مرتفع (٢) تضخم في الكبد (٣) إجهاد عصبى شديد. وتبين له أن حياته فى السنوات السابقة شهدت أحداثا هائلة.. قد يكون المعاصرون لها - كالعادة- أقل شعورا بعظمتها ممن سوف يقرأونها بعد مائة سنة (على حد تعبيره)..

وعندما أصيب أحمد بهاء الدين لأول مرة بجلطة فى أحد شرايين المخ، كان السبب أنه قرأ فى صحيفة «أخبار اليوم» فى السنوات الأخيرة لعهد السادات عن «ضبط مؤامرة واسعة ضد نظام الحكم» وقرأ كلاما عن «اتصالات بجهات أجنبية» وأسماء عدد من المثقفين والصحفيين المصريين بينهم معارف وأصدقاء يعرفهم بهاء حق المعرفة ويعرف بطلان الاتهامات الموجهة إليهم.

ويصف بهاء وقع هذا النبأ فى نفسه ، فيقول :

«إننى أذكر تماما، كيف زلزل هذا الخبر كيانى وأنا أقرؤه ذلك الصباح. وسألت نفسى : كيف استمر فى المساهمة فى الحياة العامة وفى منصب مسئول ، ولو معنويا، إذا كانت هذه مقدمات لما قد نواجهه».

وفى الولايات المتحدة ، قال له الأطباء :

«إن نجاتك هذه المرة كانت أمرا لا يتكرر، عليك أن تتجنب

تكرارها بكل وسيلة.. مهنة الصحافة فى منطقتكم من العالم
لاشك.. قاتلة».

لماذا قاتلة؟

هذا ما شعر به بهاء نفسه فى الثمانينات وقدم له التفسير
الصريح قال فى السابع من نوفمبر عام ١٩٨٦:

«إننى لا أتعب من العمل الصحفى ، بل أشعر فى نهاية أى
يوم - مهما طال- من العمل الصحفى المحض بنشوة وراحة
نفسية، وأظن أن هذا هو حال كل من يزاوِل عملا يحبه ولعل
أكسير الحياة وأحسن علاج للصحة هو أن يشعر المرء بأنه
يحقق ذاته فى عمل خلق له. ولكن الإرهاق الحقيقى يأتى من
التوتر والقلق والضنى، وعدم اليقين، وخطورة المزالق، وغير ذلك
مما يحيط بالعمل، وليس العمل نفسه...».

*** الحكومة... والوطن**

هذه هى مشكلة الكاتب الذى يعبر عن الضمير العام لأمته
فى ظروف صعبة ووسط أجواء غير مواتية وفى ظل حكام
يعتبرون أنهم - هم أنفسهم- الوطن.

وفى هذا الصدد يقول بهاء:

«حكاية أن الكاتب اذا عارض سياسة حكومته فهو يعارض
وطنه، حكاية انكشفت وصارت سخيفة، فالحكومة لا يحق لها أن

تعتبر نفسها هي الوطن! وما تأخذ به من سياسات صحيحة أو خاطئة هي الوطنية وبالتالي فإن وطنية الكاتب تعلى عليه أن يؤيد الحكومة على طول الخط وينافقها بلا تردد».

* العدل والحرية

ويتميز موقف أحمد بهاء الدين من القضايا العامة بأنه موضوعي ومتوازن يستلهم حركة التاريخ ودروسه

فرغم حماسه لثورة يوليو، إلا أنه كان مقتنعا بأن مصر لم تولد في يوليو ١٩٥٢، ولكن لها تاريخ عريق في طلب شيين أساسيين: العدل والحرية

وعندما صدر قانون تطهير الأحزاب وقدم للمحاكمة في مجلس الدولة بعض رجالات حزب الوفد.. توجه بهاء، كواحد من الجمهور العادي، ليقف في آخر صف في قاعة المحكمة المزدحمة. وبكى. فقد أحس أنه يرى مشهدا تاريخيا مؤثرا.. يرى بناء ضخما يلقي حتفه «الذي لامفر منه» مهما كانت الطريقة.

ويرى أحمد بهاء الدين أن «السذج» الذين يحبون بلادهم - وهو منهم- ويحبون كل قطعة منها ومن تاريخها.. يجدون أنفسهم في حالة بكاء على موت عزيز رغم أنه أدرك سن الموت، ومع ذلك فإنه يرفض الحكم بإعدام تاريخ الوفد وتاريخ الحركة

الوطنية كلها، ويرفض أن يتبرع ساسة بإعدام «الماضي» كله
نفاقا للعهد الجديد .

ثم جاء وقت (يوليو ١٩٧٤) يطالب فيه البعض بإعدام ما
يسمونه «الماضي» مرة أخرى (وهم يقصدون بالماضي هذه
المرة ثورة ٢٢ يوليو وعهد جمال عبد الناصر)!

*** ذروة درامية**

هنا نصل إلى الذروة الدرامية في مواقف أحمد بهاء الدين
من القضايا العامة ومعاركه المريرة.

فقد وجد هذا الكاتب الوطنى الديمقراطى المستنير نفسه فى
موقف غريب فى مطلع السبعينات:

أن هؤلاء الذين كانوا يؤيدون حكام ٢٢ يوليو تأييدا مطلقا
ويحرضونهم على اتخاذ الاجراءات الاستثنائية- مثل قرارات
العزل والحراسة ذات الطابع العقابى- (وكلماتهم مسجلة فى
المحاضر والمؤتمرات والصحف) يحاولون الآن، بعد أن تغيرت
الظروف أن يلبسوا أثواب بطولات لم يمارسوها. ويستعيد بهاء
ذكريات الأيام الأولى التى أعقبت ثورة يوليو:

«البعض لم ينتظر.. هبت حملات المطبلين والمنافقين ،
خصوصا الذين شعروا مع «الانقلاب» أن عليهم أن يبالغوا فى
التطبيل الجديد، لتغطية تطبيلهم القديم.. وكنا، نحن، مازلنا

شبابا.. الثورة غير واضحة المعالم بالضبط ، هل هي مجرد حكم عسكري كحكم الكولونيات في اليونان وفي تطور أبعد وتعبير أعمق عن جماهير الشعب وحاجات الوطن؟ البعض لم ينتظر.. والحملة التي قام بها هذا البعض كتبت صراحة وعلنا تشيد بالحكم العسكري وتطالب بالسلطة الفردية المطلقة وتبنى أسطورة «عبادة الفرد» حتى قبل أن تتبين ملامح الفرد واتجاهاته..»

أما أحمد بهاء الدين، الذي طالب بالثورة قبل وقوعها ، فقد انزعج من هذا الاتجاه لأنه كان يريد المشاركة الشعبية.

والمهزلة التي كان يشهدها بهاء هي أن نفس المحرضين على الحكم العسكري، والسلطة الفردية هم الذين انقلبوا في أوائل السبعينيات لكي يطالبوا بمحو «الماضي».

ويتصدى بهاء للرد قائلا: «تاريخ الـ ٢٢ سنة الماضية، هل المطلوب عدم كتابتها وتصحيحها وإنصافها ونقدها؟ هل المطلوب إلغاؤها؟»

*** بطولات زائفة**

ولم يكن أحمد بهاء الدين من الذين اقتنعوا بالاشتراكية وسياساتها بقرارات جمهورية أو بتعليمات ، ولكنه دعا إليها قبل أن تصبح منهاجا رسميا للحكم.

وهو يعرف جيداً «أن هناك من خطبوا وتكلموا عن الاشتراكية خلال سنوات حكم عبد الناصر بأعلى صوت، ولكنهم مع ذلك كونوا الثروات واستثمروا النفوذ ولم تذهب اقتناعاتهم إلى أبعد من سن القلم أو طرف اللسان فلم تصل قط إلى العقل أو تسكن في القلب، ولكن لأن هذا كان «مطلوباً».

ومن عجائب الأمور أن «الآخرين» الذين حاولوا أن يكونوا «فرامل» وأن يحتفظوا على الاتجاهات المعادية للديمقراطية- وهذا أيضاً مسجل ومنشور- لا يحاولون في السبعينات الرجوع إلى هذه «البطولات» فالسياسة عندهم لم تكن تجارة. ولما كان تأييد أمثال بهاء لعبد الناصر عن اقتناع وليس نفاقاً. فإنه لم يكن في حاجة في عهد السادات للاعتذار عن تأييده لعبد الناصر، كذلك لم يكن مستعداً لمناقشة خليفة عبد الناصر، وهو الذي لم ينافق عبد الناصر.

وهنا يتحدى أحمد بهاء الدين المطبلين ويدعوهم للنزال: «ابحثوا لو شئتم وستعرفون من الذين اغتبنوا في ظل الاشتراكية. وأقاموا العمارات، واشتروا الأراضي، واكتظت بيوتهم بالتحف، واعتنقوا رموز الوجاهة، التقليدية، أياً كانت هذه الرموز، من العلاج بالخارج من أتفه الأمراض على حساب الدولة، إلى كبائن المنتزه، إلى شقق الحراسة إلى ... إلى ..».

ومرة أخرى يعلن بهاء التحدى :

«لهذا يقول السذج الذين عاشوا بالأفكار وسيموتون بها :
فتشونا! إذا وجدتم لدى واحد من هؤلاء غير أثاث شقته
وربما سيارات صغيرة نصف عمر، وأحيانا مئات قليلة فى البنك
للطوارئ... حاسبوهم!».

وهنا يطالب أحمد بهاء الدين بتطبيق قانون «من أين لك هذا؟
الذى صدر تحت وطأة ما شعر الناس به من التناقض بين
مطالبتهم بالتقشف للبناء، وبين الثروات التى تظهر من حيث
لا يفهم أحد.

ويقدم بهاء نموذجاً للنقد الموضوعى لعهد عبد الناصر
يختلف تماما عن حملات التشويه والافتراء والتشكيك فى الذمة
ضد عبد الناصر فى عهد السادات.. فيقول:

«من أبرز مشاكل الفترة التى مضت فى تقديرى أن عبد
الناصر لم يحاول أو لم يهتم بالالتقاء والاحتكاك بالنخبة المفكرة
فى البلاد فى شتى المجالات، رغم أنها نخبة فكرية كان
يقودها... وخبة اجتهاد وكفاءة لانخبة اسم وميراث.. إن القراءة
هنا لا تكفى.. المناقشة شىء آخر. ولكن عبد الناصر أحيط به
إحاطة السور بالمعصم. ولم يعرف من هؤلاء إلا من صار منهم
وزيرا أو مسئولا رسميا، وهو وضع مختلف، وكان هم كل من

يجد مكانا في السوار المحيط به أن يحجب سواه خصوصا الشباب منهم..»

*** الروح لم تنكسر**

ومن أخطر القضايا التي تناولها أحمد بهاء الدين قضية الدعوة النضال والمواجهة بعد هزيمة يونيو:

«لقد انكسرت في البلاد العربية يوم ٥ يونيو أشياء كثيرة.. أشياء كثيرة، كلها يمكن أن تعوض ، ولكن روح الأمة العربية لم تنكسر، وهذا مهم، لأن الروح إذا انكسرت لاتعوض.. والبلاد التي تريد أن «تؤثر السلامة وتفضل الراحة والدعة».. إنما تركها الأقدام وهي تتدحرج إلى أسفل من درجة إلى درجة.. إلى قاع بغير قرار. أما المستميت فلا يموت، أما البلاد التي تقبل التحدي وتجتاز الامتحان فهي التي يكتب لها أن تبقى..».

وفي هذا المجال لا يمكن إغفال حقيقة أن أحمد بهاء الدين هو صاحب فكرة وضع القضية الفلسطينية في أيدي الفلسطينيين أنفسهم وإقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة. ولم يكن هذا الرأي يخطر على بال المخططين العرب الذين اعتادوا التحدث باسم القضية الفلسطينية .

*** المستقبل العربي**

وقضية المستقبل العربي تشغل أحمد بهاء الدين باعتبارها

قضية مصير. وثمة وضوح شديد فى مواقفه تجاه هذه القضية :
«إننا ننظر إلى السنوات التى وراعنا .. فنجد صورة العرب
هى صورة القبائل والخيام والجمال، صورة الأرض التى تنتظر
الأمطار لكى تروى، والأنهار التى تتبدد مياهها فى البحر ،
صورة الاعتماد على الزراعة وشراء كل معدات الحياة الحديثة
من الخارج!».

فما هى الصورة التى يريد «بهاء» أن يراها للمستقبل العربى
إذن؟.

«ننظر إلى السنوات التى أمامنا، والشعارات التى ستصبح
حقيقة، فنجد شيئاً آخر: مشروعات استغلال الأنهار ، وجعل
الزراعة عملاً علمياً منظماً، وسداً عالياً على النيل، وسداً عالياً
على الفرات لاستثمار الماء والكهرباء فى الزراعة والصناعة. ثم
صناعات جديدة وتخطيطاً علمياً، وأفراناً لصهر الحديد
والصلب.. وآلات تدق الأرض وتكشف البترول وخامات الحديد،
وفلاحين يتحولون إلى عمال، وعمالاً عاديين يتدربون ويتحولون
إلى عمال فنيين، وسلعاً أجنبية مصنوعة نستغنى عنها ونستعمل
بدلاً منها سلعاً من صنع بلادنا وعمالنا ومهندسينا».

والصورة التى يحلم بها أحمد بهاء الدين تتغير دائماً.. بل
تنقلب انقلاباً! والشرق العربى، الذى كان المؤلفون الأجانب

يسمونهم- كما يقول بهاء- «بيت العالم الفقير» ينتقل- حسب رؤية الكاتب- من عصر إلى عصر ومن حياة إلى حياة! فإذا ببلادنا لم تعد «أريافا» بالنسبة لمدن كبيرة اسمها أوروبا وأمريكا! وشعبنا لم يعد مجرد «زبائن» يشترون كل شيء من دكاكين اسمها أوروبا وأمريكا! كلا! فالكاتب يريد أن تتحول بلادنا إلى مدن عصرية حديثة لها صناعاتها وزراعتها وعلمها وحضارتها.. ويريد أن يتحول شعبنا من مستهلك إلى منتج بين المنتجين.

ومن ثم.. يشن أحمد بهاء الدين حملات قوية ضد «الحرب القذرة» للاستعمار الفرنسي في مراكش والجزائر وضد إبادة الوطنيين المكافحين في جنوب أفريقيا .

وهو يعتبر أن هناك حقيقتين متوازيتين تحكمان العالم العربي هما الاتصال والانفصال.

الانفصال، بمعنى أن كل قطر عربي له ظروف ترتبت على واقع التجزئة، وعلى اختلاف المراحل التي يمر بها كل قطر، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا.

والاتصال، بمعنى أن هذه الاقطار لاتعتبر التجزئة واقعا نهائية، ولكن تستشعر في قرارة ضميرها رابطة قومية واحدة وتطمح أن تتخطى يوما حواجز الانفصال وتحقق الانتماء القومي الشامل.

ولذلك كان قيام الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨، بكل الأحداث التي مهدت لقيامها وصاحبت مولدها، وبكل المعاني التي ارتبطت بها ووقفت إلى جانبها - فيما يرى أحمد بهاء الدين - كالنور الذي بدد الظلام، فقد أصبح الانتصار على الإقليمية أمرا ممكنا وحقيقيا، في تقديره، كما أصبحت الوحدة العربية مستقبلا حتميا مؤكدا.

ويعلن بهاء أن هذا الحدث يعنى أن الاستقلال المطلق عن القوى الكبرى أصبح ممكنا، وكذلك حريتنا الكاملة في الاختيار كل ذلك بات واقعا نعيش فيه لا خيالا نتغنى به. علاوة على أن قيام الجمهورية العربية المتحدة كان بالنسبة للجماهير قمة الانتصار على «مركب النقص» في نفوسنا نحو إسرائيل، كما قال أحمد بهاء الدين.

ويعيش بهاء كل تفاصيل أحداث العالم العربى على مدى أكثر من ثلاثين سنة ويعرف كل القادة العرب ويعرفونه ويدير حوارات حول كافة القضايا العربية الكبرى، ويرفع الصوت العربى فى المؤتمرات والندوات التى يشارك فيها بأى مكان من العالم، وقد أثار ضجة فى إحدى دول أوروبا عندما طالب بمحاكمة شعبية لجرائم إسرائيل فى الحرب ضد لبنان عام ١٩٨٢. ومنذ ذلك الوقت، وهو يركز انتقاداته على غياب استراتيجية عربية شاملة. ويحث على اتخاذ أى خطوة من شأنها تعزيز وتعميق العلاقات

العربية. وهو صاحب رأى المخلص والسديد من منطلق السعى إلى أن يتقوى ساعد الأمة العربية .. فيقول مثلاً أنه يريد من تجمع دول الخليج أن ينفى عن نفسه تهمة أنه «نادى الأغنياء» وأن يأخذ من تجمعه سبيلاً أوسع لتقديم العون الاقتصادي للمجموعة العربية بوجه عام.

ووقف أحمد بهاء الدين فى الصف الأول فى معركة الدفاع عن عروبة مصر فى وقت كانت فيه حسابات السادات السياسية تملى ضرورة فك الارتباط بين مصر والعالم العربى.

ومنذ سنوات مبكرة وأحمد بهاء الدين مشغول بالحركة السياسية والفكرية والثقافية فى مصر وقدرة هذه الحركة على طرح أفكار صحيحة وجديدة، وكان أول لقاء بين كاتب هذه السطور وأحمد بهاء الدين عندما وجهت إليه الدعوة لحضور ندوة موضوعها «بين العلم والفلسفة» فى كلية الآداب بجامعة القاهرة. شارك فيها كل من الدكتور عثمان أمين والدكتور محمد صقر خفاجة والدكتور عبد العظيم أنيس والدكتور توفيق الطويل وعادل ثابت.

وكان بهاء يشعر بقلق بالغ من احتمال أن تكون الحياة الفكرية فى الجامعة قد أصيبت بالجمود فى العامين الأولين اللذين أعقبا ثورة يوليو. وقد شعر بارتياح شديد وهو يتابع وقائع تلك الندوة. وقال إن الروح الجامعية تبدو فى ذروة

انطلاقها .

فى تلك الأيام، بدأ بوضوح حرص أحمد بهاء الدين على متابعة النشاط الفكرى والثقافى فى الجامعة.. إنه يريد أن يعرف كل شىء عما يجرى فى الساحة والتيارات المختلفة المتصارعة فى ذلك الوقت.

* المال العام

ومن أكبر المعارك التى اشتبك فيها أحمد بهاء الدين مع قوى عاتية معركة الدفاع عن المال العام والقطاع العام والاقتصاد الوطنى، وهى معركة لم يدخر فيها أى جهد أو طاقة، ولم يهتز خلالها قلمه ولم يهادن أو يساوم بل كان حاسما وقاطعا كحد السيف.

وبادىء ذى بدء ، فإنه يلح على أهمية أن يتعود كل من يعمل فى الحقل العام أن المال العام له حرمة وأنه يجب أن يحسب انفاقه بالقرش والمليم، وأن يكون وراء انفاقه عائد أو ضرورة.

وهو يدافع عن القطاع العام ضد القائلين بأنه يخسر مما يستوجب إغلاقه، ويتساءل: لماذا إذن يهاجمون هذا القطاع العام إذا قررت إحدى شركاته رفع منتجاتها فى السوق ويتهمون به بأنه يصنع ما يصنعه القطاع الخاص من السعى وراء الربح ويزيد العبء على المستهلك؟ إنه، أمر محير، كما يقول

بهاء. ويتساءل مرة أخرى: إذا كان القطاع العام يفعل ما يفعله القطاع الخاص ليربح أو ليفطر خسائره، فماذا يغضبكم، وأنتم تبشرون ليل نهار بالاقتصاد الحر وإعطاء كل شيء للقطاع الخاص؟

وبهذه، يوضح بهاء لخصوم القطاع العام أن هذا القطاع هو الذى حمل عبء التنمية فى مصر، وهو الذى أقام القاعدة الصناعية فى البلاد، ولولاه- مع هذه الزيادة فى السكان والتعليم- لتفجرت ثورات دموية من ضيق الرزق وسوء الأوضاع. ويقول بهاء إن القطاع العام يتحمل عبء زيادة العمل ويتحمل أسعار الخامات التى تحددها الدولة له، ويتحمل توجيه الدولة له لإنتاج سلعة معينة يحتاجها الشعب أكثر من غيره، ويتحمل أخيرا مطالبة الدولة له بأن يبيع بسعر معين تيسيرا على الفئات الواسعة من الشعب.

ومع ذلك فإن بهاء يرى أن للقطاع العام عيوبه، ويدعو لتخليصه من الروتين ومن المنحرفين ويطالب بجعل عامل الربح أحد مؤشراتته وبأن يتخلص القطاع العام من المشروعات الصغيرة التى لاتناسبه وإن يحسن إدارتها على الإطلاق. ويعرب بهاء عن دهشته إزاء البعض من الذين يهاجمون القطاع العام ثم يجعلونه يتوسع فيشوى الكفته فى الشوارع ويحمر الدجاج ويبيعه للناس! ويقول: «لماذا لا يبيع القطاع العام لك دور

السينما حتى يملكها القطاع الخاص؟ لماذا لا يتخلص من إدارة الفنادق أو ملكيتها حسب الظروف؟.. لماذا لا يترك النشاطات السياحية كلها للقطاع الخاص؟ إن هناك عشرات من الأمثلة من هذا النوع...».

* أسير قراءة التاريخ

غير أن أحمد بهاء الدين كان يواجه تيارا شرسا كاسحا يريد تدمير كل شيء تحقق من قبل تحت شعارات جديدة، وخاصة في النصف الثاني من السبعينات. وكتب يقول في مראה محذرا:

«لمن هو أسير قراءة التاريخ مثلى ، كان يبدو أن الموجة الجديدة تستهدف إنهاء محاولة إقامة اقتصاد وطنى يستطيع الوقوف على قدميه والتعامل مع الدنيا طبقا لقواعد مقبولة، وإعادة هذا الاقتصاد إلى التبعية الكاملة للخارج ما يذكر بما حدث فى أواخر عهد الخديوى إسماعيل ثم تحت حكم اللورد كرومر والخديوى توفيق...».

وفى مواجهة محاولات تشويه الرأى، وأمام الصخب الذى يثيره المتحدثون باسم القطط السمان الذين تحولوا إلى حيتان.. اضطر بهاء أكثر من مرة إلى توضيح موقفه ووضع خطوط فاصلة :

«لسنا ضد أى نشاط إنتاجى واستثمارى للقطاع الخاص.
إننا فقط ضد أى محاولة لتدمير القطاع العام، وقد طالبنا مراراً
بأن يتخلص القطاع العام من أشياء ضمت إليه دون داع . ولكن
هذا شيء غير التحامل على القطاع العام ونسبة كل الأخطاء
إليه. فهذا القطاع العام فى جوهره هو الذى «يصلب عود»
القطاع الخاص حاضرا ومستقبلا».

النقط فوق الحروف

غير أن هستيريا وحمى «الانفتاح الاقتصادى». ونزعة
التدمير للبناء الاقتصادى القائم. كانت تجتاح دوائر الحكم
وأجهزة الإعلام والمنابر والمنتديات.. ووصل الأمر بأحد أعداء
تجربة القطاع العام إلى نشر مقال فى إحدى الصحف يطالب
أحمد بهاء الدين بأن يغلق فمه «وحياة أبوك» (مخاطبا الكاتب
الكبير) ولم يلق بهاء السلاح بل ازداد إصرارا على خوض
المعركة والقتال ، فكتب يقول:

«إننا نؤيد تشجيع القطاع الخاص ورأس المال الاستثمارى
والانفتاح الإنتاجى.. بشرط أن لا يكون تشجيعه بإعطائه حرية
السرقه والتهريب والفرار بالملايين من العملات التى كسبها
الشعب باغترابه وعمله».

ويسخر بهاء من الذين يعتبرون أن كلمة «السوبر ماركت» أو

«الشوينج سنتر» هي علامات التقدم والاستقلال!

وبصراحة كاملة، يضع بهاء الدين النقطة فوق الحروف وهو يخاطب أصحاب الأموال في مصر، الذين يشنون حرب أعصاب على أنفسهم وعلى الدولة بفكرة أن كل تدخل من الدولة معناه تخويف رأس المال وتهريبه وسلبيته إلى آخره.. فيقول: «كلا رأس المال الجدى يهمة الاستقرار والتطهير ومحاربة الفساد وسيادة القانون والمنافسة المشروعة، لا الاحتكارات التي يخلقها لأنفسهم أصحاب النفوذ بوسائل غير اقتصادية! رأس المال يطمئن إلى يومه وغده مع تطهير سمعته من المال الذى يتاجر فى الأطعمة الفاسدة، ومن تجميد أموال الناس فى عمارات لاتتم، وتحويل كل عنوان جميل إلى معنى مكروه لدى الناس..»

* أغنياء الانفتاح

والمستثمرون - فى رأيه- يمكن تقسيمهم بوجه عام إلى ثلاث مئات :

١- فئة تقوم استثماراتى على نزح الأموال من مصر إلى الخارج..

٢- وفئة تقترض من المال المتوفر فى مصر فعلا ، أى من البنوك، وهو مال وفير ومعطل، ويوقمون باستثماره فى مصر..

وهؤلاء يجب تشجيعهم إلى أقصى الحدود. بل أن مهمة أجهزة الاستثمار هذه لايجوز أن تقف عند حد «الموافقة» على المشروعات، بل «دراسة وإعداد» المشروعات خصوصاً للمستثمر المتوسط والصغير..

٣- وفئة تأتي بأموالها من الخارج إلى مصر. اغتربوا طويلا وعادوا بأموالهم يستثمرون في مصر، فيكتشفون أنهم وقعوا في شرك شتى.. تبدأ من البيروقراطية وتمد إلى الابتزاز! وهكذا يجدون أنفسهم في غابة من اللوائح والعقبات والذئاب!.

والظروف تفرض على أحمد بهاء الدين أن يحتشد لمقاومة محاولات الردة والانتكاس في مرحلة دقيقة وفاصلة من حياة البلاد. وهو يضع أصبعه على كل الجراح ويتولى بكل تواضع وببساطة تشخيص المرض واقتراح العلاج:

«ظاهرة المرحلة التي تمر بها، وانتشار «أغنياء الانفتاح» التي تشبه ظاهرة أغنياء الحرب قبل ما يزيد على أربعين سنة، هي ظهور هذه الفئة التي تملك المال ولا تملك المعرفة، وهي فئة لا تعرف إلا الإنفاق المباشر على أنماط الاستهلاك: الطعام بكثرة، الملابس، وأغلى السيارات، واللهو والمتع. وإنفاق مئات الجنيهات على مائدة واحدة، وهي التي تملأ كباريهات شارع الهرم.. وعشرات المظاهر الأخرى.. ولو كانت القنوات التي يجرى فيها المال الغزير في البلد الفقير قنوات إنتاجية لفاض

خيرها على المجتمع ولاستفاد الغنى والفقير معا...».

*** مغامرون ولصوص**

ولم يكن هناك من هو أشد قسوة في المعركة ضد اللصوص المغامرين من أحمد بهاء الدين في وقت أخذوا يتوالدون فيه ويتكاثرون في لمح البصر..

ويطلقون العنان لكل أنواع النشاط التي يكسبون من خلالها الثروات ولايستفيد الوطن شيئاً. كتب بهاء يقول:

«وسبحت السوق في مصر على بحر من العملات - من عرق المصريين في الخارج- لم يسبق له مثيل لا قبل ١٩٥٢ ولا بعد ١٩٥٢ بسبب ارتفاع أسعار البترول عقب حرب ١٩٧٣، وبالتالي سفر المصريين للعمل في الخارج بمئات الآلاف، وبالملايين فيما بعد.. وبدلاً من انتهاء هذه الفرصة لتحويل هذه الأموال إلى قنوات استثمارية منتجة، تركت في الأسواق وتوجد الشهوات الجديدة وتتيح الفرص للمغامرين واللصوص والمزيفين الذين ينتحلون صفة رجال الأعمال. هذا الواقع هو الذي رفع ديون مصر من ألف مليون دولار إلى أكثر من ثلاثين ألف مليون دولار في عشر سنوات، وجعل مصر لا تفيد من مرحلة الثورة البترولية، وأخذ المصريون يعودون بلا عمل. وبالتالي كل مصاعبنا الاقتصادية التي نحن فيها الآن».

* الاقتصاد الحر

وخلال تلك المعارك والمواجهات الطاحنة ظل أحمد بهاء الدين حريصا على توعية مواطنيه وقرائه بالتجارب العالمية مستعينا بذخيرته من الثقافة الموسوعية. كتب يقول:

«نظام الاقتصاد الحر الكامل لم يعد موجودا إلا في كتب الاقتصاد القديمة، فالعالم الرأسمالي ذاته يعرف البنوك والصناعات الكبرى التي تملكها الدولة. ويعرف حقوق العمال والتزمينات المختلفة، ويعرف قوانين منع الاحتكار، ويعرف أساليب الحماية من المنافسة الأجنبية. ولم يعد قول زعيم اليمين الأمريكي «جولدووتر» قبل عشر سنوات «إن الفقير مسئول عن فقره ولا حل له.. كما أن من ولد بقدمين كبيرتين لا يمكن له تغييرهما».. لم يعد هذا القول وارداً..

وإذا قال قائل اليوم إن اتفاقية «الجات» تحول دون وسائل الحماية.. فإن الرد هو أن الدول الصناعية الكبرى فرضت وسائل حمائية إلى أن أقامت مؤسساتها الصناعية الكبرى التي أصبحت جاهزة الآن للمنافسة، ولولا أساليب الحماية التي فرضتها لما وصلت إلى المستوى الذي بلغته الآن.

* حماية الصناعة الوطنية

ودخل أحمد بهاء الدين بكل قوة معركة حماية الصناعة الوطنية المصرية. وأطلق على دعاة «الانفتاح» اسم «دعاة السداح مداح وكل شيء مباح» وقال : إنه حتى الرأسمالية الوطنية يهددها منطق «السداح مداح» ، فالاقتصاد الحر بمعناه المطلق يعنى أن البقاء للأقوى. وبالتالي فإنه لو أقيم في مصر غدا مصنع أجنبي ضخيم لصناعة الأحذية مثلا، فهو كفيل بأن يغلق أكثر من عشرة آلا ورشة أحذية يعمل فيها عشرات الآلاف من المصريين ..

ومرة أخرى يطلق بهاء صيحة تحذير مدوية:

«.. ليس هدف الانفتاح هنا أن يكتب أحد ذات يوم ما كتب لورد كرومر متباهيا بعد سنوات من احتلال مصر: «لقد اختفت الصناعات المحلية من الأسواق وصارت السلع الأوروبية في كل مكان»! .

* دفاع عن العدل

ولا يتخذ أحمد بهاء الدين موقف الحياد تجاه القضايا العامة الكبرى- كما يتضح من السطور السابقة- بل أنه يعلن ، بلا مواربة، انحيازه إلى العدل وإلى من يكسبون المال بالحلال والجهد أو نتيجة تفوقهم وتميزهم، ويلعن الظلم والتطفل والحرام،

فيكتب قائلا :

لايخدعك وصف هذا النظام أو ذاك بأنه ديمقراطي أو ديكتاتوري.. على أساس وجود برلمان وأحزاب، وغيرها من شكلية الديمقراطية. والسياسة ليست غاية في ذاتها، إنما غايتها إقامة العدل بين الناس. فاسأل في أي مجتمع : من يكسب المال؟ وكيف؟ ومن أين؟ ومن المتخمس؟ ومن الممروض؟ تعرف أكثر جوهر النظام السياسي.

إن المال هو محور الحياة في هذا العصر. محور الصراع السياسي. محور العرق اليومي، هل يكسب المال المتفوقون المتميزون، أم يكسبه البلاء؟ هل يكسبه مثلا محمد عبد الوهاب أم موسيقار اسمه محمد برعي (مع الاعتذار مقدما إذا تصادف ووجد موسيقار بهذا الاسم)؟ هل يكسب المال الذين يبذلون عرقهم ويعملون عشر ساعات في اليوم؟ أم الذين يصنعون الملايين بمكالمة تليفون؟ هل يكسب المال صاحب رأس المال أو صاحب الحرفة أو المهنة؟ أم يكسبه صاحب النفوذ وقريب صاحب النفوذ؟ هل يكسب المال من يحترم القوانين الموضوعة؟ أم يكسبه من يخترق القوانين؟ هل يكسب الفرد قيمة بعمله- من العالم إلى الكناس- أم يكسب الفرد قيمة بعلاقاته ومصاهراته وبلطجته وإغفاء عين السلطة عنه؟ هل يكسب المال من يستطيع أن يقدم كشفا بمصدر كل مليم؟ أم

يكسب من لا يستطيع أن يفسر إحرازه لعشرة ملايين ؟ تلك هي
الأسئلة الأساسية .. وما السياسة إلا صراع وخلاف حول
الأسلوب الذى يوضح أكثر من سواء الفارق بين الجهد والتطفل،
بين العدل والظلم، بين الحلال والحرام».

ومعذرة للاستطراد الطويل السابق

غير أن هذه الفقرة المسهبة من كتابات أحمد بهاء الدين
توجز رأيه فى قضية من أهم القضايا التى تواجه المجتمع
المصرى عبر أحقاب طويلة، وخاصة بعد أن تفاقمت الشرور فى
السنوات الأخيرة، وقد استخدم بهاء كل قدراته فى التبسيط
ليطرح فكرته بأقصى درجة من الوضوح .

*** معنى الوطنية**

ومن أبرز مساهمات أحمد بهاء الدين فى فترة زاد فيها
الاضطراب الفكرى والتشويش والتضليل، أنه كتب موضحا
وجهة نظره حول المعنى الحقيقى للوطنية والمعنى الحقيقى
أيضا لما أسماه الوطنية الاقتصادية.

يتابع أحمد بهاء الدين ذلك الحوار والأخذ والرد بين عقليتين
أو طرفين: طرف يريد أن يستخدم اقتصاد البلد فى رخاء فئة
لاتزيد عن سبعة فى المائة، وطرف يريد أن يستخدم اقتصاد
البلد فى تحسين أحوال التسعين فى المائة الآخرين، أو أكبر

نسبة ممكنة منهم .

«... ودعونا من كل النظريات والاتهامات والشوشرة الكاذبة.
إن هذا ببساطة هو محك معنى الوطنية». دعونا من الذين
يكتفون بحب مصر على أمواج الإذاعة وشاشات التلفزيون ،
والأناشيد الغنائية والمقالات الغرامية.. إننا فقط نريد من هؤلاء
أن يحبوا مصر في غير التمثيليات الخطب والمقالات
والأناشيد.. نريدهم أن يحبوا مصر بأن يحبوا شعبها.. فهذا هو
الحب الأصيل». وليس مجرد حبها «أظلمها الظليل» وأن يحبوا
شعبها هو أن يكافحوا لكي يتعلم الطفل المصري أحسن، ولكي
يلبس المواطن المصري أحسن، ويأمل أحسن ، ويجد مرافق
حياته، التي صارت بدائية، كمواسير المياه والمجارى
والمواصلات العامة والشوارع المدمرة، فى حالة أفضل..

الوطنية اليوم بالممارسة، لا بالأغاني والأناشيد
والمهرجانات..»

لم يعالج كاتب مصرى من قبل قضية الوطنية بهذا العمق
والاستنارة. ويكفى للدلالة على شجاعة الكابت أن مفهومه
للوطنية يعنى أن معظم من تولوا الحكم فى مصر فى تاريخها
السابق خارج دائرة الوطنية.

* تحذير من الكارثة

أما الوطنية الاقتصادية، فإن أحمد بهاء الدين يشرحها على النحو التالي :

«لنعمل وننتج ونتعب ونعرق، ونشتري بعد ذلك السيارات الكاديلاك، فهذا وضع اقتصادى سليم. أما أن يركب الكاديلاك مائة، ويركب كبارى المشاه مليون. ويجرى وراء المواصلات العامة ملايين، وتدفع هذه الملايين ثمن الكاديلاك.. فهذا ليس ظلما فحسب وإلا لاحتملناه.. ولكنه كارثة اقتصادية قومية تنتهى برهن البلد كما رهن فى أواخر عهد إسماعيل»..

والوطنية الاقتصادية -عند بهاء- لا تقل شرفا عن الوطنية السياسية.

* شعار : «الكل مصريون»

وقبل عشرين عاما بالضبط، كان أحمد بهاء الدين يكتب (فى ٢٨ فبراير عام ١٩٧٥) بلا ملل ليشرح معنى الوطنية فى وقت حاول فيه البعض تعريف الوطنية بأنها تأييد الحكام والولاء المطلق لهم، كما حاول البعض تعريف الوطنية على أنها إعلان العداء لشعوب أخرى حتى لو كانت شقيقة كتب بهاء يقول:

«لم تعد الوطنية هى التعصب بمعنى عدوان الوطن على أوطان غيره والسيادة عليها، بالمعنى النازى، ولم تعد الوطنية

مجرد رؤية الوطن عزيزا مستقلا، وإنما هي فوق ذلك رؤية المواطنين أحراراً يتمتعون بمستوى لائق من المعيشة ولا يعانون من استغلال داخلي أو خارجي. هذه هي وطنية العصر الحديث، وطنية العصر الديمقراطي، وطنية الحرية والمساواة.. والمصري الحقيقي هو الذي يؤرقه العدوان على وطنه، كما يؤرقه أن يرى معظم مواطنيه يعيشون دون الكفاف، ويؤرقه أن تقوم أي ظروف تسمح باستغلال المصري للمصري تحت ستار أن الكل مصريون فقط...».

*** حملة تنوير**

إنه يذكرنا بالموسوعيين الذين قادوا حملة التنوير قبل الثورة الفرنسية. وهو مدافع نزيه عن الشعب، يمارس مهمته بمثابة وعناد. والدفاع عن الطبقات الشعبية قضية مقدسة بالنسبة للكاتب أحمد بهاء الدين كما أنه داعية للتحول الاجتماعي، كتب في ٢١ يناير عام ١٩٧٣ يقول :

«إن التحول الاجتماعي مطلوب، لأنه لا بد أن يشعر الشعب أن نضاله أيضا يمتد إلى الأمل في حياة أحسن ، حياة أكثر عدالة وأعلى مستوى، ولا بد أن يشعر أن النضال يشارك في عبئه الجميع».

ومن هنا فإنه يطالب ببذل الجهود لرفع مستوى القاعدة، التي

هى «الأسمنت المسلح» فى بناء أى مجتمع أو أى دولة ولايكف عن التذكير بأن الأمم لم تعد تحسب قوتها وتقدمها بعدد أصحاب الملايين فيها، ولكن بمستوى الحد الأدنى من المعيشة لشعبها.

*** دعوة إلى المساواة**

وهو يدعو إلى المساواة بين الناس أمام القانون ، فلا تتقوى الدولة على الضعيف وتضعف إزاء القوى.

ويوجه النصيح بروح الاعتدال:

«نريد أن نقضى على شعور المواطن البسيط بأنه «منهوب» باستمرار.. وهو شعور مدمر للأمن والاستقرار والسلامة النفسية للإنسان المصرى ..حتى لو كان شعورا خاطئاً.. فالمهم تصحيحه».

ويرفض أحمد بهاء الدين خلط الأوراق، ويرفض توبيخ الناس على ما لاحيلة لهم فيه. وتقدم للدفاع عن المواطن الفقير الذى تعرض لهذا التوبيخ لأنه يكثر من أكل الخبز!!

وقال بهاء إن استهلاك الخبز علامة فقر لا علامة غنى ومظهر حاجة لامظهر إسراف لأن مائدة الفقير تخلو من كل ما يوجد على موائد الأغنياء.

*** حكاية «الحقد»**

وعندما جاء وقت كثر فيه حديث الحكام عن «الحقد» الذى

تمتلىء به قلوب المصريين وقالوا أن هذا الذى أسموه بالحق من مخلفات عهد عبد الناصر، لم يتطوع بالرد والمواجهة سوى أحمد بهاء الدين، الذى كتب يقول: «الكلام عن إزالة الحق ليس بالقول ولكنه بالعمل، ليس بوعظ المحرومين، ولكن بإعطاء القدوة فهذا وحده هو الذى ينزع أسباب الحق، ولا تعود التربة الطيبة تنبتها من جديد».

ويقول أيضا: «إن الذين يأكلون الخبز الفاخر وينسون شكل رغيف الشعب، والذين ينفقون عرق الناس فى استيراد أفخر الثياب والكماليات وينسون ملابس الشعب. والذين يسرقون هم طبقة دخيلة، مبتلة..

»ثم يطالبون المواطن الذى لا يجد حتى الماء ولا الصرف الصحى، أن تتخلص نفسه من «الحقد»، أى حقد يأسادة، وقد صارت هناك ملايين لسان حالها يقول: «أنا الغريق فما خوفي من البلل».

والمطالبة المشروعة بالحق - فى رأى بهاء - «ليست هى الحق الذى يتحدث عن الرئيس» و«الحقد لا يولده أكثر من الظلم ولا يقتله أكثر من العدل».

*** المعركة ضد الفساد**

وشهر أحمد بهاء الدين قلمه لمحاربة الفساد بلا هوادة فى وقت كان البعض يعتبر فيه أن الكشف عن الفساد هو «تشويه

لسمعة مصر»! ورد بهاء فورا على هذا الهراء قائلا :

«يقولون محاكمة الفاسدين ومطاردتهم «تشويه» لسمعة مصر. وهو قول مريود لأن اقتلاع الفساد هو الذى يظهر سمعة البلد ووطنيا وسياسيا واقتصاديا ، وقيام النظام على العدالة والطهارة هو الدعاية الحقيقية لأى بلد».

وفى السادس من نوفمبر عام ١٩٨٢، طالب أحمد بهاء الدين بنشر نص مضبطة الجلسة الرابعة والعشرين من جلسات مجلس الشعب - المعقودة يوم ٢٩ يناير عام ١٩٧٩، أى قبل ثلاث سنوات من نشر مقاله. ولم ينتظر بهاء أن يتم نشر نص المضبطة، وتولى - هو- نشره لكى يزيع الستار عن الوجه القبيح للفساد فى مصر، وفى الجلسة المشار إليها، وقف النائب «عادل عيد» وقال:

«أطالب بأن يقدم الأشقاء والأقارب والأصهار، حتى الدرجة الثالثة، لكل مسئول فى هذا البلد إقرارا بثرواتهم قبل أن يصل قريبهم أو صهرهم إلى مركز السلطة وبعد أن يصل.. حتى الآن، وأن تنشر هذه الإقرارات فى الصحف على الملأ، فقد تبين أن شخصا ما لم يكن يمتلك شيئا ومؤهله كذا وعمله كذا، ثم أصبح يشار إليه بالبنان، وتلوك الألسنة أنه يربح الملايين أو مئات الآلاف من الجنيهات فى غمضة عين».

وعندئذ انتفض فكرى مكرم عبيد، نائب رئيس الوزراء وممثل
الحزب الحاكم، ليرد على عادل عيد قائلاً :

«مثل هذا القول الذى ورد على لسان العضو عادل عيد
يتساوى فى أنه إلقاء للاتهامات والتشكيك بغير دليل مع ما قاله
من أن هناك أصهار ومحاسيب وأنسباء يلاقون معاملة متميزة.
وهذا كلام غير مقبول».

ووقف حلمى عبد الآخر، وزير الدولة، فى نفس الجلسة ليقول:
«إنه يؤلمنى أشد الألم أن تكون النغمة السائدة بين البعض هى
التشكيك فى كل من يتولى وظيفة عامة، وأنه لا يليق أبداً أن
يفترض عدم النزاهة والانحراف فى سلوك كل موظف عام».

وعاد النائب عادل عيد يقول «إن هذا الأمر عظيم. وأرجو أن
يثبت فى مضبطة هذه الجلسة أن لدى أسماء محددة لأشخاص
استغلوا صلاتهم وقراباتهم لبعض كبار المسئولين فى الدولة،
وأثروا من وراء ذلك ثراء فاحشاً وإنى مستعد أن أقدم الاسماء
أمام لجنة برلمانية لتقصى الحقائق».

فكرى مكرم: «ما يقوله النائب فيه تجريح لبعض الأشخاص»
النائب: «ما قلته لا ينطوى على تجريح لأحد لأن لدى أسماء
محددة».

رئيس المجلس: «على السيد العضو أن يقدم الأسماء لأمانة

المجلس، وإذا اقتضى الأمر إجراء تحقيق برلماني».

وبعد أن استعرض بهاء الدين تلك الوقائع في جلسة مجلس الشعب، يقول إنه في يوم ٢٠ يناير ١٩٧٩، قدم عادل عيد خطاباً بأسماء خمسة أشخاص من أشقاء وأقارب وأصهار بعض المسؤولين الذين يتهمهم باستغلال النفوذ..

ولم تتألف لجنة تحقيق برلمانية، ولكن الذي حدث بعد شهر قليلة هو أنه تم حل مجلس الشعب كله، وأجريت انتخابات جديدة أسقطوا فيها عادل عيد صاحب اللسان الطويل، وبعد ذلك اعتقل عادل عيد مع ١٥٠٠ آخرين من المعارضين، ويضيف بهاء إلى ذلك أن الغريب أن الصحف اليومية لم تنشر في اليوم التالي لجلسة مجلس الشعب المذكورة بكلمة واحدة إلى ما قاله عادل عيد في الجلسة

*** الهول العظيم**

ما هو تعليق أحمد بهاء الدين على هذه الواقعة؟ يقول: «كرامة البلد هي في مطاردة الفساد، وليست في السكوت عنه ومطاردة المتحدثين عنه كما يدعى بعض الناس».

وقد عانى أحمد بهاء الدين الكثير من جراء حملاته مع الفساد حتى أنه لم يجد أمامه سوى قرائه لكي يفضي إليهم بهمومه. كتب يقول :

«حزب الدفاع عن الفساد- كما يقول الجبرتي- لهم هول عظيم وصياح جسيم» وهم موجودون في كل مؤسسات الدولة والرأى العام. وحين بدأنا نكتب عن الفساد، لم نجد منهم إلا سب الدين والتكفير...»..

ويفضل بهاء - رغم ذلك- استخدام أسلوب الإقناع الرصين الذى اشتهر به، فيقول: «هناك الكسب المشروع، والكسب غير المشروع، وأصحاب الكسب المشروع لاخوف عليهم ولا هم يحزنون، بل أن مصلحتهم أن تتطهر صفوفهم من أهل الكسب غير المشروع.. الذين جعلوا ، بسبب وجودهم، الكثير من الناس تمزج الثراء بالفساد.

*** مأساة القيم**

وترتب على الانفتاح الاستهلاكى والرغبة فى الثراء السريع بأى طريقة والتسابق على جنى الأرباح بطرق غير مشروعة.. انهيار فى القيم داخل المجتمع المصرى.. واعتبر أحمد بهاء الدين أن هذه الظاهرة المفزعة من القضايا الخطيرة التى يجب عليه أن يتناولها باستفاضة فى كتاباته، فقام بتصعيد حملاته ضد الإثراء عن طريق النفوذ، وإزاحة الكفاءات وعدم وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب .

وكتب يقول: «لقد سادت قيم غريبة بين الناس، لم تعط

القانون أجازة فحسب، بل طردته واحتقرته ودأسته بالأقدام.
وأخذتهم العزة بالاثم، وصار التباهى بالمال الحرام مألوا -
ويا للعجب- لأن القيم الغربية ترى فى هذا شطارة.. وترى أن
كل من وقع تحت أنقاض العمارات المنهارة ..إنسان «خائب»

*** الفيلسوف وتاجر السمك!**

وبأسلوبه الطريف واللاذع فى نفس الوقت، يقول:
«حياة المرء اختيارات. من حقه أن تجرب أن تكون تاجر
سمك وتكسب، ومن حقه أن تكون فيلسوفا وتجوع! لكنك لن
تكون فيلسوفا وتكسب ثروة تاجر السمك فى وقت واحد»..

*** المجتمع الاستهلاكى والعنف**

وهو يعتبر المجتمع الاستهلاكى سببا من أسباب انتشار
العنف لأنه خلق قيما أخرى صار الفرد فيها يقاس مقداره بما
يملك من سيارة أو يرتدى من ثياب أو يجارى من مروضات
وتقاليع. هذا أولا. أما ثانيا، فلأنه حيث يتكدس هذا كله فى
المدينة الكبيرة، ويتكدس الناس فى نفس المدينة، بنجاحهم
وفشلهم وشراحتهم أو تعجلهم أو نقمتهم.. نجد البعض يرتكب
العنف ليكدر على هؤلاء الآخرين صفو حياتهم، والبعض يرتكب
الجريمة ليحصل على أى مال سريع يحقق بواسطته ما يريد،
ويطفىء به بعض شهوات نفسه التى يثيرها كل شىء، والبعض

يفلسف الأمر فتتكون الجماعات السرية التي لا ترى سبيلا لها
وسط هذا الخضم الهائل إلا العنف .

وفي معركة «القيم»، يدعو بهاء إلى نمط جديد من الحياة
وقيم جديدة للسلوك، وإلى وقف عملية «نهش المال من لحم البلد
وليس من زيادة إنتاجيتها» ووضع حد للسلب والنهب وأعمال
الوساطة والنفوذ».

واخترع بهاء تعبیر «الجهل النشيط» وأصحابه هم الذين
وصلوا في بلادنا إلى كثير جدا من مراكز التأثير ، كبيرها
وصغيرها، وهذا ما يجعل الإصلاح بالغ الصعوبة، بعد أن
تراكمت أهرامات من عدم الكفاءة، فكل فرد لا يأتى إلا بمرفوس
أقل من مستواه حتى قاع الهرم.

*** مرض «العظמות»**

..وانتقادات موضوعية كثيرة في قضايا عامة عديدة.. وردت
في كتابات أحمد بهاء الدين:

* انتقد إسراف مجلس الشعب في اللجوء إلى تمرير وإقرار
مشروع قانون ما جلسة واحدة أو جلستين.. وأحيانا «في لمح
البصر» وانتقد الذين يقومون «بتفصيل» القوانين دون دراية
«بموضوعها» ودون أمانة «لروحها».

* وانتقد تعيين المحافظين من الحزب الحاكم، وانفراد هذا

الحزب بتنظيم الشباب وكثير من المناصب التي لا يجب أن تكون ميزة تضاف إلى سطوة الحزب الحاكم.. أى حزب حاكم.

* انتقد شيوع عرقلة تنفيذ أحكام القضاء فى طول البلاد وعرضها، والتجريف المستمر للأراضى الزراعية، وعدم الفصل بين السلطات الثلاث : التشريعية والتنفيذية والقضائية، ووجود «ثقوب» فى كل قانون يصدر عندنا .

* انتقد الإسراف المظهرى وانعدام التنسيق بين أجهزة الدولة.

* انتقد ظاهرة البطالة المقنعة ووجود مئات الآلاف فى كشوف المرتبات دون أن يكون لديهم ما يقابل مرتباتهم من عمل. وتساعل عما يفعله مائتا ألف ساعى وفراش فى دواوين الحكومة، وطالب بإعادة توزيع القوة العاملة.. وبالاستثمار البشرى أى المزيد من الاستثمار للطاقات الإنسانية ، وجعل المواطن أكثر إنتاجية.

* انتقد استعمال اللغات الأجنبية بالحروف العربية وكل ماصاحب «الانفتاح» من أشياء فجأة وغثة تبدو بوضوح فى إعلانات الشوارع، وطالب بوضع قواعد للسلوكيات فى الشارع المصرى.

* انتقد ظاهرة مئات الآلاف من الشقق المغلقة وسط أزمة

الإسكان الخائفة.

* انتقد مرض «العظُموت» «الإحساس المغالى فيه بالعظمة» الذى يبدأ فى بلاد العالم الثالث من رئيس الدولة ويتسلل إلى كافة مستويات الدولة .

* انتقد أهوال البيروقراطية و«ختم النسر» وإهدار الوقت وجماعات الضغط.

* حمل على الاحتكار حملة شديدة ، واستعان بمقدمة «ابن خلدون» ليهاجمه. ونقل عن المقدمة «ان احتكار الزرع لتحسين أوقات الغلاء مشنوم»، فهو يعتبر «أخذا لأموال الناس بالباطل».

* انتقد الذين يشنون الحملات على السد العالى ويحاولون أن يجعلوا منه «حائط مبكى» فى حين أنه انقذ مصر من الجفاف ويعتبره العالم عملا هندسيا فذا .

* انتقد غياب التخطيط وعدم احترام الأولويات.. وانتقد الرافضين للتقشف، وقال أن التقشف لا يكرهه المتقشفون فعلا اذا رأوا أنه نمط للمجتمع كله ولا تدفع ضريبته الفئات المرهقة وحدها.

* انتقد كافة الذين لم يدركوا بعد أننا ننتقل من عصر الجمود إلى عصر الحركة والاكتشاف .

وتعرض أحمد بهاء الدين للاتهام بإثارة البلبلة وتهيج

الخواطر لأنه حذر من خطر أزمة المياه، وقال أن القرن القادم مرشح لأن يكون قرن الصراع على الماء في أماكن كثيرة منها حوض النيل ومنطقة الشرق الأوسط. وانتقده مسئولون بطريقة غير مباشرة لأنه قال «الآن صار علينا أن نعرف أن الماء سيصبح ثروة محدودة، فيها شركاء، ولها حدود في طرق استخدامها، ولها توزيعات دقيقة».

واليوم يردد المسئولون عندنا نفس ما قاله بهاء الدين.

*** نعمة لـانقمة**

وبصدد قضية تنظيم النسل.. اتخذ بهاء موقفا متميزا. فقد اعتبر أنها مسألة مقرونة بالوعي وبالاختيار لا بالإجبار، وأن هذا التنظيم لن يتحقق بسرعة. وأكد على فكرة أن الامتحان الكبير لأي مجتمع هو قدرته على تحويل أفراده إلى منتجين ورفع كفايتهم الإنتاجية..ساعاتها يتحول البشر من عبء إلى ثروة ومن استهلاك إلى رأسمال. أنه يريد تحويل زيادة السكان من نقمة إلى نعمة عن طريق الاستثمار الإنساني.

*** ديمقراطية الكفاءة**

ومن بين أهم القضايا التي اتخذ فيها أحمد بهاء الدين موقفا واضحا بلا تردد.. قضية دفاعه عن حق الشعب في التعليم.. لأن التعليم «ضرورة لكي يتحمل كل مواطن دوره في الحياة بشكل

أحسن وأجود وأنفع وأمتع».

ورد تلميذ طه حسين على الذين أصبحوا يهزأون من سياسة العميد القائمة على أن التعليم كالماء والهواء.

قال.. «فعلا كالماء والهواء. الكلمة التي يتعامل معها البعض الآن كأنها نكته. كأن تعليم الشعب ترف! كأن هناك شعبا يمكن أن يكون له مستقبل دون تعليم».

غير أن بهاء يستدرك لتقديم إيضاح ضرورى ليجرد خصوم التعليم من أسلحتهم، فيقول :

«البعض يخلطون- وأحيانا عمدا- بين مجانية التعليم وفساده. مجانية التعليم معناها أن التعليم حق القادر وغير القادر. وليس معناها أن يتلوث التعليم ويفسد ليس معناها المقررات التى عفى عليها الزمن ولا السماح بالغش، ولا السماح بتكرار مرات الرسوب أكثر مما يجب المجانية معناها أن تكون الفرصة للكفاءة لا للقدرة المالية المجانية هى ديمقراطية الكفاءة لا ديمقراطية الوراثة. أن ينال الفرصة المؤهلون لها عقلا وجهدا، فتكون أقدار البلاد فى يد أكفأ أبنائها».

* معركة الأجيال

وقدم أحمد بهاء الدين مساهمته الفكرية فى قضية الصراع بين الأجيال. كتب فى اغسطس عام ١٩٥٩ :

«طه حسين يلوم جيلنا لأنه لم يقرأ وينقب فى كتب الأدب العربى القديم كما قرأ طه حسين وبحث. وهذا صحيح! فأننا لم أنقب وأعرق فى دراسة أبو العلاء المعرى مثلاً لى أحاول أن أفهمه، ولكننى فهمته بسهولة من دراسات طه حسين فالفرق بين ها الجيل وجيل طه حسين أن هذا الجيل بدأ من طه حسين! وأن عليه أن ينتهى إلى أبعد مما انتهى إليه طه حسين. وهذه هى سنة الزمن والتطور»

ويستخلص بهاء من ذلك «أن كل جيل .. يكتشف دائماً أنه يعرف أشياء لم يعرفها الجيل الذى سبقه.. وأن لديه أفكاراً لم تخطر ببال الذين جاؤا قبله.. وأنه هو المستقبل.. وتكون النتيجة أن ينتابه الغرور أو يعتبر أن الذين سبقوه.. خلاص راحت عليهم! وهذا وحده كاف لاستفزاز غضب الجيل القديم».

ويقول بهاء «أن المسألة كلها أبسط من ذلك.. فلا يوجد جيل أحسن من جيل، ولكن كل جيل هو ابن عصره.. ونحن الآن فى عصر جديد يصنعه جيل جديد، جيل له صفات لم تكن للجيل الذى سبقه لأنه جاء بعد الجيل الى سبقه ولأنه استفاد من الجيل الذى سبقه».

* رجل الأفكار

ولا تزال دعوة أحمد بهاء الدين إلى النضج الاجتماعى هى الأقوى، ودعوته إلى أن ننقد أنفسنا كشعب، ودعوته إلى إعطاء القدوة الصحيحة الحقيقية التى تقنع المواطن بدلا من المناداة بأى شعارات .

كذلك دعوة صاحب هذا الفكر الطليق إلى تنمية حاسة التدقيق، خصوصا لدى الشباب، وإلى ترقية الذوق العام والأخلاق الاجتماعية وعبور حاجز اليأس والأتكال. إنه يعرف كيف يحشد الأمة فى ساعة الخطر، ويتجاوز المتناقضات التى تعد فى تلك المرحلة «ثانوية» ويتقن حرفة العثور على نقط الالتقاء. فالمفكرون ، من طراز أحمد بهاء الدين، مسئولون عن وجدان الأمة وضميرها وعقلها وقيمها وفى ساعات الخطر تتحدد مسئوليتهم بأن يكون جدلهم حوارا، ولكن الحوار المفيد، سواء فى ساعة الخطر أو فى الظروف العادية يعرف طريقه إلى قضية بناء المجتمع ورسم علاقاته الاجتماعية وهو حوار لا يبدأ مطلقا من تجاهل الواقع، ولكنه يبدأ من الاعتراف به وتحليله ثم، بالتالى، مواجهته.

ولاعجب فإن من يفعل ذلك رجل بسيط من أصحاب الأقلام النظيفة المثقفة المستنيرة أحب بلاده وشعبها (هو) على حد قوله (هو نفسه) من «السذج» الذين «عاشوا بالأفكار والذين سيموتون بها».

(١)

الأستاذ بهاء وكفى

يوسف القعيد

أول مرة أسمع من يناديه بغير الاسم الذى تعودنا على مناداته به، عندما كنا فى إحدى الندوات. وسمعت الأستاذ هيكل يناديه يا أحمد، رنت الكلمة فى أذنى، كم بدت غريبة، لدرجة أننى تصورت أن هيكل ينادى إنسانا آخر غير الأستاذ بهاء.

لا أحد فىنا يختار اسمه الأم والأب والأهل هم الذين يقومون بهذا ونحن قطع لحم حمراء فى اللفة. ولكن هذا الاسم بمرور الوقت يصبح جزءا من نسيج الشخصية. بل إن هذا الإنسان عندما نفكر فيه. يبدأ التفكير من خلال اسمه.

الأستاذ «بهاء» كلمتان تجسدان هذا الإنسان البديع والنادر والعذب والفذ وتجسدان أيضا رسالته فى هذا العالم والدور غير العادى الذى قام به، وما زلت فى انتظار أن يعود لنا مرة أخرى من فراش المرض لنقرأ له ونسمعه ونشرب رواه التى كانت تعيننا خاصة فى الأزمة العصبية على أن نتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود.

عندما جلست أكتب له أول إهداء على روايتي الأولى «الحداد» لم أفكر طويلا في الصيغة التي أقدم روايتي له بها، والإهداء عندي ليس حلية أضعها في صدر الصفحة الأولى من الكتاب وتدوين الإهداء ليس علاقات اجتماعية، بقدر ما هو محاولة لتحديد موقفى من المهدى إليه ورأى فيه.

كتبت يومها إلى المفكر الفنان الأستاذ بهاء وكفى بعد كل هذه السنوات أتوقف أمام المفكر الفنان وأدرك أن ذلك - من وجهة نظرى - يلخص تجربة هذا الرائد العظيم بكل دقة تامة. وكلما مرت السنوات وكثرت الأيام أصبح لدى يقين أن هذا الإنسان جاء إلى العالم من أجل أن يكون مفكرا وأن يكون فنانا بنفس الدرجة والقدر. نصفه فكر ونصفه فن. من الصعب القول إنه أى فكر وأى فن ولكنهما معا - الفكر والفن - لهما مواصفات شديدة الخصوصية. وهما سر الدور الهام الذى لعبه الأستاذ بهاء وجعله واحدا من القلائل الذين يسكنون تلافيف عقلى الواعى، وحتى لاشعورى نفسه.

الأستاذ بهاء: لا أعرف من أين يأتى هذا الإحساس كلما جلست معه واستمعت إليه. يخيل إلى أنه كان من المفروض أن يصبح قصاصا أو روائيا، كانت لديه دائما تلك القدرة غير العادية على الحكى. حكاى من الطراز الأول، يقول ما عنده دائما على شكل حكاية أو حديثه. بطريقة حكى فريدة وهامة، والقدرة

على الحكى هى الكلمة الأولى لكى يصبح الإنسان قصاصا أو روائيا والخامة كانت عنده وكان يمارسها يوميا. فى حكاياته الشفهية كل مقومات القص الذى لا ينقصه شىء. وإن كان لابد من الاعتراف أننى لم أناقش معه أبدا حكايته مع القص أو الحكى، أقصد القص المكتوب وموقفه منه. ولماذا لم يتطور الأمر إلى محاولة الكتابة أبدا وربما كانت عقدة بعض المحاولات التى لم نسمع عنها أو نقرأها .

فى اللقاءات الأخيرة قبل أن يدهمه المرض لاحظت أن هذا الحكى قد بدأ يتجه اتجاها جديدا. كان الرجل يفتس فى برميل ذكرياته القديمة. يخلق بعيدا مع هذه الذكريات من خلال حكى موضوعه الأساسى وهو الذكريات البعيدة. وخلال الحكى تستيقظ شخوص ويعاد خلق أحداث. هى فى النهاية ملحمة مصر والوطن والعالم فى نصف القرن الأخير. من منظور رؤية كاتب هام لهذه الأحداث وتلك الوقائع ..

الأستاذ بهاء: يمثل بالنسبة لى تلك القدرة الرائعة على التفكير من خلال عمليات تفكير منطقية ومنظمة بعيدا عن الانفعالات والطرششة العاطفية. مع رفض قاطع للإمساك بالأمور من طرف واحد ورحابة نادرة قادرة على إعطاء الآخر العذر الكامل فيما يذهب إليه كنت أحسده على تلك القدرة التى تمكنه من الوصول فورا ورأسا إلى جوهر أى قضية مع عدم

الفرق فى التفاصيل التى نعانى جميعا من الغرق فيها والتى تبعدنا عن كل ما هو جوهري فى الواقع: كان يفرق خلال حديثه- وبن أن يبدو أنه يعتمد ذلك- بين الثوابت والمتغيرات الثوابت لاتقبل أى نقاش والمتغيرات يؤثر عليها كل موقف طارئ، لكن ثوابت بهاء لم توصله أبدا إلى حالة من التحجر والجمود فى أى مرحلة من مراحل تطوره الفكرى.

الأستاذ بهاء: رأيت فيه فهما حقيقيا للتقدم والاستنارة دون إسقاط البعد الإنسانى لهما أى أنهما لم يظلا مجرد شعارات مرفوعة. ولكن بعد أنسنتهما كانت له مواقف ضد التخلف والظلام والضباب.. والعصور الوسطى فيها اضاءات هامة ولكن أيضا فيها ذلك القدر الهائل من التخلف، ولكن الأستاذ بهاء كان قادرا على فرز كل ما هو مضيء وسط كومة كل ما هو متخلف.

الأستاذ بهاء: كل هذا الجمال والبهاء كان له موقف من عناصر الجمال فى حياتنا والبحث عنها وإبرازها، ولو فعل كل منا هذا لطاردنا القبح والدمامة. ورغم فكره التقدمى وحسه الاجتماعى الأصيل وإيمانه بالعدل الاجتماعى، وضعفه فى مواجهة الفقراء، إلا أن ذلك لم يكن يتناقض مع أن يعيش هو كما تعيش الصفوة. صفوة العاصمة، إحساسه بالجمال يتجلى فى ملبسه ومسكنه وأهل بيته وأصدقائه والذين اقتربوا منه وتعلموا على يديه كان يدرك أن الحياة على ظهر الأرض قصيرة

وعابرة ولا بد أن تصل إلى نهايتها ذات يوم ولا بد من تحويلها إلى شيء جميل وعذب. الوطن في مجمله هو إمكانية الفأس والأرض والزمان والناس مع ضرورة أن يتحول كل هذا إلى مصنع للسعادة.

الأستاذ بهاء: إنه من ذلك النوع من الناس الذي يتسلل إليك، لا يقتحم الوجدان مرة واحدة، ولا يحتل الخيال في غمضة عين، ولكنه المتسلل بهدوء شديد، وما أن يتمكن من الفؤاد حتى يبقى لا يخرج أبداً ولذلك يمكن القول إن تلاميذه أكثر من أن يحصيهم العدد. المشكلة أن أستاذيته تختلف عن أستاذية الآخرين. أستاذية تهدد استقلالية التلميذ، تجعله في النهاية - مثل نباتات الظل، وتلك بعض أزمات الذين استقر بهاء في حبه العقل منهم. يسير الإنسان - منهم - في أي طريق لكي يجد الأستاذ بهاء في آخر الطريق مهما حاول واجتهد وتعب فؤاده.

الأستاذ بهاء: كثيرة هي لحظات الضعف الإنساني التي شاهدته عليها. وهي اللحظات التي يصبح فيها الإنسان إنساناً قبل أي اعتبار آخر. عندما نخلع جلودنا الاجتماعية من فوقنا ويتحصن كل منا بأخر حصونه: إنسانيته.

عندما بدأ المرض يهدد عينيه كنت عنده. وكان يتحدث عن قيمة العين بالنسبة إليه، تصورت أنه سيتحدث عن الكتابة ولكنه قال لي إن القراءة أكثر متعة من الكتابة نفسها. وبدون قراءة

حقيقية لايمكن أن تكون هناك كتابة فعلية، قال لى إن نعمة
البصر إننا نرى من خلاله «الوجه الحسن» الذى ورد فى بيت
شعر لعبرى من شعرنا، قيمته الأساسية- أقصد الأستاذ بهاء
بالطبع- أنه أغلق بالضبة والمفتاح الباب على كل ادعاء وعاش
كإنسان.

الأستاذ بهاء لايمكن أن أقول لك كل سنة وأنت طيب فقط
ولكن متى تعود لنا. بهاء لا يمكن أن يجلس على مقعد الغياب
أبدا. ملح البعاد لايمكن أن يقترب من كل الأشياء الجميلة التى
يمثلها الأستاذ بهاء. أقول لك، مكانك ما زال وسيظل شاغرا.
ومقعدك يبقى خاويا مساحتك ستظل فارغة. حتى يطل علينا
زمن عودتك لنا. وإيابنا نحوك. فمتى... متى... متى؟!

(٢)

«بهاء» أديبا وفنانا وناقدا

إن الأديب العظيم مرآة لعقلية عصره كله. فإذا حصر نفسه في فرع واحد من فروع المعرفة. فهو يصبح صاحب حرفة وليس أديبا عظيما.

أحمد بهاء الدين زيارة لمكتبة توفيق الحكيم

الهلال - فبراير ١٩٦٨

لعل جزءا من أسباب إنتشار الفيديو هو أنه مكتبة من نوع

جديد

أحمد بهاء الدين. في الانحطاط الثقافي

العربي ديسمبر ١٩٨١

«إن كثيرا من الذي كتب عن موت صلاح عبد الصبور كان

تأبينا خبيثا له. خطته أقلام عبرت عن فرحتها باختفائه بالسير في جنازته».

أحمد بهاء الدين كيف مات صلاح عبد الصبور

العربي . نوفمبر ١٩٨١

كان سيد درويش عظيما من حيث عبقريته الفنية البحتة كما
كان سيد درويش عظيما من حيث إرتباط كل تراثه الموسيقى
بأعمق نبضات الشعب المصري

العبث بتراث سيد درويش ١٩٨٢ .

«الفة لم تكن أبدا محايدة»

كلمات فقدت سمعتها فى حياة لغتنا الجميلة

هذا قليل من كثير، مجرد إشارات عابرة من نتاج زاخر
وضخم يعكس إهتمام صاحبه بالفن والفكر والأدب. لدرجة أننى
عندما أعدت القيام بهذه الرحلة بين كتاباته . خيل إلى أن
الأفضل والأحسن هو أن نعيد قراءة ما كتبه لكى ندرك حقيقة
موقفه من الأدب والفن والفكر وأن هذا ربما يكون هو الطريق
الأقصر إليه .

المشكلة أن معظم هذا النتاج لم يجمع بعد . والكتب لم تجر
إعادة طباعتها بصورة منتظمة. ولذلك فإن العثور على نتاجه
يبدو مسألة صعبة للمتخصصين فما بالك بالقارئ العادى الذى
لا يجد الوقت ولا الاستعداد للبحث عن هذه الأمور فى أماكنها
التي ربما كانت متناثرة متباعدة .

على أنى أحب البدء بأحمد بهاء الدين الإنسان قبل الكاتب. وهذا يضطرنى إلى الاستهلال ببداية شخصية . مع أنى لا أحب هذا . والبداية نفسها قد تكون لها محاذير كثيرة. فقد أبدوا أمام الآخرين كما لو كنت أحول أحمد بهاء الدين - شفاه الله من مرضه وأعادته لنا بأسرع ما يمكن- إلى فرصة لكى أتكلم عن نفسى. مع أن هذا أبعد ما يكون عن تصورى .

لكنى أؤمن دائماً أن الإنسان هو حجر الزاوية فى تجربته وسأبدأ محاولتى- وهى ليست أكثر من محاولة- بذكر اللقاء الأول. واللقاء الأخير معه. وتعبير الأخير أقوله تجاوزاً لأن لدى حدس صوفى أنه لا بد وأن يعود إلينا ذات يوم. نسمعه ونتكلم معه. وأعتقد أن هذا لا بد وأن يحدث ذات يوم .

قابلت الأستاذ بهاء- هكذا كنت أحب أن أناديه وكان يفعل غيرى- لأول مرة فى مكتبه بدار الهلال- فى الأيام الأخيرة من السنة الأخيرة من عقد الستينات من هذا القرن. ورأيت الأستاذ بهاء لآخر مرة- تجاوزوا- فى بيته قبل أن يحول المرض الأخير بيننا وبينه. وكان ذلك فى أواخر سنة ١٩٩٠ .

أعتقد أن المسافة بين فعل قابلت الذى إستخدمته فى وصف اللقاء الأول. وفعل رأيت الذى إهتديت إليه فى الإشارة إلى اللقاء الأخير. هذه المسافة تعكس رحلة الرجل من الصحة إلى المرض بكل دقة. وهى نفسها المسافة من المقابلة إلى الرؤيا .

فى المرة الأولى طلب بهاء- ولنترك الألقاب جانباً فالرجل كان أكبر من أى لقب- طلب أن أنصب إليه. كنت قد تركت له روايتى الأولى «الحداد» ولم أكن أتصور أن الرجل يمكن أن يقرأ رواية بدائية الطباعة رديئة الورق لكاتب لايعرفه .

كان بهاء فى ذلك الوقت هو الرجل الثانى فى صحافة عبد الناصر بعد محمد حسنين هيكل. الذى كان وما يزال وسيظل الرجل الأول ليس فى صحافة مصر وحدها. ولكن فى صحافة الوطن العربى والعالم الثالث.

ومع هذا حدثت المفاجأة . قرأ الرجل الرواية وأرسل فى طلبى . وكان فى لقائه ودودا ودافئاً ويتعامل بمثل حنو الأب. قال لى أن نشر روايتى التالية مسئوليته سينشرها فى روايات الهلال السلسلة الشعبية المعروفة . بل وأقدم سلسلة تنشر الروايات فى الوطن العربى كله .

كنت مجنناً فى القوات المسلحة فى ذلك الوقت. حيث عاصرت صدمة يونيو ويقظة أكتوبر وقال لى بدقة واختصار أما مكانك بعد الجيش فهو هنا فى المصور «فى الحفظ والصون» .

كان أول ما لفت نظرى فى مكتبه هو ذلك المستوى الرفيع و هذا الذوق النادر والبساطة وعدم الزحام . وتناسق الألوان. ذلك أن علاقة كل لون بالآخر تحاول أن تقول شيئاً. والمكتب يخلو

من أكوام الورق والملفات التي تكون مبعثرة على مكاتب رؤساء التحرير لكن تعطى الانطباع أن من يجلس على هذا المكتب مشغول بقضايا الكون الكبرى .

كم أن صاحب المكتب مفكر وكاتب. ولكن من نوع جديد فالشعر أقصد شعره ليس منكوشا. ونظرات العينين ليست زائغة والملابس مكويه ومنتقاه ومختاره بعنايه. وعند الكلام ثمة قدره فريده على إنتقاء الكلمات المعبرة عما يريد أن يقوله بدقه. وفي الوقت الذي مكثته في المكتب رأيت تنظيما دقيقا. لم يدخل أحد إلا بعد خروجي. وعبقريه صاحب المكتب أوصلت إلى رسالة بالوقت المحدد لي دون أن يقال هذا. ومن التليفونات التي رد عليها. كان الاهتمام بالفن والأدب والفكر يسبق بمراحل الاهتمام بقضايا السياسة التي من المفروض أنها اهتمامه الأول .

لقائي معه في بيته كان على مشارف الدخول إلى نفق المرض الأخير. وعندما إتصلت لتحديد موعد قالت لي السيدة «ديزي بهاء الدين» زوجته. أنه من المستحسن حضوري مع أحد الأصدقاء المشتركين . حتى نتحدث معا ولا أرهق بهاء بالكلام المباشر معه. لأنه يمكنه فقط المشاركة «على خفيف» في حديث يدور أمامه. سألت عن موعد زهاب الصديق مصطفى نبيل إليه. وعرفت أنه يتردد على البيت كل يوم تقريبا. بدون مواعيد محددة

سلفا . وليست له أوقات يبقى فيها عندما يأتى .

اخترت أن أذهب فى المساء الذى سيذهب إليه فيه الفنان عبد الغنى أبو العينين وزوجته السيدة رعاية النمر . كان ذلك جميلا بالنسبة لى . فعبد الغنى ورعاية صديقان على البعد . وهما يحتلان مساحة فى قلب بهاء أعرف سعتها وعمقها .

عندما هل علينا بهاء فى الصالون الصغير الموجود خلف باب شقيقته .. كانت صحته الجسدية جيدة . وكان قد حلق ذقنه وشعره الثقيل الأقرب إلى الأكرت يغطى رأسه بغزارة يحسده عليها إنسان مثلى سقط شعر رأسه قبل الأوان .

جلس بيننا ، أنا على يساره وعبد الغنى أبو العينين على يمينه ورعاية النمر جلست مع ديزى فى مكان قريب منا . كان صدام حسين قد دخل جيوشه الكويت فى ذلك الوقت . فكان حديثى مع عبد الغنى أبو العينى يدور حول هذا الموضوع .

قلنا أنا وعبد الغنى ما نعرفه . وهو على الأغلب الأعم المعلن من الأخبار مع توليفه من بعض النميمة التى لاتعرف طريقها إلى الإعلام الرسمى . ولكن تبقى جزءا من الإعلام الشعبى . المتحرك من خلال ألسنتنا . وكل هذا على خلفيه من تحليل كل منا لما يجرى .

كان بهاء يستدير ناحية الذى يتكلم منا . وعلاوة على

الانصات الجيد. فقد شارك على البعد. بكلمات قليلة وتفاصيل مبعثرة. كنا نجلس فى صالون صغير. وكان يطل علينا جهاز تليفزيون ضخم. لم أر أضخم منه فى حياتى حتى الآن. كان يعرض الأحداث التى نتكلم عنها. وكانت نظرات بهاء من تحت نظارته التى توشك أن تصبح جزءا من وجهة موزعه بين ما نقوله وما نراه على الشاشة. التى كانت تطل علينا كما لو كنا نجلس تحت الأهرامات نفسها.

نظرت إلى بهاء متعجبا. لو كان الرجل من وضعه الطبيعى لحكى لنا وعاد بالأمور إلى جذورها الأولى. وقدم رؤية تتجلى فيها قدرته الثاقبة القادرة على الوصول إلى جوهر أى موضوع مع ذكريات حميمه مع أطراف الأزمة. كان من الصعب ضبطه متلبسا بحالة إنحياز عاطفى لاتسندة حيثيات عقلية ومنطقية، وإن كان بهاء جزءا من الذى كان يجرى.

وكنت قد ذهبت إلى بيت بهاء قبل ذلك أكثر من مرة والبيت قطعة من الذوق الرفيع. اللوحات المعلقة على الحوائط أصليه. فيها إحساس نادر بالفن تعادى أنواق محدثى النعمة وتطاردهم، الذين يعلقون على الحوائط أية أشياء بدلا من تركها عارية.

والمكتبة تعكس الاختيار النادر لايوجد كتاب واحد كان يمكن الاستغناء عنه. والأثاث الموجود فى الصالة الكبيرة جزء من هذا الجو. الذى يشعر الإنسان أنه يجلس فى متحف .

قد يكون لزوجته السيدة «ديزى» دور فى هذا . وربما لعب
زياد إبنه دور ما . وقد يكون لليلى إبنته دور معين ولكن يبقى
الأصل هو الرجل صاحب البيت .

يقول بهاء عن حب الكتب :

وقد عرفت هذا النوع من حب الكتب الذى بدأ طبعاً بحب
القراءة وأنا حبى شاب، فى دار الكتب أو بالاقتراض . ثم تطور
حب اقتناء الكتب وليس الاكتفاء بقراءتها وكان المرء حين يقتنى
الكتاب فإنه «يمتلكه» كما يمتلك أى معشوق .

وبهاء لم يكن يقوم بكل هذا كنوع من الترف . أو المنهجة
الاجتماعية . ولكن كإختيار يخص صاحبه . أذكر مرة عندما طلب
بهاء من صديق مشترك أن أطلبه تليفونيا قابله . عرض على
العمل معه فى مجلة الشموع التى يتولى تأسيسها مع صاحبها
الدكتورة لوتس عبد الكريم وقد اعتذرت له يومها . لأننى كنت وما
زلت وسأظل ضد التوسع فى أى عمل صحفى على حساب
الوقت الذى يمكن أن أخصصه للأدب . قال لى أنه يتفهم بوافعى
ولكنى عندما سألته : لماذا يتولى مسئولية إصدار مجلة وهو
الذى شبع من تأسيس الجرائد والمجلات الناجحة .

قال لى :

- إن ما ينقصنا فى هذا الجزء من العالم . هو الإحساس

بقيمة الجمال فى حياتنا . إن الإعلاء من شأن هذه القيمة من الممكن أن يواجه العديد من السلبيات التى نواجهها فى حياتنا اليومية . إن الجمال مشروع من أجل الحياة . ولكن القبح دعوة للآخرة والدمار والقتل .

هل أجبت بذلك على السؤال الكبير عن موقف بهاء من الأدب والفن والفكر؟ أم أن ما قدمته يتم بصورة غير مباشرة؟ سنواصل الرحلة مع تفاصيل من حياته .

لقد كانت صداقاته الحميمة مع أهل الأدب والفن والفكر . لم يكن السياسة ولا الحكام من الصداقات الحميمة فى حياته . والذين اقتربوا منه من محترفى العمل السياسى . كانوا من السياسة العرب وجميعهم كانوا يقفون فى منتصف المسافة بين السياسة والأدب . سياسة ولكن الفن لطشهم فظلوا حيارى بين الدائرتين وصداقات بهاء معهم . كانت جزءا من حلمه القومى . أما إهتمامه بالأدب والفن فقد كان الخط الاستراتيجى الذى يحافظ عليه طوال حياته كلها .

وحتى عندما كان يكتب فى السياسة . فإن الكتابة نفسها كانت فنا جميلا . كان يتحدث دائما عن إعادة متعة القراءة إلى العين . وأن قيمة الجمال عند الكتابة يجب أن تعلو فوق أى قيمة أخرى . لدرجة أننى كنت أتعامل معه بإعتباره فنان أولا . وكاتب سياسى ثانيا . وعندما كنت أهديه كتبى . كنت حريصا على أن

أصفه بوصف كررته فى كافة الإهداءات «المفكر الفنان» وكان يتوقف أمامه فى كل مرة بالموافقة والإعجاب.

وإن كانت الظروف قد باعدت بينه وبين الإبداع الأدبى والفنى بالصورة التى نعرفها به فى حياتنا. فقد كان تصويرى له دائما. أنه فنان من الطراز الأول. هذا على الرغم من أن معاصريه قد نظروا إليه على أنه «ناقد» قبل أن يكون كاتباً سياسياً .

يقول عنه نجيب محفوظ :

ورغم أن بهاء ليس ناقداً محترفاً. إلا أن تعليقاته أو متابعاته فى المجال الفنى والأدبى . كانت فى غاية الروعة. وكنت أشعر أن بهاء لو أراد أن يكون ناقداً سيكون فى طبيعة النقاد فهو صاحب ذوق فنى رفيع.

وقد قرأت له -يكمل نجيب محفوظ- فى الشهادة التى أدلى بها إلى مصطفى نبيل ونشرت فى كتاب «من حملة مشاعل التقدم العربى أحمد بهاء الدين» .

والصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية فى بيروت فى فبراير ١٩٩٤. وكنت أتمنى لو صدر هذا الكتاب من مصر ويسعر رخيص حتى يكون فى متناول عشاق بهاء ومريدى التقدم. ولكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه. نعود إلى شهادة نجيب محفوظ عن بهاء. فهو يقول فيها:

- وقد قرأت له- يقصد بهاء- تعليقات أو متابعات عن روايات وأفلام ومسرحيات ومسلسلات تليفزيونية عربية وعالمية. وكان نقده قائما على رؤية فى غاية العمق. وليس له من نظير فيمن يقولون هذا النقد. وأشهد أنه لو تفرغ للنقد لكان فى طبيعة نقاد عصره .

وبعد شهادة نجيب محفوظ عنه. نتوقف مع شهادة بهاء عن قراءته لثلاثية نجيب محفوظ «بين القصرين» يقول بهاء أنه بحكم طبيعته لا يحب قراءة الروايات الطويلة جدا وعندما صدر الجزء الأول من الثلاثية، أفسد عليه حياته وشده من عمله. ولكن ما إن صدر الجزء الثانى «قصر الشوق» حتى كان مريضا. فوجد فيه ما ملأ عليه فراغ مرضه. وما إن صدر الجزء الثالث «السكرية» حتى جعله يتفرغ ويسافر إلى الاسكندرية. لكى يقرأه. يقول بهاء عن الرواية :

- لست ناقدًا لكى أحل مزايا هذا العمل الشامخ الذى اعتبره أعظم عمل من نوعه فى الأدب العربى. ولكنى - كقارئ لا كناقد- أستطيع أن أقول أن هذه القصة تعد وثيقة لانظير لها فى مصر. أى شىء فى مصر ليس فيها؟

ويقول عن قراءته للرواية: لقد قضيت يومين فى ضيافة عائلة أحمد عبد الجواد التى يتحدث عنها نجيب محفوظ فى ألف صفحة عبر ثلاثة أجيال وثلاثة أجزاء من سنة ١٩١٨ وحتى سنة

ويقول عنه الشاعر العربي الكبير عبد العزيز المقالح:

- كان يمكن أن يصبح أحمد بهاء الدين من المبدعين أو النقاد الكبار. وقد تنبه لأثر الصحافة بوصفها مجال التعبير الأوسع.

فإن كانت تلك هي نظرة أهل الفن إليه. فإن رؤيته لنفسه كانت متطابقة معها، يقول أحمد بهاء الدين للدكتور عمرو عبد السميع في مجلة قمر ١٤ والتي أسسها عمرو. وكان قد أصبح اسمها فديو ١٤. وفي العدد ١٤ منها الصادر في ١٧ أكتوبر ١٩٨٤. يقول بهاء:

- « عندما أكتب في الفن عموماً. لا أكتب من خلال ثقافة الناقد المتخصص. ولكن كتابه المتلقى المهتم. الذي يمكن أن يشير على جمهوره من القراء بمشاهدة فيلم أو مسرحية جيدة. ولكن على الرغم من إستمتاعى الشديد بهذه الدعابة الفنية. إلا أن السياسة طغت، مع الأسف - على معظم ما اكتب وقد تندهش إن علمت أنني أتمنى أن انتهى إلى أن أكون ناقدًا فنياً. وخطورة الإعلان عن هذه الأمنية أنه يتم سنة ١٩٨٤. والرجل في قمة مجده، ليست أمنية شاب ولكن رجل حقق ذاته. وفعل كل ما يريد. ومع هذا بقي الفن والأدب منطقة وجع من نوع خاص

فى حبة قلبه .

يقول بهاء فى مقال له عن سولجسنتين :

- فالكاتب أو المفكر أو الفنان الحقيقى من المفترض فيه أنه يحس ويرى ما لا يراه ولا يحسه الآخرون. ذلك أن المفكر الصادق أو الفنان الموهوب يتمكن من اختراق مظاهر الأشياء والنفاذ إلى ما وراءها.

ويكتب عن اللغة :

- «اللغة هى دائما أداة. أنها وسيلة لا غاية. والبلاغة فى اللغة أداة لحسن التعبير واتقان توصيل الفكرة أو العقيدة وهذه هى بلاغة عصور النهضة. فى حين كانت البلاغة هدف فى حد ذاتها فى عصور الانحطاط.

ويقول عن الشعر :

الشعر ابن الوقفة والتأمل والهمس الصاعد من النفس وهى أمور لا يسمح بها ضجيج هذا العصر وسرعته.

الفراعنة خلدوا حضارتهم بالحجر. والغرب بفنون المسرح والموسيقى والرواية. أما العربى فإنه منذ ميلاده يعبر عن نفسه بالشعر . لقد عرف الشعر قبل أن يعرف القراءة والكتابة فالشعر جزء من لحمه ودمه .

ويكتب عن القراءة :

- لا أصدق أن كاتباً وفناناً مرموقاً لم يقرأ الكتب المهمة.
فى أدب طه حسين وتوفيق الحكيم وغيرها. من رواد الأدب
المصرى الحديث أن مثل هذا الكاتب الشاب الممتاز لا يمكن أن
يستمر إمتيازه بغير ثقافة واسعة. إن لمعة إنتاجه الأولى هى
لمعة الموهبة التى سرعان ما تخبو وتكرر نفسها ويضيق أفقها
إذا لم تجدد مدداً من خبرات الحياة ومن الثقافة العميقة.

لقد كانت بدايات بهاء الوظيفة من إدارة التحقيقات بوزارة
المعارف العمومية. كان معه فى نفس الإدارة. فتحى غانم وعبد
الرحمن الشرقاوى. وعندما عمل فى الصحافة المصرية والعربية
فإن «صباح الخير» ابنته البكر و«المصور» و«الأهرام» و«أخبار
اليوم» و«العربى» و«الشموع». فقد حول كل مجلة وجريدة تولى
أمرها إلى شرفة تطل على الفن والأدب بكل ما فيه من متعة
وبهجة وجمال .

ومن يطالع مجلد مختارات مقالاته من الخمسينات
والستينات الصادر فى بيروت. مع كلمات وشهادات عنه كتبها
أحباؤه وأصدقائه. وهو المجلد الذى أعده بإخلاص ووفاء
نادرين فى هذه الأيام. مصطفى نبيل وجميل مطر. سنجد أنه
ما من ظاهرة أدبية أو فنية أو فكرية عاصرها. مصرياً وعربياً
وعالمياً. لم يتوقف أمامها بالدقة اللازمة والروح الفنية المطلوبة.
ولكن من خلال موقف تقدمى وتكفى القاعة نظرة. ليس على

المقالات نفسها. ولكن على الكشاف التحليلي لعناوين
الموضوعات والأسماء الواردة فيها.

والآن - بعد هذه الرحلة التي طالت أتوقف أمام بعض
الظواهر :

وقف بهاء مع الشعر الحديث رغم أن الكبار في ذلك الوقت
كانوا ضده حتى الشعراء القدامى أنفسهم. أما بهاء فقد راهن
على موهبة صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطى حجازى منذ
البدايات الأولى لهذا التجديد الذى هز عرش الشعر التقليدى
تماما.

كانت مجلة «المصور» وهو رئيس تحريرها فى مقدمات
المطبوعات المصرية والعربية التى أولت إهتمامها لجيل
الستينات الذين كانوا يسمون ومازالوا الأدباء الشبان. علاوة
على العلاقة الإنسانية التى ربطته برموز هذا الجيل على جبهة
عريضة تتعدى الكلمة المكتوبة شملت الفنانين التشكيليين
ومخرجى السينما. وحتى أهل الطرب والغناء.

كان بهاء هو الذى أقنع سيدة الشاشة العربية فاتن حمامة .
الاتجاه إلى النصوص الأدبية لكى تقدمها على الشاشة. واختار
لها رواية «الحرام» ليوسف إدريس. وبعد هذه التجربة اختار لها
رواية طه حسين «دعاء الكروان» ولولا إصرار بهاء ودفاعه

وترافعه عن هذه الرواية ما فكر أحد من أهل السينما في الاقتراب من هذا النص بالذات، وقد اتجهت السينما إلى النصوص الأدبية رغم أن النجاح لم يصادف المحاولات الأولى

حاول دائما أن يعود العين المصرية والعربية على قراءة لوحة الفن التشكيلي إما بنشرها. أو الكتابة عنها.. وحاول أيضا وفي نفس الوقت أن يعود الأذن العربية على الاستماع إلى النغم الأصيل والجميل والعذب إبتداء من التراث العربي. وحتى الموسيقى الكلاسيكية العالمية .

عندما ظهر الفنان عادل إمام فى بداياته الأولى ولم يحسن البعض استقباله. كتب يطلب منهم العودة إلى ظاهرة شكوكو الذى صنع له الناس التماثيل ووزعوها فى الشوارع .

تلك كانت محاولة منى للتواصل معه. فى صمته من هذا المكان الذى ولد فيه. ونشأ فى أعماقه يضيف محمد حسين هيكل موقف بهاء الآن بقوله

– المقاتل الآن ولكن بالصمت»

ويقول عنه عبد العزيز المقالح:

– صاحب الصوت الأنقى فى الصحافة العربية صاحب اللغة

الأدبية التى تلامس وعى القارئ..

وإن كان الدكتور على الراعى يلخص حاله بأدق عبارة عندما يكتب عنه :

- يناضل أيضا من يقعد ينتظر

وأنا أحلم الآن أن يكون هذا الإنتظار إستراحة محارب بين معارك الأمس وحروب الغد .

فنحن الآن فى أمس الحاجة إليه.

لقد كان إنسانا فريدا . وفنانا نادرا وكاتبا غير قابل للتكرار أبدا..

المحتويات

- أحمد بهاء الدين الجنوبي
- كلمة اللواء محمد سميح السعيد محافظ أسيوط..... ٥
- أحمد بهاء الدين قلم مضى
- كلمة أ. حسين مهران رئيس الهيئة العامة لقصور الثقافة... ٩
- تواصل زياد أحمد بهاء الدين ١١
- أربعون عام من الكتابة د/ جلال أمين ١٤
- أحمد بهاء الدين شاعرا رجاء النقاش ٢٥
- أحمد بهاء الدين شابا رشاد كامل ٤٣
- أحمد بهاء الدين بين الفكر والعمل د/ شكرى عياد ٧١
- أحمد بهاء الدين (كاتب العمود) د/ صابر حارص ٧٦
- أحمد بهاء الدين مفكرا د/ عبد الله هديه ١٤٠
- يناضل أيضا من يقعد ينتظر د/ على الراعى ١٤٠
- أحمد بهاء والتحليل السياسى د/ على الدين هلال ١٥٩
- أحمد بهاء الدين صديقا فتحي غانم ١٦٤

-
- أحمد بهاء الدين الاشتراكي فريدة النقاش ١٧١
 - أحمد بهاء الدين صحفيا لمعى المطيعى ١٩٥
 - أحمد بهاء مفكر يعمل بالصحافة د/ محمد الرميحي ٢٠٥
 - أحمد بهاء فتح للشباب باب الشهرة..... محمود قاسم ٢١٧
 - أحمد بهاء والقومية العربية.... د/ مصطفى عبد الغنى ٢٢٣
 - أحمد بهاء ومدرسة صحفية جديدة..... مصطفى نبيل ٢٤١
 - أحمد بهاء الدين المعارك والمواجهات نبيل زكى ٢٥٥
 - الأستاذ بهاء وكفى يوسف القعيد ٣٠١
 - بهاء أدبا وفنانا وناقدا..... يوسف القعيد ٣٠٧

رقم الايداع ٩٥/٩١٤٦

تعتز الأمم العريقة بأبنائها النجباء الذين أخلصوا لأوطانهم ومنحوها
من فيض فكرهم وعزیز جهدهم سطوراً مضيئة، وأحمد بهاء الدين ليس
ابناً وفياً لوطنه فحسب لكنه بوثقة جمعت في ذاتها عذوبة اللغة وإحكام
العبارة والفكر التنويری الذي یجمع بین السياسة والأدب والفن والدين
فی أسلوب راق لا یعرف العصبية أو التحيز لقد عرفنا أحمد بهاء كاتِباً
كبيراً ذا رأى حصيف يلتف حوله من یرغب فی المعرفة الراقية والفكر
الموضوعی إن مواقف «بهاء» الوطنية ليست بخافية على قرائه ومحبي
كتاباتهِ وعاشقی إنسانيته ورحابة أفقه وهامی الهيئة العامة لقصور
الثقافة - كعادتها - تقدم هذا الكتاب عن واحد من خلصاء مفكری هذا
الوطن.

